خطب الجمع والأعياد

أُلقِيَت عَلَى منبر خَيْر العِبَادِ ﷺ

أعدَّها وألقاها

عبد الله بن محمد بن زاحم

امام وخطيب المسجد النبوي الشريف
ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة

المجلد الخامس

جميع حقوق الطبع محفوظة
للمؤلف صاحب الخطب

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد : -

أقدم لك أيها القارئ الكريم المجلد الخامس من كتاب (خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد) ويشتمل على تسع وستين خطبة في موضوعات مختلفة ، وقد حرصت على إخراجها المخرج المناسب ، ودعَّمتها بنصوص الكتاب والسنة ؛ ليحصل بها تمام الفائدة . أسأل الله (عز وجل) أن ينفع بها من قرأها وسمعها ، وأن تكون ذخرًا لي وصدقة جارية أنتفع بها ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** »[1] والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المدينة المنورة ١ / ٦ / ١٤١٧

وكتب

عبد الله بن محمد بن زاحم

---

(١) رواه مسلم : كتاب الوصية (١٢٥٥/٣) والحديث برقم (١٦٣١) .
وأبو داود : (٣٠٠/٣) والنسائي والترمذي .

موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم «أمدَّ الله في عمره المديد»

● اسمه ونسبه :

هو الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عبد الوهاب ابن زاحم بن محمد بن حسن بن سلطان بن زاحم من آل فضل ، من المرازيق من قبيلة البقوم ، من الازد من قحطان .

● أما مولده ونشأته :

فإنه ولد - حفظه الله - في قرية القصب من قرى اليمامة بنجد في الوشم ، في عام ١٣٥٠ هـ ، ونشأ فيها عند والديه ، على التقوى والصلاح ، وكان والده الشيخ « محمد ابن عبد الوهاب » - رحمه الله - حافظًا للقرآن الكريم ، وإمامًا لمسجدٍ في القصب .

فدرس على والده ، في دروس بعد العصر ، وبعد المغرب ، يقرأ القرآن الكريم ، وقد بدأ بالحفظ ، من قصار المفصل ، إلى آخر سورة طه وأكمل حفظ القرآن فيما بعد وكما أنه قرأ ودرس على المقرئ في القصب « الشيخ عبد العزيز بن محمد المحارب » ، وعلى المقرئ « الشيخ عبد العزيز بن عليّ بن عوجان » .

ولما توفي والده الشيخ « محمد بن عبد الوهاب » في عام ١٣٦٢ هـ في القصب ، وقد بلغ سن الشيخ « عبد الله بن محمد » اثني عشر عامًا ، انتقل إلى عمه الشيخ « عبد الله بنِ عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن عثمان بن زاحم بن محمد ابن حسن بن سلطان بن زاحم » في الرياض ، وكان عمه رئيسًا للمحكمة الكبرى الشرعية هناك فأخذ منه في شتى العلوم ، وفي عام ١٣٦٣ هـ انتقل عمه الشيخ « عبد الله ابن عبد الوهاب » - رحمه الله تعالى - إلى المدينة المنورة ، عن طريق مكة المكرمة ، فانتقل معه ، وقد أدَّوا فريضة الحج في العام نفسه .

ويقول الشيخ عبد الله صاحب هذه الترجمة : وتلك أول مرة في حياته يرى فيها مكة المكرمة ، والكعبة المشرَّفة ، والبقاع المطهَّرة .

قلت : لا شك أنها لحظة مباركة ، يتمناها كل مسلم ، وموقف عجيب ، وهو محبب للنفس ، ووقت نفيس لا يمكن نسيانه ، بل هو ثابت في الذاكرة .

وبعد أداء فريضة الحج ، توجه مع عمة والأسرة إلى المدينة المنورة ، فوصلوا في ١٣٦٤/١/١ هـ ، ثم التحق بالمدرسة المحمدية الابتدائية ، التي عند باب المجيدي بالسنة الرابعة ، وقد بلغ سنه آنذاك ثلاث عشرة سنة ، وكان يدرس فيها علم الفرائض بالسنة الرابعة ، وهذا دليل قويٌّ على مستواه التعليمي الجيِّد ، ثم التحق بوظيفةٍ في المحكمة الكبرى بالمدينة المنورة لظروف الحياة التي قد تتعرض للإنسان ، فعُيِّن مساعدًا لكاتب ضبط ، وفي هذه الأثناء كان يأخذ العلم مساءًا على كلٍ من مشايخ المدينة المنورة :

١ – عمه الشيخ « عبد الله بن زاحم » رحمه الله .

٢ – الشيخ « محمد الخيال » رحمه الله رحمه الله .

٣ – الشيخ « عبد العزيز بن صالح » .

وكان يأخذ على هؤلاء الأجلاء في العقائد والفرائض ، واللغة العربية ، والفقه .

٤ – وكان يأخذ الحديث وعلومه على « الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي » رحمه الله[1] . ولما فتح المعهد العلمي في عام ١٣٧١ هـ في الرياض ، ترك الوظيفة ، فالتحق به للدراسة ، وكان يحضر دروس سماحة الشيخ « محمد بن إبراهيم » ، والشيخ « عبد اللطيف بن إبراهيم » في المسجد . ومن مشايخه في الكلية والمعاهد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ عبد الرزاق العفيفي ، والأستاذ « عبد اللطيف سرحان » ، والشيخ « حمد الجاسر » ، والشيخ « عبد الرحمن بن عودان » ، والشيخ « عبد العزيز بن رشيد » وغيرهم رحم الله الميت منهم أما الأحياء – فجزاهم الله خيرًا[2] – وكان يعود إلى المدينة المنورة في خلال العطلات الصيفية لملازمة علمائها المذكورين ، والأخذ عنهم . وكان من أساتذته في التجويد الشيخ قارئ

---

(١) وأخذ في التفسير وعلومه عن العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

(٢) وغفر نيتهم .

عبد الرءوف ، والشيخ خليل عبد الرحمن .

٥ – وفي أثناء دراسته كان يقرأ على الشيخ « محمد بن الأمين الشنقيطي » ، رحمه الله ، للأخذ عنه في التفسير وعلومه ، والمنطق والأصول في العطل الصيفية .

وبعد تخرُّجه من المعهد العلمي بالرياض التحق بكلية الشريعة بالرياض ، وفي عام ١٣٧٨ هـ تخرج من الكلية وأتم دراسته الجامعية فدعاه الشيخ محمد بن إبراهيم من المدينة والزمه بمساعده محكمة حائل .

وفي ١٣٧٩/٤/١١ هـ عُيِّن مساعدًا لرئيس محكمة حائل ، وبعد إحالة رئيس المحكمة للتقاعد عُيِّن « الشيخ عبد الله » رئيسًا لها بتاريخ ١٣٨٠/٤/٤ هـ .

ثم عُيِّن رئيس محكمة (ب) في ١٣٨٥/٧/١ هـ ، ثم رئيس محكمة (أ) في ١/ ١٣٨٦/٧ هـ .

وفي عام ١٣٩٠ هـ عاد إلى المدينة المنورة ، وكُلِّف بعمل مساعد رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة ولما توفى رئيسها عين رئيسًا للمحكمة بأمر ملكي .

وفي آخر عام ١٣٩١ هـ عُيِّن إمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي الشريف .

وفي ١٣٩٧/١٢/١٢ هـ عُيِّن على وظيفة قاضي تمييز ، ولا يزال على هذه الوظيفة ، ويعمل رئيسًا لمحاكم منطقة المدينة المنورة ، وإمامًا وخطيبًا للمسجد النبوي ، ولم يرغب الخروج من المدينة المنورة طوال هذه المدة ، وأحبَّ البقاء في المدينة النبوية الشريفة والموت فيها . عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « **من استطاع أن يموت في المدينة فاليفعل فإني أشفع لمن يموت فيها** »

أمدَّ الله تعالى في عمره بالعمل الصالح ، وأجزل له مثوبته[1]

المدينة المنوره في ٢٥ / ٥ / ١٤١٧ هـ

عبد القادر حبيب الله

أحد علماء المدينة المنوَّرة

---

(١) أكثر هذه المعلومات تلقيت من بعض الإخوة القريبين من الشيخ عبد الله .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى

٢٨ / ١٠ / ١٣٩٣

[الاستعداد للعدو بالقوة]

الحمد لله الغني الحميد ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له القوي العزيز .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أمَّا بعدُ . فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى ، وتأملوا في تعاليم دينكم ، فقد نظم لكم حياة عزيزة كريمة ، ورسم لكم دستورًا فيه تنظيم الأمور من جميع نواحيها مهما تعددت أنواعها وتغيرت مقاصدها ، ورتب لكم نظام الحياة في السلم والحرب .

عباد الله ؛ قال الله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

جاءت هذه الآية الكريمة بعد سياق الآيات التي بَيَّنَ الله فيها قصة بدر ، ونصره لعباده المؤمنين مع قلة عددهم وعُدَّتهم ، نصرهم على الكافرين مع كثرة عددهم وعُدتهم ، جاءت بعد الآيات التي وصف الله فيها أحوال الكافرين ، ومشابهتهم للأمم

---

(١) الأنفال (٦٠) .

التي قبلهم ، كذبوا بآيات الله فأهلكهم .

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]

وبعد أن وصف الله أعداء الإسلام بأنهم شر الدواب عند الله ؛ لأنهم لا يؤمنون بالله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، ولا يفون بالعهود ، ولا يحترمون الحقوق والوعود .

وبعد أن حرض الله نبيَّه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - على المعاندين المكابرين أن ينكل بهم متى ظفر بهم في الحرب ، وأن يجعلهم عبرة لغيرهم .

وبعد أن أرشد الله نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - لما ينبغي اتباعه إذا ظهرت له بوادر الغدر والخيانة ، ونقض العهد من الكافرين .

بعد هذا كله جاءت هذه الآية الكريمة ، فيها تهديد وتوبيخ للكافرين ، وفيها توجيه وإرشاد للمؤمنين . فأما الكافرون لما ظهرت منهم علامات الغدر والخيانة والعناد دلَّ ذلك على تماديهم في الكفر بالله ، وطمعهم في النيل من المسلمين وإيذاء المؤمنين ، فتهددهم الله بأنهم تحت قهره وسيطرته ، لا يفوتونه ولا يعجزونه ، فليس لهم من دونه ولي ولا نصير ، وليس لهم عنه مفر ولا محيص . فهو قادر على أن يهلكهم كما أهلك الأمم التي قبلهم ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ .

وأما المؤمنون ، فلما حصل لهم النصر مع القلة ، وحصلت لهم البشارة بتهديد الكافرين ، أمرهم الله ، أن يجمعوا بين التوكل على الله ، وبين الأسباب المؤدية إلى النصر والظفر ؛ فقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[2] الآية .

فالاستطاعة هي بذل الجهد في العمل والصّبر على التعب ، وكل ما في إمكان الإنسان أن يفعله . والقوة هي كل ما يحصل به إرهاب العدو ودحره ، وما يحصل به

---

(١) الأنفال (٥٢) .

(٢) الأنفال (٦٠) .

النصر والعزة والكرامة ، من الرجال والمال والعتاد وحسن التدبير . وأخذُ الاحتياطات لجميع الاحتمالات ، فالآلات الحربية الموجودة الآن والتي ستوجد فيما بعدُ ، والتمرين على استعمالها وصُنعها واقتنائها ، كله داخل في هذه الآية الكريمة ، ومأمور بإعداده للأعداء .

وأساس القوة هو الاعتماد على الله ، والاعتصام بحبل الله ، والتعاون والتكاتف والتضامن ، كالبنيان يشد بعضه بعضًا ، والتآخي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعىٰ له سائر الجسد بالسهر والحمى . وقد أشارت هذه الآية إلى أن القوة لا تحصل إلا بالتعاون ، فكان الخطاب في الآيات المتقدمات للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه هو القائد الأعلى للجيش ، وهو الذي يدبره ويوجهه . فلما جاء الأمر باتخاذ الاستعداد والقوة وجه الخطاب للجميع ؛ فقال : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ** ﴾ .

وقال : ترهبون به عدو الله وعدوكم . هذا مع الآيات الصريحة في وجوب الاعتصام بحبل الله جميعًا ، وتحريم التفرق والخلاف .

وإذا تأملنا واقع الأمر الآن ، وجدنا أن التعاون والاتفاق والتضامن قد أوجد قوة بلغت في خدمة القضية الإسلامية ما لم تبلغه الطائرات والقنابل ، ولا الدبابات والمدافع ، ألحقت بجميع الأعداء خسائر فادحة أكثر مما أوجدتها القوة الحربية ، وكونت خطرًا على العدو أكثر من الحديد والنار ؛ فالحمد لله الذي ألَّف بين القلوب ، ووحَّد الجهود ، جزى الله العاملين على ذلك أحسن الجزاء .

إن الأمة الإسلامية الآن قد عرفت حقائق الأمور ، وأدركت خطأها فيما مضى ، وانطلقت بقوة الإيمان والصدق والعزم ، وانتفضت انتفاضة أسدٍ كان كامنًا في زُبية ، وسارت تجاه الطريق القويم نحو العزة والكرامة .

فعرفت العدو من الصديق ، وعرفت الصادق من الكاذب ، وعرفت الناصح من الغاش ، وعرفت الوفيَّ من الخائن . فيا تُرى ماذا سيكون موقف الأعداء ، هل تظن أخي المسلم ؛ أنهم مرتاحون لهذا ، أو أنهم سيقفون مشبكي الأصابع مُغْمضي الأعين ؟ كلا إنهم سيجندون كل قواهم لإعادة الوضع كما كان ، ويأبىٰ الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فاحذر أخي المسلم ؛ كل الحذر ، ولا تقبل منهم صرفًا ولا عدلًا . فإنهم يدسون السم في الدسم ، ويأتون الحَذِرَ من مأمنه ، ويغدرون بالنفوس من تلقاء شهواتها ورغباتها . فعلى الفرد وعلى المجموعة أن يعدوا لهم كل ما استطاعوا من قوة . ولا يخفى أن الاقتصاد له دور هام في تنمية القوة وتعزيزها . بل هو أساس وجود القوة إذا ضبط وصرف بحكمة وتدبير وإخلاص .

فأنت أيها الأخ المزارع ؛ تخير من الزراعة ما فيه قوة لك ، وبلاغًا لقومك ، ازرع الحبوب بأنواعها ، والثمار المدخرة بأصنافها ، ودع عنك التوابل والكماليات التي إذا مضى عليها أيام قلائل فسدت .

وأنت أيها التاجر ؛ لا تنجرف في استيراد البضائع التي ليس لبلادك فيها قوة ولا منفعةٌ ولا قوام . واحرص على تصنيع بلادك ، واستخراج خيراتها من أرضها .

وأنت أخي المستهلك ؛ لا تسرف في تبذير مالك ، ولا تندفع إلى تشجيع صنعة غيرك ، فلا تغير سيارتك كل سنتين أو ثلاث . ولا تغير أثاث بيتك من حين لآخر ، واكتفِ بما عندك ما دام صالحًا ، وفيه سداد لحاجتك .

وأنت أخي المدرس ؛ وجِّه تلاميذك إلى طرق الخير ، وثبِّت العقيدة الصحيحة في نفوسهم . وحذرهم من دسائس الأعداء والتيارات الإلحادية ، والأخلاق الرذيلة والعادات السيئة .

وأنتِ أيتها الأم ؛ احرصي على تربية أولادك على الخير والفضائل ، والجد والعمل ، والصبر والتحمل ، والصدق والنصح والإخلاص وحذريهم من أعداء إسلامهم .

وأنت أيها الشاب العزيز ؛ أنت رجل المستقبل فتعلم ما تبني به صرح بلادك ، وتحفظ به عزَّتك وكرامتك ، وهيئ نفسك لخدمة أمتك وتصنيع وطنك ، واجعل دائمًا في جميع مراحل حياتك أمام عينيك وملء قلبك - الإيمان بالله الذي خلقك وإليه معادك ، وخشيته وتقواه في السرِّ والعلانية ، يجمع لك بين ثواب الدنيا والآخرة .

وأنت أيتها الشابة الكريمة ؛ بك نبتني البيوت ، لك رسالة في المجتمع هي أعظم

رسالة ، وعليك واجب هو أول واجب في المجتمع ، فهيِّئي نفسك للقيام بواجبك ، وتفرَّغي لما من أجله خلقت الله وتوكلي على الله في جميع أحوالك ، واستعيني به في أداء رسالتك .

فإذا قام كل فرد وكل جماعة بما يجب عليه بجد ونشاط وإخلاص ؛ فإن الله سيوفِّقكم ويعطيكم ما أعطى غيركم في هذه الدنيا ، ولكم عليهم الفضل والكرامة بالإيمان ، والثواب العظيم والسعادة في الآخرة إن شاء الله تعالى . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الحي القيوم، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته.

أمَّا بعدُ. فإن أحسن الحديث كلامُ الله، وخيرَ الهدي هدي نبينا محمد، صلَّى الله عليه وسلم.

أيها المسلمون؛ تأملوا قول الله تعالى:

﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]

فكلمة ﴿ شيء ﴾ عامة شاملة لكل ما يحتاجه المسلمون في جهادهم وكفاحهم، ولكل ما يقدمه المسلم قربة لله من أعمال الخير التي تعين أخاه المسلم، وتقوي شوكة المسلمين، ويعينهم على عدوهم. فيدخل فيها التعود والتفرد حتى والطعام والعتاد. ويدخل أيضًا الدم الذي يتبرع به المسلم لإسعاف إخوانه المسلمين، والعلاجُ الذي يقدمه لهم. كل ذلك وغيره داخل في هذا النص الكريم.

فمن أنفق شيئًا من ذلك قاصدًا به وجه الله، وإعانة المظلوم؛ فإن الله سيخلف عليه في الدنيا بأكثر مما أنفق؛ وفي الآخرة ثوابًا عظيمًا وأجرًا مضاعفًا. عباد الله؛ يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾. اللهم؛ صلِّ وسلم وبارك بالنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب المقام المحمود والحوض المورود. وارض اللهم؛ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعن بقية الصحابة أجمعين، وعن

---

(١) الأنفال (٦٠).

التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم؛ ارضَ عنا معهم ..... وإحسانك يا أرحم الراحمين.

اللهم؛ أعزَّ الإسلام والمسلمين. اللهم؛ انصر جيوش المسلمين. اللهم؛ أنزلِ السكينة عليهم؛ واربط على قلوبهم؛ ووحِّدْ كلمتهم، واجمع شملهم. اللهم؛ كن لهم ناصرًا ومؤيدًا. اللهم؛ دبر خِطهم ويسِّر أمورهم، وافسح الطريق أمامهم، وافتح لهم أبواب النصر والتمكين، وثبِّت أقدامهم، وانصرهم على القوم الكافرين. إنك أنت العزيز الرحيم.

اللهم؛ أذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين. اللهم؛ اخذل اليهود ومن والاهم. اللهم؛ أنزل الرعب في قلوبهم، وفرِّقْ جمعهم، وشتِّتْ شملهم. اللهم؛ احصر صدورهم، وضيِّقْ نفوسهم، واجعل بأسهم بينهم، وسد الطريق أمامهم، وافتح عليهم باب الهزيمة والذل والخذلان. اللهم، اطمس على أموالهم، واشدد على قلوبهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين، إنك أنت القوي العزيز.

اللهم؛ أمنا في أوطاننا، وانصر واحفظ إمامنا وسدد خطاه، وقو عزيمته، وكلل مساعيه بالتوفيق والنجاح. اللهم؛ واحفظ جميع ولاة أمور المسلمين. اللهم؛ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات. اللهم؛ فرج هم المهمومين، ونفس كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين، واشفِ أمراض المسلمين.

اللهم؛ اسقنا الغيث والرحمة، ولا تجعلنا من القانطين. اللهم؛ إنا نستغفرك إنك كنت غفارًا، فأرسل السماء علينا مدرارًا. اللهم؛ إنا خلقٌ من خلقك، فلا تمنع عنَّا بذنوبنا فضلك.

اللهم؛ إن بالعباد والبلاد من الحاجة إلى سقياك ورحمتك ما لا نشكوه إلا إليك.

اللهم؛ ارحم عبادك وبلادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، إنك على كل شيء قدير.

عباد الله؛ إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون؛ فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه يزدكم، ولَذكرُ الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

١٤٠٩/٩/٩

[يوم الفرقان]

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ﴾

الحمد لله رب العالمين[١] . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين[٢] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . جعل الله النصر والعزة لمن أطاعه ، وجعل الذلة والصغار على من عصاه[٤] . اللهم ، صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أمَّا بعدُ . فإن فضائل شهر رمضان وبركاتِه ونفحاتِ الله فيه لا تقتصر على الفرد المسلم وحده .

والأعمال الصالحة فيه لا تقتصر على الصلاة والزكاة والذكر والصوم والاعتكاف وحدها . بل تشمل أيضًا ذروة السنام[٥] . فلقد كان شهر رمضان موسم انتصارات وعز للإسلام والمسلمين ، وشهر فتوحات لإعلاء كلمة الله .

---

(١) سورة الفاتحة (١) .

(٢) سورة المنافقون (٨) .

(٣) سورة المجادلة (٢١) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور آية رقم (٥٢) ، وبعكسها في سورة النساء (١٤) .

(٥) إشارة إلى حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أخرجه بعض أصحاب السنن وأحمد في المسند [٢٣١/٥] وإسناده جيد .

ففي شهر رمضان كان يوم الفرقان الأعظم[١] .

وفي شهر رمضان كان الفتحُ الأكبر[٢] .

وإذا تتبعنا أخبار الحركات الإسلامية التي كانت في رمضان من العصر الأول إلى يومنا هذا نجدها غالبًا مكلّلة بالتوفيق والنجاح . ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾[٣] .

وإني لأرجو أن يكون النصر والنجاح في هذا الشهر المبارك لجميع الحركات الإسلامية وللمجاهدين في كل مكان .

ونسأل الله لكل مجاهد في سبيل الله ، ولإخواننا في الأرض المحتلة في فلسطين أن تكون انتفاضتهم المشرفة التي صمدت أمام عدوها من اليهود - مؤيدةً من الله ، وأن يكون هذا الشهرُ المبارك شهر عزٍّ وتأييد ونصر لهم[٤] .

وأوصي كل مسلم مجاهد بإخلاص النية لله ، وبالتمسك بأسباب النصر ، وهي خمسة :

الأول : الثبات على الإيمان والعقيدة ، والثبات على الثقة بالله ، فلا يتردد في أمره ولا يطع مُرجفًا[٥] ولا مُخذلًا بئس مطية الكذب يقولون .

الثاني : ذكر الله كثيرًا ، فلا يُلههم ما هم فيه عن الاتصال بالله ، وأداء حقوقه ، والاستغاثة به ، وطلب النصر من عنده[٦] .

الثالث : طاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في خاصة الفرد

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية (٤١) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الفتح [١-٢٩] فيها بيان كاف وشاف عن فتح مكة .

(٣) جزء من آية الأنفال آية رقم (١٠) .

(٤) مع وجود شرط أساسي ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ سورة محمد (٧) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية رقم (٦٠) .

(٦) إشارة إلى آيات كثيرة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية منها ما أوردها فضيلة الخطيب وفقه الله - منها آية رقم (٤٥) من سورة الأنفال . وكذا آية (٤٦) .

المسلم، والجماعة والبيت والأسرة. وخط المعركة وميدان الانتفاضة[١].

كما قال تعالى:

﴿يا أيها الذين أمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرًا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشَلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾

الرابع: الابتعاد عن الخلاف والشقاق والمنافسة على المناصب والمراكز والكراسي. فإن الخلاف سبب للفشل والهزيمة[٢].

الخامس: الصبر فلا يقول: طال الزمن، ولا يقول: اشتدت المحنة. فإن الفرج مع الكرب[٣]، وإن النصر مع الصبر، وإن مع العسر يسرًا[٤] إن مع العسر يسرا.

وأذكر إخواني المجاهدين وأذكر كل مسلم بيوم بدر الذي سماه الله يوم الفرقان[٥]. فهو فرقان بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، وبين التوحيد والشرك، وبين الإسلام والجاهلية. وفرقان بين تصور الناس لأسباب النصر والهزيمة، وبين إرادة الله وقدرته.

ففي العشر الأوائل من شهر رمضان خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لتلقي عيرًا لقريش مع أبي سفيان تحمل تجارتهم قادمة من الشام إلى مكة، ولا يخفى أن قريشًا حبست أموال المسلمين المهاجرين في مكة، ومنعتهم من أخذها لدار

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية رقم (١) إلى آخر الآيات وفيها دروس وعبر ومواعظ سامية في مثل هذه الأمور.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية (١٥٢)، والأنفال آية (٤٣-٤٦).

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أحمد في المسند (٣٠٧،٣٠٨) وإسناده حسن مع الشواهد.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الانشراح آية رقم (٥).

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية (٤١).

الهجرة . فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الإثنين لثمان ليال خلون من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة مسرعًا قاصدًا العير ، ولم يكن على أهبة قتال ، وليس معه إلا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ، ولم يكن معهم إلّا فَرَسان وسبعون بعيرًا ، يعتقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد ، ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يأخذ دوره في العُقبة مع علي بن أبي طالب ، ومرثد بن أبي مرثد على بعير . وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون على بعير وهكذا .

فلما بلغ أبا سفيان خروج الرسول - صلى الله عليه وسلم - أرسل ضَمْضَم الغفاري يستنفر قريشًا لإنقاذ عيرهم ، وأخذ بالعير إلى أسفل جهة الساحل ، وترك طريق بدر[١] .

وذكر ابن هشام أن عاتكة أخت العباس رأت في المنام أن راكبًا وقف في الوادي في مكة على بعيره ، وصرخ بأعلى صوته ألا انفروا يالَغُدر لمصارعكم في ثلاث ، وفعل مثل ذلك في الحرم ، ومثل ذلك على جبل أبي قبيس ، ثم أرسل صخرة فهوت ثم تفتت ، فلم يبق بيت ولا دار في مكة إلا ودخله فيها شيء[٢] .

وفي اليوم الثالث دخل ضمضم الغفاري مكة ، وصرخ في الوادي واقفًا على بعيره ، قد قطع أنف البعير ، وحول رحله ، وشق قميصه على عادة الجاهلية للإثارة ، وهو يدعو باللطمة يقول : يا معشر قريش ؛ أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها فتجهز الناس سراعًا ، وخرجت قريش كما قال تعالى :

﴿ بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[٣]

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة النبوية نقلًا عن مصادر موثوقة مع سوق الأسانيد ، وذلك في صـ ٣٨٧- [٢/٥١٥] ، وقد استوعب الإمام ابن كثير - رحمه الله - وقائع هذه الغزوة المباركة ، وفيها العجائب والغرائب فراجعه .

(٢) ذكرها الإمام ابن كثير في السيرة النبوية صـ [٢/٣٨١] إذ قال : قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن عكرمة عن ابن عباس ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ؛ قالا : ثم ذكر رؤيا لعاتكة بنت عبد المطلب ...

(٣) سورة الأنفال آية (٤٧) .

وتذكرت قريش ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من حرب ودماء حجزهم عن الانتقام ظهور الإسلام، واشتغال الناس به. فقالوا نخشى أن بني بكر يأتونا من خلفنا، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم المُدْلجي، وكان من أشراف كنانة، فقال إبليس لقريش: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا مسرعين[١].

فلما نجا أبو سفيان بِعيرِه أرسل إلى قريش يطلب منهم الرجوع، ويقول: إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجّاها الله - فارجعوا. فقال أبو جهل ابن هشام، والله لا نرجع حتى نرد بدرًا، فنقيم عليه ثلاثًا فننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونُسقى الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا، فلا يزالون يهابوننا أبدًا.

فرد عليه الأخنس الثقفي وقال: إنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير منفعة. فرجع الأخنس ومن معه، ورجع أفراد من قريش[٢].

ولما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خروجُ قريش استشار الناس، فتكلم أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - وأحسن. وتكلم عمر وأحسن. وتكلم المقداد بن عمرو فقال: امضِ يا رسول الله؛ لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا. إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه[٣].

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في السيرة نقلًا عن ابن إسحاق صـ [٣٨٦/٢] مع ذكر الإسناد، ثم قال: قلت: وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم﴾ الآية من سورة الأنفال (٤٧) وقد قال السيوطي في الدر المنثور [٧٨،٧٧/٣]: أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، ثم ذكر قصة الشيطان في صورة سراقة بن مالك - رضي الله عنه - آنذاك.

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٣٩٩/٢،٤٠٠] نقلًا عن ابن إسحاق مع تأكيده له على ما ذكر من هذه القصة وزاد عليه من مصارد أخرى.

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٣٩٢/٢-٣٩٥]، نقلًا عن مصادر موثوقة، ومنها ابن رساف الصحيح ثم قال: هذا إسناده ثلاثي صحيح على شرط الصحيح.

فدعا له الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم قال، عليه الصلاة والسلام، أشيروا علي أيها الناس؛ فقال سعد بن معاذ - رضي الله عنه - وهو الذي يحمل راية الأنصار يومئذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل. قال سعد: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به حق. أعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله؛ لما أردت فنحن معك. فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا. إنا لصُبُرٌ في الحرب صدقٌ في اللقاء لعل الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينُك، فسر بنا على بركة الله. فُسرّ رسول الله بقول سعد ونشَّطه، ثم قال: سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين[1]، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. وارتحل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى نزل في العدوة الدنيا ونزلت قريش في العدوة القصوى[2]. وما يعلم أحد بأحد حتى طلبت قريش الماء، ثم قال سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: يا نبي الله؛ ألا نبني لك عريشًا تكون فيه ونُعدّ عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرَنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام - يا نبي الله - ما نحن بأشد لك حبًّا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك، يَمنَعُك الله بهم، يناصحونك، ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خيرًا ودعا له[3].

واطلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الكثيب على قريش؛ فقال: اللهم؛ هذه قريش قد أقبلت بِخُيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك. اللهم؛ فنصرَكَ الذي وَعدتني. اللهم؛ أحِنْهم الغداة. أي: أهلكهم. ثم طلب أفرادٌ من قريش المبارزة من أبناء عمهم من المسلمين - فبارزوهم فكانت الغلبة للمسلمين، وقتل

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال (٧،٨).

(٢) إلى هذا يشير قوله تعالى في سورة الأنفال آية (٤٢)، ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

(٣) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٠٣،٤٠٤] نقلًا عن ابن إسحاق إذ قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدث: أن سعد بن معاذ قال: ثم ذكر قصة بناء العريش.

كل مسلم قرينه من الكافرين، فتصاف الفريقان وتقابل الجمعان فعدَّل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صفوف أصحابه، ثم رجع إلى العريش، ومعه أبو بكر.

وأخذ نبينا - صلى الله عليه وسلم - يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول فيما يقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد، وأبو بكر يقول: يا نبي الله؛ بعض مناشدتك ربَّك، فإن الله منجز لك ما وعدك[1]. وخفق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خفقة ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريلُ آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النَّقْع[2].

وأنزل الله تلك الليلة مطرًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا منعهم من التقدم. وكان على المسلمين طلًّا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، وصلَّب به الرمل، وثبت به الأقدام، ومَهّدَ به المنزل، وربط به على قلوبهم، واستنصر المسلمون ربهم فأوحى الله إلى الملائكة:

﴿ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فوق فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[3].

وأوحى إلى نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[4]

---

(١) ذكره ابن كثير في السيرة [٢/٤١١،٤١٢]، وقد علق عليه ابن كثير تعليقًا جيدًا.:.. ثم قال: وكان الصديق - رضي الله عنه - رقيق القلب، شديد الإشفاق على رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة من [٢/٤٢٠] نقلًا عن ابن إسحاق، وهذا بدوره ينقل ويروي عن الثقات بإسانيد متصلة فراجع السيرة [٢/٤١١-٤٢٠].

(٣) سورة الأنفال آية (١٢).

(٤) سورة الأنفال آية (٩).

فلما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه، وتبرأ من قريش، وقال: ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١].

وتقابل الصفان فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المسلمين فحرضهم، وقال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتل اليوم رجل فَيقتَل صابرًا محتسبًا مقبلًا غير مدبرٍ إلا أدخله الله الجنة[٢].

فلما دنا الناس بعضُهم من بعض أخذ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حَفْنة من الحصباء، فاستقبل قريشًا بها ثم قال: شاهت الوجوه ثم نَفَحَهم بها وأمر أصحابه فقال: شدوا، فكانت الهزيمة على الكافرين، والنصر لله ولرسوله وللمؤمنين.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[٣].

فقتل من المشركين سبعون رجلًا فيهم صناديد قريش وأشرافهم وسادتهم، وأسر سبعون[٤].

وقاتلت الملائكة يوم بدر، فجاءت سحابة سمع فيها حَمْحمة الخيل، وسُمع قائل يقول: أقدم حيزوم[٥].

وكان المسلم يتبع المشرك ليقتله فيقع رأسه قبل أن يصل إليه. وسيْما الملائكة عمائم بيض أرسلوها على ظهورهم. ويوم حنين عمائم حمراء. إلا جبريل - عليه

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٨).

(٢) إشارة إلى حديث أبي قتادة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الإمارة برقم (١١٧) وعام ١٨٨٥ وقد رواه الأموي في مغازيه كما عند ابن كثير في السيرة [٢/٤٢٤]، بهذا اللفظ.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنفال آية رقم (١٧).

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح بالسياق الطويل الجهاد حديث رقم خاص ٥٨، وعام ١٧٦٣ وفيه هذا اللفظ المبارك، وأورده مختصرًا الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٢٦،٤٢٧]، وعزاه إلى مسلم في الصحيح.

(٥) أورده الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٢٦،٤٢٧] نقلًا عن ابن إسحاق بإسناده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم ذكره.

السلام - فكانت عمامته يومَ بدر صفراء[١]، وانكسر سيف عكاشة بن محصن الذي شهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة[٢]. فأعطاه جِذْلًا من حطب، فقال: قاتل بهذا، فلما هزّه في يده عاد سيفًا طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديدة، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين. هذا ملخص موجز عن يوم الفرقان[٣] وهذه سنة الله في خلقه، فالتدبير بيد الله، والنصر بيد الله.

وكثرة العدد ليست هي التي تكفل النصر[٤]. والعدة المادية ليست هي التي تقرر مصير المعركة.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[٥] ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ. وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٦] فاتقوا الله أيها المسلمون.

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم وفي سنة نبينا الأمين، وارحمنا وجميع المسلمين ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٧].

---

(١) أورده الإمام ابن كثير في السيرة نقلًا عن البيهقي من دلائل النبوة عن أبي أمامة - رضي الله عنه - صـ [٢/٤٢٨،٤٢٩]، وكذا نقلًا عن يونس بن بكير عن عيسى بن عبد الله عن الربيع بن أنس به ثم ذكره.

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٤٦] مختصرًا نقلًا عن ابن إسحاق مع ذكره أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بشره بالجنة وقال: هذا الحديث مخرج في الصحاح.

(٣) هذا لفظ الإمام ابن كثير في السيرة [٢/٤٤٦]، نقلًا عن ابن إسحاق، رحمه الله تعالى، ثم زاد عليه بقوله: وكان ذاك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (٢٥): ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

(٥) سورة آل عمران آية رقم (١٢٦).

(٦) سورة البقرة آية رقم (٢٤٩).

(٧) سورة البقرة آية (١٢٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[1] . اللهم ، لك الحمد خلقتنا ورزقتنا ، وهديتنا وعلمتنا ، وانقذتنا وفرجت عنا .

لك الحمد بالإيمان ، ولك الحمد بالقرآن ، ولك الحمد بالأهل والمال والولد والمعافاة كبَّتَّ عدونا ، وبسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا ، وجمعت فرقتنا ، ومن كل ما سألناك أعطيتنا . ولك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث ، لك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد إذا رضيت .

وأشّهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله . عرف الدنيا وزاولها ، فلم يلتفت إليها ، وعرف الآخرة وبقاءها فأقبل عليها .

اللهم ، صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أمَّا بعدُ . فأوصيكم وإياي بتقوى الله . فلا سعادة للمرء ولا صلاح إلا بالتقوى .

ولكي نعرف قيمة ما نحن فيه من الأمن والرخاء يجب أن نتعرف على أحوال الأخرين ، وأن نقرأ من أخبار الماضين .

والأجدر بالمسلم أن يدرس سيرة سيد الأولين والآخرين . روى مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم أو ليلة ، فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؛ قالا : الجوع يا رسول الله . قال : وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما ، قوموا ، فقاموا معه . فأتى رجلًا من الأنصار ، فإذا هو

---

(١) سورة الفاتحة (١) .

ليس في بيته ، فلما رأتهَ المرأة قالت : مرحبًا وأهلًا ، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أين فلان ؟ قالت : ذهب يستعذب لنا الماء . إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرمَ أضيافًا مني . قال : فانطلق فجاءهم بعذق . فيه بسر وتمر ورطب ، فقال : كلوا من هذه ، وأخذ المدية ، فقال : رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إياك والحلوب . فذبح لهم فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق ، وشربوا ، فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لابي بكر وعمر : والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ، أخرجكم من بيوتكم الجوع ، ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم[(١)] .

الحمد لله على نعم الله . فتأملوا المآكل والمشارب في البيوت الآن . الحمد لله على نعم الله . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[(٢)] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا** » .

---

(١) مسلم في الصحيح كتاب الأشربة حديث رقم خاص ١٤٠ وعام ٢٠٣٨، ومن حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - بسياق طويل ونحوه حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في قصة الخندق أخرجه مسلم برقم ١٤١ خاص وعام ٢٠٣٩ بسياق طويل وفيه عبر ومواعظ .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة

٢٢ / ٩ / ١٣٩٩

[في الجهاد]

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه ، واستوجبه على خلقه ، ناصيةُ كلِّ شيء بيده ، ومصيرُ كلِّ شيء إليه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(١) .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ، وأمينه على وحيه ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد .. فأوصيكم - عباد الله - بتقوىٰ الله . فإنها العصمة من كل ضلالة ، والسبيلُ الى كل نجاة . واعلموا أن الجهاد باب من أبواب الجنة ، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذُّل وشمْلة البلاء ، وألزمه الصغار .

الجهاد عهد بين المؤمن وبين ربه ، وتجارة رابحة مع الله تعالى ، ثوابه الجنة ، وعاقبته النصر والعزة والسيادة والقيادة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢) .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٨) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (١١١) .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، - ضمن الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمانٌ بي ، وتصديقٌ برُسُلي فهو ضامن أن أدخله الجنه ، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر - أو غنيمة . والذي نفسُ محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلّا جاء يومَ القيامة كهيئته يومَ كُلِم ، لونُه لون دم ، أو ريحه ريح مسكٍ . والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدًا . ولكن لا أجد سعة فأحملُهم ولا يجدون سعة . ويشق عليهم أن يتخلفوا عني . والذي نفسُ محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل . ثم أغزو فأقتلَ ثم أغزو فأقتل . رواه مسلم » ..

أيها الناس ؛ إن النفس تهاب القتال ؛ لأنها تحب الحياة ، ولكن المؤمن بوعد الله ، والمؤمن بما جاء من عند الله ، يعلم أن الآجال محتومة ، والموتَ لابد منه واقعٌ لا محالة ، فَلأَن يكون الموتُ على كرامة وشهادة ، في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ثوابها الجنة ، والحياةُ الأبدية ، والنعيم السرمدي - خيرٌ من حياة الذُّل والإهانة والرضوخ لضغوط الأعداء .

والنفس أيضًا تكره القتال ؛ لأنه يحتاج إلى إنفاق المال ، والمؤمن يعلم أن هذه الحياة كلَّها عَرَض زائل سيفارقه عن قريب . والمؤمن يعلم أن ما عند الله خير وأبقى . والنفس أيضًا تكره القتال ؛ لأنها تخشى ألم الموت ، ولكن الشهادة في سبيل الله ليس فيها آلام ؛ لأن الشهيد يفرح بما يجده من تثبيت الله وإعانته ، وإقباله على حياة هي أكرم من هذه الحياة . وما يجده الشهيد من ألم الموت إلّا كما يجد أحدكم من قرصة بأطراف الأصابع ، أو قرصة نملة ونحوها لا تُحْدِث ألمًا ولا تترك أثرًا . قال صلى الله عليه وسلم : « ما يجد الشهيد من مس القتل إلّا كما يجد أحدكم قرصة » إذًا فالاحتمالات التي ينفذ منها الشيطان إلى النفس لتثبيطها كلُها منْتَفِيةٌ ، فالموت لابد

(١) سورة الحجرات آية رقم (١٥) .

منه بأي سبب ، والقرصُ زائل ، والألم مفقود ، والثمن موجود ، والمشتري غني كريم .

فلم يبق أمام المسلم ما يمنع من طلب الشهادة وتمني الشهادة ، فإن من تمنى الشهادة في سبيل الله كُتبت له وأعطي ثوابها وجزاءها ، وإن مات على فراشه .

قال - صلى الله عليه وسلم - : « من تمنى الشهادة أعطيها وإن لم تصبه » . فالعزم على الجهاد واجب عيني على كل مسلم ، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » .

فالإسلام لا يرضى للمسلم عيشة الذِّلة والهوان ، ولا يرضى للمسلم أن يقف موقف المسكنة والخمُول .

والإسلام لا يرضى للمسلمين أن يكونوا في مؤخِّرة القافلة . الإسلام يريد للمسلم أن يكون شامخ الرأس ، أشمَّ الأنف ، قويَّ الشكيمة ، كريم المنزلة ، عزيز النفس ، له القيادة والرئاسة ، لإقامة العدل بين الناس ، ورفع الظلم عن الناس ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[1] ولذلك كان الجهادُ ذروة سنام الإسلام ، وقاعدة ترتكز عليها قوته وعزته وانتصاره .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2]

قرأ النبي - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية ، وهو على المنبر ، وقال : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » . ألا إن القوة الرمي . كررها ثلاثًا ، والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، يخاطب أمة مؤمنة ، فإن أعظم قوةٍ يعتمد عليها الجهاد في سبيل الله هي الإيمان ، فواجب على المسلمين أن يعدوا لجهادهم شبابًا مؤمنًا بالله مؤمنًا برسول الله ،

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم (١٠٧) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٦٠) .

صلى الله عليه وسلم ، فجهادٌ بِلا إيمان غير ناجح وغير منتصر ، فالمؤمن يقاتل لينالَ الشهادة والثواب من الله تعالى والرضوان ، فهو يقاتل يَطْلُب الموت ، وفي المثل السائر : اطلب الموت توهب لك الحياة . والمؤمن له تأييد من الله ، وغير المؤمن يقاتل ليعيش ، ويقاتل من أجل الدنيا ، فهو يَفرُّ من الموت ، ولا يثبت كما يثبت المؤمن ؛ ولذلك وجب على المسلم أن يصمد أمام اثنين من الكافرين يقابل إنسان بإنسانا ، ويقاوم الآخر بالإيمان ودوافع الإيمان . القوة الثانية هي العدة بأنواعها وأساليبها ، فالرميُ كل ما يرمى به في الحرب ، فيشمل البنادق والرشاشات ، والمدافع والقنابل ، والصواريخ بأنواعها . ورباط الخيل وما حل محله مما يُركب في الحرب كالدبابات ، والمدرعات والسيارات والطائرات .

فواجب على المسلمين أن يعدوا هذه القوة ، وأن يتمرنوا عليها ، وأن يصنعوها بأنفسهم فما زاد أولئك بعضو من الأعضاء ، وإنما زادوا بالعمل والجد والتخطيط ، والتعاون ، فكل يعمل لمن بعده ، وكل يبدأ من حيث وقف سابقه . أما المسلمون فإنهم في غفلة ، في إهمال ، فدُخِلوا وفُرقوا وأُخرجوا عن دينهم ، فاتقوا الله أيها المسلمون يا شباب الإسلام كفى ما مضى ، كفى ما نحن فيه ، هل تريدون مزيدًا من الذلة والهوان .

إن الحالة الراهنة توجب العجب من جد أولئك والشك في باطلهم وصبرهم على تنفيذ مخططاتهم ، وتقاعُس المسلمين عن حقهم وإستسلامهم لعدوهم ، فصاروا غرضًا يُرمى ، يغار عليهم ولا يُغيرون . ويعصَى اللهُ ويرضوَن ، فاتقوا الله يا شباب الإسلام يا رجال المستقبل وقادته .

كل ما حصل على المسلمين مما نرى إنما هو بسبب بعدهم عن دينهم ، وفصل الدين عن الدولة ، وفصل السياسة عن الدين إنما حصل بسبب صدود المسلمين عن كتابهم ودستور دينهم ، كل ما حصل بسبب انجراف المسلمين خلف مخططات أعدائهم ، أعطونا أخبث ما عندهم فأخذنا ؛ ودعونا لشر ما عندهم فأجبنا ، وأخذوا أحسن ما عندنا فرضينا ، شغلونا عن كتاب ربنا ومصدر قوتنا فانشغلنا ، وصدونا عن صراط ربنا فانصرفنا ، اشتروا منا الضمائر فبعناها ، وطلبوا منا البلاد فأعطيناها ، وطلبوا منا التفرق فتفرقنا فهل يبقى لكم يا مسلمون بعد هذا قوة ؟ كيف تريدون النصر وأنتم

كذلك ؟! اتقوا الله يا أمة الإسلام ، ارجعوا إلى دينكم ، وتوبوا إلى ربكم . لن تكون لكم قوةٌ حتى تعودوا إلى الله ، ولن تكون لكم هيبة حتى تخافوا من الله ، لن يكون لكم نصر حتى تعتصموا بحبل الله ، إن النفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلّا إذا انتصرت في المعارك الأخلاقية والشعورية ، فالذين تولوا يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا من الذنوب .

والذين انتصروا في حرب رمضان كانوا صائمين تائبين مستغفرين معتمدين على الله ، صادقين وَعْدَ الله فصدقهم الله ونصرهم . وهذا هو الذي زلزل الأرض تحت أقدام الأعداء ، فَبَذلوا كل شيء للقضاء عليه . فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، اللهم ؛ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله القوي العزيز، لا يَذل من ولاه، ولايَعز من عاداه، وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ﴿ نعم المولى ونعم النصير ﴾.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، بلّغ رسالة ربّه، وجاهد في الله حق جهاده، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهديه ومن اتبع ملّته.

أما بعد.. فإن واقع المسلمين الآن مؤلم لا يُرضي الإسلامَ؛ صاروا أداة في يد عدوهم يُحرِّض بعضهم على بعض، ويحمل بعضُهم على بعض، وهم منقادون مستسلمون، رغبة في هذه الدنيا، وصدودًا عن الآخرة يا أمة الإسلام؛ إن نور الإيمان كامن في قلب كل مؤمن، وبذور الإسلام موجودة في شعور كل مسلم. فالنُّور يحتاج إلى إزالة الحواجز ليضيء من الخارج. والبذور تحتاج إلى سقي ورعاية لتؤتي ثمارها. والمسلمون في حاجة إلى راية جهاد صادق يلتفون حولها لقد سئم المسلمون، وحتى غير المسلمين من الشعوب سئموا نظامهم، فالكل يبحث عن الطريق الذي خلق من أجله، وعن النظام الذي يتفق مع فطرته. فالنفس مجبولة على التطلع إلى التقدم، واستمرار الآمال، وهذه الدنيا تنتهي آمالُها عند بلوغ غاياتها، وهي قريبة المدى. أما المسلم فإنه لا تنتهي آماله حتى يبلغ منتهاه ومنتهاه عند مولاه في جنة لا يبلغها تصوره ولا مناه، وأن إلى ربك المنتهى.

أيها المسلمون يا شباب الإسلام؛ إن المسلم لا يصلح أن يكون كسولًا، ولا مخذولًا، ولا جبانًا، ولا بخيلًا، وإنما هو عضو في جسم الأمة، وجندي من جنودها، دائمًا مرابطٌ في سبيل الله، وعلىاستعدادٍ لتحمل مسئوليته في الحياة، والجهاد لإعلاء كلمة الله، والدفاع عن مقدسات الله، فكونوا كذلك وأعِدُّوا للأمر عدته، وأحرصوا على التدريب والتمرين على جميع الآلآت والأساليب. فتحويل أوقات الفراغ في التدزيب أفضل من صرفها فيما لا ينفع، واحتسبوا الأجر من الله

تؤجروا ، والأجل قريب فكل ميت يختم على عمله إلا المرابطُ في سبيل الله فإنه ينمى له عملُه إلى يوم القيامة ، ويؤمَّن فتنة القبر وسؤال منكر ونكير . قال ، صلى الله عليه وسلم ، : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أُجْرِيَ عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجري عليه رزقه ، وأمن الفتان » ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة

٧ / ٦ / ١٤١٢

[وجوب طاعة القائد في غير معصية]

الحمد لله رب العالمين . جعل في كل أمة إمامًا يتحمل المسئوليات والأعباء والتَّبعات يُتَّقى به ، ويُدفع به الأعداءُ ، والأخطارُ ، يقيم العدل ، ويدفع الظلم ، وينظر في المصالح .

واشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . أمر بالجماعة ، وحث على السمع والطاعة ، ونهى الفرقة والاختلاف .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ما بعث سرية إلا أمَّر عليهم واحدًا منهم ، وأمَرهم بطاعته ، ونهاهم عن الشقاق .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد نبي الرحمة شفيع الأمة ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسَان وسار على نَهجهم واستقام .

أما بعد .. فبفضل الله وبرحمته جَمع قلوب المؤمنين وألّف بينها من عهد النبوة إلى أن تقوم الساعة لا يَضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم ؛ لأنهم معتصمون بحبل الله متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- يشُدُّهم الترابط والتعاون ، والسمع والطاعة لولاة أمورهم ، فحرسهم الله برعايته وتوفيقه ، ويسَّر أمورهم ، وحماهم من كيد الحاسدين .

ولما كانت الطاعةُ مرتبطةً بالجماعة والاعتصام ، أمر الله تعالى وأمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، بلزوم الجماعة والاعتصام بحبل الله ، ونهى عن الفرقة ؛ لأن الجماعة قوة ومَنَعة ، والفرقةَ فشلٌ وهلكة . قال تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[١]

وقال جل جلاله :

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢]

فمتى تمسكت الأمة بكتاب ربها ، وعضّت على سنة نبيها ، والتفّت حول ولي أمرها ، فهي مؤمنةٌ ، معتصمةٌ بحبل الله ، ملازمة لجماعة المسلمين . فطاعة ولي الأمر من طاعة الله ، ومن طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الله أمر بطاعة ولي الأمر في محكم التنزيل ، وأمر - صلى الله عليه وسلم - بطاعته في صحيح المنقول . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[٣]

روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قال : حقٌ على الإمام أن يحكمَ بالعدل ويؤديَ الأمانة ، فإذا فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه[٤] .

وقال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماءَ ، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأُخراهم ، وإذا استخفُّوا بهذين أفسد الله دنياهم وأُخراهم[٤] .

وأولو الأمر هم الأئمة والأمراء .

---

(١) آل عمران (١٠٣) .

(٢) آل عمران (١٠١) .

(٣) النساء (٥٩) .

(٤) تفسير القرطبي مجلد (٣) جزء (٥) صـ ٢٥٩.

قال ابن جرير الطبري : فإذا كان معلومًا أنه لا طاعةَ واجبة لأحد غير الله أو رسوله أو إمام عادل ، وكان الله قد أمر بطاعة ذوي أمرنا ، بقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[1] كان معلومًا أن الذين أمر الله بطاعتهم تعالى ذكُره من ذوي أمرنا هم الأئمة ومن ولى أمر المسلمين .

وقال القرطبي :[2] لما أمر الله تعالى الولاة في الآية المتقدمة بأداء الأمانات ، وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، أمر تعالى في هذه الآية بطاعته أولًا ، وطاعة رسوله ثانيًا ، ثم بطاعة الأمراء ثالثًا .

وقال ابن كثير : الآية عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء ، وصحَّت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان لِلَّه طاعةً ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني ، وإنما الإمام جنةٌ يُقاتَل من ورائه ، ويُتَّقى به ، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرًا ، وإن قال بغيره فإن عليه منهُ »[2] .

وروى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « اسمعوا وأطيعوا وإن استُعْمل عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسه زبيبة »[3] .

وفي الحديث المتَّفق عليه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبرًا فيموت إلا مات ميتة جاهلية »[3] . الجاهلية ما قبل الإسلام ، فمن مات في الجاهلية فليس له إمام وقبل بلا إسلام ، وكذلك الذي يفارق

---

(١) تفسير القرطبي مجلد (٣) جزء (٥) صـ ٢٥٩.

(٢) تفسير القرطبي مجلد (٣) جزء (٥) صـ ١٥٩.

(٣) البخاري مجلد (٩) صـ ٧٨ كتاب : الأحكام ، باب : السمع والطاعة .

الجماعة ويشق الطاعة ولم يتُب حتى مات فهو كالذي مات في الجاهلية . فالسمع والطاعة لولي الأمر من أصول الإسلام يجب التمسك بها في المنشط والمكره ، ولا تتوقف على الرغبة والهوى ولا على المحبة والرضا .

وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أنه ستكون بعده أثرة وأمورٌ تنكر وأمر عليه الصلاة والسلام بأداء الحق وسؤال الله ما فات .

فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « إنكم سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها . قالوا : فما تأمرنا يا رسول الله . قال : أدُّوا إليهم حقَّهم ، وسلوا الله حقَّكم »[1] .

روى مسلم عن وائل بن حُجر - رضي الله عنه - قال : سأل سلمة بن زيد رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا نبي الله ؛ أرأيت إن قام علينا أمراءُ يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا ، فما تأمرنا ؟ قال : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم »[2] .

والتمسك بالبيعة والثباتُ عليها واجب امتثالًا لأمر الله وأمر رسوله ، صلى الله عليه وسلم .

روى مسلمٌ عن عبد الله بن عمر ؛ قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[3] .

اتقوا الله أيها المسلمون ؛ اعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا ، والزموا كتاب الله يهدكم للتي هي أقوم ، وتمسكوا بسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيما لكم وعليكم تفلحوا وترشدوا ، وأطيعوا ذا أمركم تُوفَّقوا ، وتسددوا ، وتنصروا .

---

(١) المشكاة صـ ٣١٨ ج الثاني كتاب : الإمارة .

(٢) رياض الصالحين صـ ٢٦١ باب : السمع والطاعة .

(٣) رياض الصالحين صـ ٢٥٩ باب : السمع والطاعة .

اللهم ؛ ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، اللهم ؛ لك الحمد ربنا أنت أهل الحمد والثناء ، حفظت عقيدتنا من الشوائب ، وحميت بلادنا من دسائس إبليس ، وهديتنا للإيمان والتوحيد . لك الحمد ، جمعت شملنا على إمامنا ، ووحدت صفوفنا خلف قائدنا ، ونصرتنا وأعززتنا ، وكبتّ عدونا ، وحفظتنا من الفتن . اللهم ؛ ارزقنا شكر نعمك ، وزدنا من فضلك وإحسانك ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . جعل الكتاب والسنة حكمًا بين المختلفين .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له عدلٌ يحب المقسطين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين أسوة المؤمنين .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على خاتم النبيين قائد الغرِّ المحجَّلين ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن قواعد الإسلام وفروض الإيمان واضحة بينة متفق عليها ، ولا يخالف فيها إلا من قدَّم عقله وهواه على النصوص ، وإن حصل خلاف بين المسلمين في بعض المسائل الفرعية فكما حصل بين الصحابة - رضي الله عنهم - في مسائل اجتهادية في فهم نص ، أو استنباط حكم ، أو أمر استجدَّ ، ولكنهم كانوا إذا اختلفوا في أمر رجعوا فيه إلى الله ورسوله ، فكان التوفيق منارهم ، والسداد هدفهم ، والسمع والطاعة رائدهم .

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[1]

ولا يُخرجهم تنازعهم عن دائرة الإيمان ، ولا يزحزحهم عن الحق والصدق ، ولا عن صراط الله السوي .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ؛ يجب علينا جميعًا إخوتي في الله أن نَرُدَّ ما اختلفنا فيه من أمور الدين إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك مقتضى الإيمان عملًا بقوله تعالى :

---

(١) سورة النور الآية (٥١) .

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١)

وواجب رد ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى كتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما قال سبحانه :

﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾(٢)

فما حكم به الكتاب والسنة فهو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال . والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل ، وخير من التنازع ، وأحسن من آرائكم وتأويلكم ، أحسن مرجعًا ومآلًا .

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣) .

---

(١) النساء الآية (٥٩) آخر الآية .

(٢) سورة الشورى الآية (١٠) .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة

١٤ / ١٠ / ٩٣

[الجهاد في سبيل الله]

الحمد لله الذي كتب النصر لعباده المؤمنين .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له العزة ولرسوله وللمؤمنين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أسوة المجاهدين ، وقائد الغرِّ المحجَّلين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين رفعوا راية الإسلام ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، رحماء بينهم أشداءُ على الكافرين ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن الأمة الإسلامية تخوض اليوم معركة الجهاد في سبيل الله ، لنصر المظلوم ، وقمع الظالم ، وأخذ الحقوق الإسلامية من غاصبها الغاشم . وقد تجلت الوحدة الإسلامية من جميع جوانبها ، وفي جميع معانيها ، وبرزت بالعمل والجهاد المقدَّس ، بجميع إمكانياتها بعزم وحزم وتدبير ، واعتماد على الله تعالى ، فاعتصمت الأمة الإسلامية بحبل الله ، ولهجت ألسنتها بذكر الله في جهادها تهليلًا وتكبيرًا ، فخرًا بدينها واعتزازًا واستعانة بربها ، واعتمادًا عليه ، فهزت أركان الصهيونية الماكرة ، وحطَّمت أساطيرها وأحلامها ، وبدَّدت قوتها ، وهتكت حصنها ، وغرست الرعب في قلبها وأطرافها وأعوانها ، واهتزَّت لهم الدنيا في مشارقها ومغاربها خوفًا وقلقًا ، فصارت تطلب ودها وصداقتها ، فالحمد لله الذي وفق لذلك عباده المؤمنين .

أيها المسلمون ، إن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام ، وهو حق واجب على المسلمين لدينهم وأمتهم ، وهو من أفضل الأعمال التي تقرب إلى الله تعالى ، وهو مفتاح من مفاتيح الجنة ، وسُلّمٌ يَرقى به المؤمن في درجاتها ، وقد تكفَّل الله لمن خرج في سبيله أن يدخله الجنة ، أو يردَّه إلى بيته الذي خرج منه بأجر وغنيمة ، فهنيئًا لمن جاد بنفسه وماله في سبيل الله .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(١)

ولو يعلم المسلم ما للمجاهد في سبيل الله من الأجر والثواب عند الله لتمنى أن يغزو في سبيله فيقتل، ثم يغزو فيقتل، ثم يغزو فيقتل.

أيها المؤمنون؛ إن الجهاد كما أنه يحتاج إلى الرجال والعتاد، فإنه أيضًا يحتاج إلى المال والتعاون في جمع المجالات الحربيَّة والسياسيَّة والإقتصاديَّة، ومن أهم الأمور التي لا يستغنى عنها هو الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، والاستعانة به، وطلبُ المدد والنصر منه.

قال - صلى الله عليه وسلم: «قاتلوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم، فمن جهز غازيًا فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا، وكلُّ من أعان المجاهدين على جهادهم بأي نوع من الإعانة فهو مجاهد».

أيها الإخوة في الإسلام؛ إن لنا إخوانًا في الدين وأحبابًا في الله، يقفون في ساحة القتال، وعلى خط العز والشرف، جادوا بأنفسهم ودمائهم للكفاح والفداء، اختاروا الصحاري لهم مسكنًا، وجعلوا الدبابات والمدافع لهم سررًا، وجعلوا السهر والمرابطة لهم سكنًا، ولم يبالوا بالقنابل والرصاص فهى لهم لحافٌ، ولا بأعاصير الدخان والغبار فهي لهم منتزه، تمثَّلَتْ فيهم الشجاعة العربيَّةُ، والأُخوَّةُ الإسلاميَّة.

يقاتلون عدوَّ الله وعدوَّكم، ويدافعون عن حقوق الأمة وكيانها، ويناضلون عن شرفها وعزتها، فكونوا معهم أينما كانوا، وسيروا معهم أينما ساروا، واهتموا بأمورهم كيفما كان اهتمام المسلم بأخيه المسلم، كونوا خلفهم وسندًا لهم بما آتاكم الله من مال وقوة ومقال.

أخي المسلم، لما لم يقدَّر لك الجهاد بالنفس فلا يفتك الجهاد بالمال، فإن المال فيه قوام الحياة وقوة الجهاد، وإن النفقة في سبيل الله تضاعف سبعمائة ضعف، ولا تحقرن من المعروف شيئًا، اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن تصدق في سبيل الله بريال فله سبعمائة، ومن نتصدق بعشرة فله سبعة ألاف، ومن تصدق بألف فله سبعُمائة ألف، فبادر أيها المسلم؛ وطِبْ نفسًا بشيء من فضل المال الذي آتاك الله، لينفق ذو

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩).

سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله .

واعلم أخي المسلم ؛ أن الصدقة لا تنتقص المال ، بل تنمي المال ، وتزكيه ، وتطهره ، لأنها متاجرة مع الكريم الجواد ، مالك الملك ورب الأرباب ، وهي فرض لله مضاعف الجزاء .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(١)

والمتصدق إنما يضع الصدقة في يد الرحمن ينميها له ويربيها له ، وهي سبب لقبول التوبة والغفران .

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(٢)

أخي المسلم ؛ أرأيت لو أن ذا منصب وجاه وسلطان ومال . طلب منك قرضًا ألا تسارع إلى إعطائه تقديرًا له وتقربًا إليه ، وتحببًا إليه ، أرأيت لو أن غنيًا مليًا طلب منك تجارة بربح محدود ألا تجيب طلبه رغبة في الربح ، فهذا ربك - أيها المسلم - مالك الملوك ، وخالق الخلق ، منه منشؤك ، وإليه معادك ، يدعوك لتقرضه قرضًا حسنًا . يدعوك لتتجر معك صفقة رابحة بشيء من فضل المال الذي آتاك يخلف عليك ما أنفقت ، ويبارك لك فيما أبقيت . أيها المسلم ؛ إن الإنسان لا يفرح بالمال ، ولا يقتني إلّا المال ليجده ذخرًا عند الحاجة إليه ، فأي شيء أحوج من هذا اليوم ، فهذا هو اليوم الذي يدخر من أجله المال ، فجاهد - أيها المسلم - بشيء من فضل مالك ولو كان قليلًا ، فإن القليل ، من الكثير كثيرٌ ، وجاهد - أيها المسلم - بلسانك في جميع المواقف والمجالات ، واعلم أن التضرع إلى الله والالتجاء إليه ، والاستعانة به من أهم عوامل النصر والتأييد ، فارفعوا أكُفَّكُمْ ، وأحضروا قلوبكم ، وتوجهوا إلى الله ، وعلّقوا آمالكم بالله ، وأيقنوا بالإجابة منه ، فإنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (١٠٤) .

اللهم ؛ أعزَّ الإسلام والمسلمين . اللهم اجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وألِّف بين قلوبهم على البرِّ والتقوىٰ ، ووحِّد صفوفهم ، وسدِّد خطاهم ، وكلِّل مساعيهم بالتوفيق والنجاح . اللهم ؛ انصر جيوش المسلمين ، وأنزل البشرى والنصر عليهم ، وطمئن قلوبهم ، وثبِّت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين .

اللهم ؛ انصرهم نصرًا عزيزًا ، وافتح لهم فتحًا مبينًا . اللهم ؛ سدد رميتهم ، وقوِّ شوكتهم ، واحم بيضتهم . اللهم ؛ توجهم بتاج عزك وكرامتك ، وألبسهم درع حفظك ورعايتك ، وقلدهم سيف نصرك وتأييدك . اللهم ؛ أنزل عليهم نصرك الذي وعدته عبادك المؤمنين . اللهم ؛ اخذُل اليهود ومن والاهم . اللهم ؛ شتت شملهم ، وفرِّق جمعهم ، وأضعِف قوتهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وغل أيديهم ، وزلزل أقدامهم ، واقطع حبلك وحبل الناس عنهم . اللهم ؛ مزِّقهم كل ممزق . وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين .

ربنا تقبل منَّا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الجواد الكريم الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمّا بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى وتذكروا إخوانًا لكم من الضعفاء والنساء والصبيان تعرضوا للعدوان اليهودي الصهيوني الغاشم ، وهم في مآمنهم المدنية في فلسطين ، فهدموا بيوتهم ، وأتلفوا أموالهم ، وقتلوا نساءهم وأطفالهم وعائليهم ، مُدُّوا إليهم يد العون بما تطيب به أنفسكم المؤمنة ، وما يجود به ربكم الكريم .

واعلموا أن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، والآخرة هى دار القرار ، فكونوا مع إخوانكم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وكالبنيان يشد بعضه بعضًا . وأكثروا من ذكر الله العظيم ، والصلاة والتسليم على نبيه الكريم ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ عَلَىٰ النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر .

اللهم ؛ وارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . اللهم ؛ ارض عنا معهم بمنِّك وإحسانك يا أرحم الراحمين . اللهم ؛ انصر واحفظ إمامنا وجميع ولاة المسلمين . اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذلَّ الشرك والمشركين ، ودمِّرْ أعداء المسلمين . اللهم ؛ من أراد المسلمين بسوء أو مكر أو خديعة فاشغله في نفسه ، واجعل تدميره في تدبيره يا حي يا قيوم .

اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم ؛ فرّج هم

(١) سورة الأحزاب (٥٦) .

المهمومين. ونفس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضى المسلمين. اللهم؛ أغث بالإيمان قلوبنا، وأغث بالنصر والتمكين جنودنا، وأغث بالماء الزلال أوطاننا. اللهم؛ إنا نعترف لك بتقصيرنا، ونلجأ إليك من ذنوبنا. اللهم؛ فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين. اللهم؛ اسقنا وأغثنا ولا تجعلنا من الآيسين، اللهم؛ إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا بذنوبنا فضلك. اللهم؛ ارحم بلادك وعبادك وبهائمك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت إنك على كل شيء قدير.

عباد الله؛ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهىٰ عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبرُ، والله يعلم ما تصنعون.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة

١٨ / ١٠ / ١٤٠٠

[في الجهاد]

الحمد لله رب العالمين . أعطى وتفضل ثم اشترى بِعِوَضٍ ثمين .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . جعل أبواب الجنة تحت ظلال السيوف .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . كان أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه وأمرنا باتباع سبيلهم والاقتداء بهم .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، ثم اعلموا أن المؤمن بينه وبين الله عهدٌ ، وبينه وبين الله صفقةُ بيع وشراء ، بَيْعٌ لازم لا يقبل الإقالة ولا الاستقالة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١)

ما من مسلم إلا ولله عز وجل في عنقه بيعة ، وفى بها أو مات عليها . ولذلك قال الرسول – صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » . رواه مسلم « من لم يغز ولم يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١١) .

في أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة » . رواه أبو داود .

الأنفس ملك لله ، هو الذي خلقها ، وهو الذي يَرْعاها ، وهو الذي يحييها ويميتها . والأموال ملك لله ، هو أعطاها ورزقها ، وبيده نماؤها وفناؤها .

ومع هذا فقد اشتراها سبحانه بأعلى عوض وأغلى ثمن ، إنها بيعةٌ رابحة ، وصفقةٌ ناجحة ، وكفةٌ راجحة . بيعة لازمة في عنق كل مؤمن ، لا تسقط إلا بسقوط الإيمان والعياذُ بالله ، ولا يتخلف عن الوفاء بها وقت الوفاء إلا من ظهر نفاقه ، وهبطت رجولته .

﴿ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[1] .

الجهاد ذِروَةُ سِنام الإسلام ، فإسلام ليس فيه جهاد لا سنام له . وذلك دليل الضعف والهزال . إن بيعَ الأنفسِ صفقةٌ ظاهرها مُخيف ولكن الحقيقة خلافُ هذا فهو يسير على من يسره الله عليه .

فالموت لا مفر عنه ولا محيد ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[2] والمجاهد في سبيل الله ناجح لا محالة ، إما أن يرجع بما أصاب من أجر وغنيمة ، أو يدخل الجنة يسْرح فيها كيف يشاء ، والاستشهاد ليس موتًا ، وإنما هو انتقال من هذه الحياة المعرَّضة للمصائب والأخطار ، إلى حياة دائمة وعيشة راضية في أكرم دار .

﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياءٌ ولكن لا تشعرون ﴾[3] .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[4] .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٨٧) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٧٨) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (١٥٤) .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٦٩) .

فإذا أيقن المسلم بصدق المشتري ووفائِه أنفد البيع ، وإذا أيقن بنجاح الصفقة وعلو ثمنها أوفى بالعهد . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[1] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾[2] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[3] وأي ثمن أغلى من الجنة وأي أُمْنيَّة للمسلم غير رضا ربه ومناجاته .

الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولهم فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، والغدوة أو الروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ، ما من أحد يدخلُ الجنةَ يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما في الأرض من شيء إلَّا الشهيد يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة .

وأولياء المجاهدين وأحبابهم إذا آمنوا بثواب الله وإنجاز وعده جادت أنفسهم بفراق أبنائهم وأحبابهم رغبة في الخير لهم ورجاء أن يشفعوا لهم .

لمَّا قتل حارثة بنُ سراقة في بدر - رضي الله عنه - قالت أمه الرُّبَيِّعُ بنتُ البراء : يا رسول الله ؛ حدثني عن حارثة فإن كان في الجنة صبرت وإلا اجتهدت في البكاء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا أمَّ حارثة ؛ إنها جنان في الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى » . رواه البخاري وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « للشهيد عند الله ست خصال يُغفر له في أول دفعة ، ويُرى مقعده في الجنة ، ويُجار من عذاب القبر ، ويُؤمَّن من الفزع الأكبر ، ويُوضع على رأسه تاجُ الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويُزوَّج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويُشفَّعُ في سبعين من أقربائه » .

فيا أيها المسلمون ؛ في مشارق الأرض ومغاربها ، يا أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - يا أمةً جعلت خير الأمم .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٨٧) .

(٢) سورة النساء آية رقم (١٢٢) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٩) .

هذا بيت المقدس يئنُّ من وطأة الجور والطغيان، إنهُ قبلتكُم الأولى، وثالثُ مقدساتكم، ومسرى نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم - عتت فيه الصهيونية بالظلم والفساد، قتلوا المسلمين الذين كانوا يعمرونه بالعبادة، وشردوا بعضهم ومنعوكم من الوصول إليه، وحرقوه محادة لله وأنتهاكًا لمقدساتكم، وأخيرًا جعلوه عاصمة لعصابة الظلم والعدوان استفزازًا لكم، وعدم مبالاة بشعوركم، ضربوا بقرارات الأمم عُرْضَ الحائط، وداسوها بأقدامهم، أيرضى بهذا مسلم، أيرضى بهذا منصف، أيرضى بهذا عربي؟ كلا، لا يرضى به من عنده إنسانية، فضلًا عمَّن عندهُ إيمان وعقيدة وإحساس.

لقد أعلنت المملكة العربية السعودية - أدام الله عزَّها وتوفيقها وحفظ أمْنهَا واستقرارها - ممثلة في ولي عهدها - حفظه الله من كل سوء ومكروه - أعلنت الجهاد المقدس دفاعًا عن الإسلام ومقدساته، وعن حقوق المسلمين المغصوبة، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء، فاستجيبوا للنداء المقدس، ووحدوا صفوفكم، وأجمعوا كلمتكم، وتضامنوا فيما بينكم ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾[1] ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[2]. ولا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاصبروا. ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قُوَّةٍ**﴾[3].

جاهدوا في سبيل الله بأنفسكم وأموالكم وأقلامكم وألسنتكم وإعلامكم،

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[4] ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[5]

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٠٣).

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٤٦).

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٦٠).

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٣٣).

(٥) سورة آل عمران آية رقم (١٣٩).

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم ؛ اجعلنا ممن يحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعمل بمحكمه ، ويؤمن بمتشابهه ، ويحكم بأحكامه ، ويسير على نظامه ، واغفر لنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي قال وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، ذو القوة المتين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، نصروا الله فحقق لهم نصره، وأنجز لهم وعده.

أما بعد.. فخير وصية المسلم لأخيه المسلم تقوى الله تعالى، فهي قاعدة الحق وملاك الأمر فتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

واعلموا أنه يجب على المسلِم أن يعرف صفاتِ المؤمنين الذين يبايعون الله وتربح صفقتهُم، وأن يعرف من هم المؤمنون الذين يُزعجون اليهود، ويقضون مضجعهم ويرهبونهم. ليقتدي بهم وليسلك سبيلهم هم الذين قال الله عنهم:

﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّـٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿**كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**﴾ هؤلاء هم الذين قال الله فيهم: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ سهمهم صائب، وهدفهم ممزّق.

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١٢).

هؤلاء هم الذين إذا خرجت من أفواههم كلمةُ التوحيد لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله . والله أكبر صدَّعت قلوب الجبابرة ، أشد من القنابل النووية ، ولنا فيهم أسوة حسنة ، فأصْلحوا من أنفسكم يا أمة الإسلام ، واعلموا أن الرابطة بين أفراد المسلمين وجماعاتهم رابطةٌ قوية فاعتصموا بها ، والركن الذي يعتمدون عليه ركن شديد لا يُكْسر فأووا إليه .

والنظام الإسلامي في السلم والحرب لا يماثل ولا يجارى فاعملوا به .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، وكونوا عباد الله إخوانًا . المسلمُ أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسلمه - أي لعدوه - ولا يخذُله ، ولا يُكْذبه . ولا يحقره ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعِرضه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

اللهم ؛ صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد .

وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجات النبي أمهات المؤمنين ، وعن التابعين لهم بإحسان ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم أمنا في أوطاننا ، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعلهم هداة مهتدين ، يقولون بالحق وبه يعدلون . اللهم ؛ انصرهم بالإسلام . واجعلهم عزًّا للإسلام والمسلمين . اللهم ؛ انصر المجاهدين ..... إلخ الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة

٦ / ١١ / ٩٣

[الهدنة]

الحمد لله الذي هدانا لمعالم دينه الذي ارتضاه لنفسه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، نعم المولى ونعم النصير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، بيَّن لنا بيانًا شافيًا ، ورسم لنا صراطًا مستقيمًا ، فيه العزة والكرامة . والسعادة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ إن دين الإسلام دين رحمة وشفقة يحترم الحقوق ، ويحقن الدماء ، ويحقق العدالة بين الأفراد والجماعات ، يحثُّ على الخير والفضائل ، وينهى عن الشر والرذائل ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث .

نظم الحياة تنظيمًا فيه تحقيق الأهداف الخيرة للإصلاح ، ووضع قواعد ومنهجًا يسار عليه ، وجعل حدودًا تمنع الوقوع فيما يفسد المجتمع ، ويذهب برونق الحياة . فمن سار على منهج الإسلام واستقام على صراطه المستقيم ، ووقف عند حدوده لا يتعداها ، واتخذ من الإسلام نورًا يهتدي به ، في جميع أفعاله وأقواله ، كان له الفضل والعزة والكرامة في الدنيا ، والفوزُ والسعادة الدائمة ، والثواب العظيم عند الله تعالى ، ومن أعرض عنه فله الهوان والذلة والصغار ، مهما كان الأمر ومهما طال الزمن .

ومن أجل تحقيق العدالة في خلق الله ، وحفظ حقوق الإنسان وغير الإنسان - أوجب اللة تعالى الدعوة إلى دين الإسلام ، ونشرَها بين الناس ، وإيصاله إلى أبواب القلوب والأذهان . وأما إدخاله في القلوب والبصائر فذلك راجع إلى الله وحده لا

شريك له ﴿إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[٢] ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٣].

ولحكمة إلهية، وقدرة ربانية جعل الله لكل نبي عدوًّا من المجرمين، يعاندونه، ويقاومون دعوته، ويثبطون الناس من حوله، كما حصل لخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فأمره الله بمقاتلة أعداء الإسلام والاستعداد لهم.

﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[٤]

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾[٥].

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[٦]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

ذلك من أجل إزالة الفتنة وإخضاع الناس لدين الإسلام، إما بالدخول فيه وهو خير لهم، يغفر لهم ما قد سلف، وإما بالخضوع لحكم الإسلام وإعطاء العهد والذلة، وإفساح الطريق للدعوة الإسلامية حتى لا تجد مقاومة أمامها ولا تخشى كمينًا خلفها.

* ولهذا إذا تقابل الجيشان، وطلب العدو الهدنة ومال إلى السلم، وإيقاف القتال

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٥٢).
(٢) سورة القصص آية رقم (٥٦).
(٣) سورة الكهف آية رقم (١٧).
(٤) سورة محمد آية رقم (٤).
(٥) سورة البقرة آية رقم (٢١٦).
(٦) سورة التوبة آية رقم (٢٩).
(٧) سورة التوبة آية رقم (١٣٢).

أجيب لذلك ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[١] ولا شك أن في ذلك مصالح كثيرة تعود على الإسلام والمسلمين، منها إظهار محاسن الإسلام. وإنه يسالم من سالمه ويحارب من حاربه، ومنها إتاحة الفرصة للمسلمين لاستعادة القوى، وإحضار الإمكانيات وإحكام التدبير، وترتيب الجيش وتقويمه، ومنها إفساح المجال للكافرين لعلهم يفكرون في حالهم، ويدركون خطأهم، ويرجعون عن غيهم ومكابرتهم، ومنها فتح باب المحادثة بين الفريقين لعله يحصل صلح واتفاق يحقن الدماء، ويحفظ الحقوق المشروعة، وفيه صالح للإسلام والمسلمين في العاجل أو الآجل، كصلح الحديبية بين النبي - صلى الله عليه وسلم - وكفار مكة المشرفة.

ولما كان طلب العدو إيقاف القتال مظنة لغدره وخيانته لم يهمل القرآن هذه الناحية ولم يغفل عنها؛ لأنه تنزيل من حكيم عليم، فقال تعالى:

﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

فلم تكن مظنة وجود الخيانة والغدر من العدو مانعًا من إجابة طلبه؛ لأن السرائر علمها عند الله تعالى، والعواقب لا يدرك كيف تكونُ قبل أن تكون إلا الله تعالى، فهو الذي بيده أزمة الأمور يدبرها كيف يشاء، وبيده النواصي والقلوبُ يصرفها كيف يشاء. فالنصر بيد الله، والهزيمة بيد الله، وليس على المسلم إلا فعْل الأسباب وأخذُ الاستعداد.

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٦١) آخرها ﴿ أنه هو السميع العليم ﴾.

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٦٢،٦٣).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢١٦) أولها ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾.

ولهذا أمر الله تعالى نبيه - صلى لله عليه وسلم - بالتوكل على الله عند قبول السَّلم من العدو، وأخبره بإنه هو حسبه وكافيه كلَّ أمر يهمه. فلو أراد العدو المكر والخيانة فهو سبحانه يجازيه ويعاقبه ويجعل الذلة والهزيمة عليه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾[1].

وإذا تأملنا الحالة الراهنة في كفاح المسلمين ضد اليهود الصهاينة لاسترداد الحقوق الإسلامية المغتصبة، وقبول المسلمين عرض العدو للهدنة وإيقاف القتال وجدناه موافقًا لأمر الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** ﴾ وقد حقق الله وعده لعباده، فأراد العدو أن يغدر ويمكر فلم ينل خيرًا، بل أصابه ضر حربي واقتصادي وسياسي أكبر مما توقع، وهو الآن في خطر عظيم وقلق دائم؛ لأن جُزءًا عظيمًا من قوته في قاع صفصف صحراء مكشوفة، يهددهم الخطر في الصباح والمساء وتحيط بهم جيوش المسلمين من تسعة أعشار الجهات.

﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[2].

وسوف يعذبهم الله بأيدي المؤمنين، وينصر المؤمنين عليهم ويخزي الكافرين ويشف صدور قوم مؤمنين إن شاء بحوله وقوته.

فعلى المسلمين أن يصبروا ولا يستعجلوا الأمور قبل أوانها فلكل أجل كتاب.

واعلموا رحمني الله وإياكم.

﴿ **إِنَّ الله مَعَ الصابرين** ﴾[3] ﴿ **وإِنْ تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُم كَيْدُهُم شَيْئًا**

---

(١) التوبة (٥٨) أولها ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ** ﴾.

(٢) النساء (١٠٤) أولها ﴿ **وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ** ﴾.

(٣) البقرة (٥٣) وأولها ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** ﴾ وفي الأنفال (٤٦) أولها ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا** ﴾.

إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[١] .

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]

وكل ما حصل ابتلاء من الله واختبار **﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾**[٣] . **﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾**[٤] .

فاتقوا الله عباد الله ، وأخلصوا النية لله ، وتعاونوا وتضامنوا وعلقوا آمالكم بالله ، واطلبوا النصر من عنده إنه هو القوي العزيز .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين . اللهم ؛ انصر جيوش المسلمين ، وألف بين قلوبهم ، ووحد صفوفهم ، واجمع كلمتهم ، وعجل لهم نصرًا عزيزًا ، وفتحًا مبينًا ، وثبت أقدامهم ، وانصرهم على القوم الكافرين . اللهم ؛ أذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين . اللهم ؛ أخذل اليهود ، ومن والاهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وشتت شملهم ، وأذهب ريحهم ، واجعل بأسهم بينهم ، واضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين .

---

(١) سورة آل عمران (١٢٠) ، وأولها **﴿ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾** .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٤٠،١٤١) .

(٣) سورة العنكبوت آية رقم (٣) وأولها **﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾** .

(٤) سورة العنكبوت آية رقم (١١) .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاسغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فيا أيها المسلمون؛ اتقوا الله تعالى، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، وأخلصوا النية لله في جهادكم وصدقاتكم وجميع أعمالكم. واعتمدوا على الله في جميع شئونكم، وتوكلوا عليه يكفكم كل أمر يهمكم، والجئوا إليه وحده في قضاء حوائجكم، واطلبوا المدد والنصر منه لا من غيره، فمن اعتمد على الله كفاه، ومن اعتمد على غير الله وكل إليه، فمن وكل إلى نفسه هلك، ومن وكل إلى غير الله ضاع.

وصلوا على النبي الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة

٢٨ / ١٠ / ١٤١٢

[انتصار الأفغان بسبب مساعي خادم الحرمين]

الحمد لله رب العالمين ، يرفع القسط ويخفضه ، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك . وعده حق وقوله صدق ﴿ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾[1] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، إمام المتقين وقدوة المجاهدين ، أوضح السبيل للسائرين .

اللهم ؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فيا لها من فرحةٍ شرحت الصدور وأنْعَشت القلوب ، يا له من انتصار شَفَى الله به الجروحَ ومسح به الدموع .

اللهم ؛ لك الحمد ربنا نصرت إخواننا الأفغان ، وانجزت لهم وعدك ، لك الحمد ربنا نصرت عبادك ، وكبت عدوك ، وحققت وعدك فعاد إخواننا الأفغان إلى بلادهم فرحين مستبشرين مهللين مكبرين شاكرين لك مطيعين .

اللهم ؛ لا نحصي ثناءًا عليك ، ألَّفت قلوبهم ، وجمعت شملهم ، ووحدت هدفهم ، ونصرتهم على عدوهم .

اللهم ؛ إنا نسألك فرحة بتحرير القدس من أيدي الصهاينة الغاصبين ، وفرحة بانتصار المسلمين في كل مكان على أعدائهم الظالمين .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢٢) .

لك الحمد ربنا ، إلهنا وفقت إمامنا إلى المساعي الخيرة ، والنداء الناصح إلى التآخي والترابط والتعاون ، فاعتصم إخواننا الأفغان بحبل الله جميعًا ، وأصبحوا بنعمة الله إخوانًا .

وهذا شأن خادم الحرمين الشريفين ينهض بأعمال ضخمة ومسئوليات كبيرة ومساع حميدة لإخواننا المسلمين في جميع أنحاء المعمورة .

والله تعالى يختار من عباده دُعاةَ خير ، وسعاةَ إصلاح ، يجمع الله بمساعيهم الكلمة ، ويؤلف بجهودهم القلوب ، ترجع إليهم الأمم في أزَماتها ، وتستعين بالله ثم بهم في محنتها ، تأخذ منهم الرأي السديد ، والتوجيه الرشيد والنصح المجيد .

وهذه نعمة من الله وفضلٌ يَهبه لمن يشاء من عباده ، والإصلاح بين الناس من أجل الأعمال ، وأكرم الخصال ، وأشرف المقامات .

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] .

فجزى الله خادم الحرمين الملك فَهدًا عن بلاده وعن شعبه وعن الإسلام والمسلمين أجرًا عظيمًا وخيرًا كثيرًا .

كما أسألُ القوي العزيز أن ينصر عباده الذين آمنوا به وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يكْبت عدوهم ، وأن يرفع عنهم الظلم والتعذيب والتشريد .

أوصيكم أيها المسلمون في جميع أنحاء العالم بوصية الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١١٤) .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (٢٠٠) .

مر النبي - صلى الله عليه وسلم - بعمار بن ياسر وأبويه ، يُعذبهم المشركون في مكة فقال - صلى الله عليه وسلم - : « صبرًا آل ياسر ؛ إن موعدُكم الجنة » . فقال عمارٌ - رضي الله عنه - قد بلغ منا العذابُ كل مبلغ . فقال نبيُ الرحمة صبرًا أبا اليقظان . ثم قال - صلى الله عليه وسلم - : « اللهم ؛ لا تعذب أحدًا من آل عمارٍ بالنار » فكانت العاقبة للتقوى ، وكانت العاقبة لله ولرسوله وللمؤمنين .

فصبرًا أيها المسلمون المضطهدون ، صبرًا أيها المسلمون المشردون ، توجهوا إلى الله وتضرعوا إليه يجعلْ لكم من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية .

إن المسلم عند الله عزيز كريم ، يسمع دعاءه ويحب نداءه ، ويحفظ له عزته وكرامته ، وإذا تعدى الحدود أدبه ، وإذا رأينا الأعْداء تسلطوا على المسلمين فلأحد أمرين :

أما لأن المسلمين أهملوا ما بينهم وبين الله ونَسُوا ربهم وكتابه ورسالتة ؛ فسلَّط الله عليهم عدوه ليوقظِهم من الرقدة ولينبههم من الغفلة ، فعلى المسلمين أن يرجعوا إلى الله وإلى كتابه وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن يتوبوا ويصلحوا ويأخذوا بأسباب القوة والسعادة والنجاة .

وإما لأن الله أراد تَقْريبهم منه ، ورفع درجاتهم ؛ فاتخذ منهم شهداء وأصاب منهم من شاء بجروح ليكفر عنهم وليطهرهم ، وذلك خير من الدنيا وما فيها .

إن قوىَ الشر والطغيان لا تنفك عن أعمالها ، ولا عن تَنْفِيْذ مخططاتها ، فهي تسعى لإضعاف المسلمين ، وتفريق جمعهم ، وتمزيق وحدتهم ، وإيقاع العداوة والبغضاءِ بينهم ، وصدهم عن عقيدتهم وصرفهم عن دينهم وفصلهم عن ربهم .

والشر له جولة ، والباطل له صولة ، والمسلم له غفلة وحسن نية .

فقد تملك القوى الشريرةُ صَدَّ الناس عن طريق السعادة إن هم اهتدوا ، وقد يملكُ السعِي بالوشاية بينهم والتفرقة إن هم اتفقوا . والمؤمن كيِّسٌ فطن .

ولم يترك الخالق تعالى عباده المؤمنين فريسةً لأعدائهم فبين لهم أسباب القوة والمنعة ، وأسباب النصر على الأعداء ، وهى : طاعة الله ورسوله ، والصبر ، والتقوى ،

والاستعداد ، والاعتصام بحبل الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾(١) .

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢) .

إن الأُخوة الصحيحة هي التي تَنْبُع من الإيمان والتقوى ، فتكون مرتبطةً بعهد الله ومنهجه ، متصلة بدين الله وشريعته . وهذه الأخوة نعمة من الله يَهَبُها لمن يشاء من خلقه ، إنها قوة ومنعة وعزة وكرامة ، ووسيلة وفضيلة يعطيها الخالق تعالى للذين يحبهم من عباده .

وضدها الفُرقة والخلاف والشقاق ، فالفرقة فشلٌ وهزيمة وذِلة ومهانة ونقمة ودمار . تسبب الضعف والخمول ، وكسر الشوكة وتَسلُّط الأعداء .

إن الصراع بين المسلمين وأعدائهم لم يكن في الحقيقة على أرض ولا على مال ، وإنما هو عداء من أجل العقيدة والتوحيد والدين .

﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾(٣) .

﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ ﴾(٤)

---

(١) آل عمران (١٠٣) (١٠٢) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٤٦) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (١٠٩) .

(٤) النساء (٨٩) آخرها ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ .

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

فعلى المسلمين أن يأخذوا حِذْرهم وأن يتمسكوا بإيمانهم وتوحيدهم ومنهج رسولهم - صلى الله عليه وسلم - وأن يراقبوا الله وأن يتقوه في جميع أحوالهم، اللهم؛ ألف بين قلوب المؤمنين. اللهم؛ بارك لنا في كتابك وفي سنة نبيك.

اللهم؛ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي إليهما معادنا، وانصر اللهم كتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٠٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾[1] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أفضل خَلْقِ الله ، وأكرمهم على الله ، وأقربهم منزلة من الله . فضله بالرسالة وأكرمه بالعبودية .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّـم على عبدك ورسولك نبينا محمدًا ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على منهجه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن أعلى المقامات ، وأشرفَ المنازل ، وأجلّ الصفات ، هى العبودية لله . اختار نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - مقام العبودية على غيره ، ومدح الله الصفوة المطهرة - صلى الله عليه وسلم - في القرآن الكريم بمقام العبودية .

﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ ﴾[2] ﴿ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ ﴾[3] ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾[4] ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾[5] ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾[6] ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾[7] .

---

(١) سورة الحج آية رقم (٣١) .

(٢) سورة الكهف آية رقم (١) .

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٤١) .

(٤) سورة الإسراء آية رقم (١) .

(٥) سورة الفرقان آية رقم (١) .

(٦) سورة النجم آية رقم (١٠) .

(٧) سورة الحديد آية رقم (٩) وآخرها **﴿ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾** .

وكفى بالعبودية شرفًا ورفعة أن الله تعالى خاطب عباده وناداهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم .

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1] .

﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[2] .

فمقام العبودية لله أشرف المقامات وأعلاها ، وبضدها العبودية لغير الله أيًا كان نوعها ، فهى خسار وبوار ، وجهد ضائع مردود ، فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه ، فبيده مقاليد الأمور وأزمتها ، ومن سواه مخلوق لله فقير محتاج إلى مولاه .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[3] .

---

(١) العنكبوت الآية (٥٦) .

(٢) سورة الزمر الآية (٥٣) وآخرها ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة

٦ / ٦ / ١٤١٣

[التآخي والتحذير من الفرقة]

الحمد لله رب العالمين ، يقلب القلوب كيف يشاء ، له ملك السموات والأرض ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، حثَّ على الاتفاق والائتلاف ونهى عن الفرقة والخلاف .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أمر بالجماعة ، والاعتصام ، وبالأخوة في الله والوئام .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله واقتفى أثره .

أما بعد .. فإن الاعتصام بحبل الله من قواعد الإسلام وأصل من أصول الدين ، فمن لم يعتصم بالله فهو ضائع ، ومن لم يعتمد على الله فهو هالك .

قال تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[1] .

أمر الخالق تعالى عباده المؤمنين بالتقوى وبالاعتصام ، ونهاهم عن الفرقة . فالتقوى يبلغ بها المؤمن أداء حق الله بامتثال أمره ، واجتناب نهيه بحسب الاستطاعة فما خرج عن قدرة المكلف لا يُلزم به لقوله تعالى :

(١) آل عمران (١٠٣) .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

ولقوله جل شأنه :

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ ﴾[2] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم «إن الله عفى لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[3]. فالذي يصدر عن الإنسان على سبيل السهو والنسيان والإكراه فهو غير قادح فيه ؛ لأن التكليف مرفوع في تلك الأحوال .

فمن اجتهد في العمل وبذل طاقته وما في وسعه ، ففعل ما يستطيع فعله من الطاعات ، ووقف عند الحدود ، واجتنب المنهيات، فقد أتى بأسباب التقوى . ومن نقص في العمل عمدا وتجرأ على الحدود ، ووقع في المنهيات ، فقد نقص إيمانه ، ونقصت تقواه بحسب الخطأ الذي ارتكبه .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ ﴾[4] .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[5] .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾[6] .

---

(١) سورة التغابن آية رقم (١٦) .

(٢) سورة البقرة أوّل الآية (٢٨٦) .

(٣) رواه ابن ماجة .

(٤) سورة الطلاق آية رقم (٣) وآخرها ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ .

(٥) سورة الطلاق آية رقم (٤) .

(٦) سورة الطلاق آية رقم (٥) .

وجاء الأمر بالتقوى مطلقة ليجتهد المسلم في بلوغها، كما يتصورها بحسب استطاعته، فكلما توغل المسلم في أسبابها انكشفت له أمور وجدَّ له طموحات، وكلما اقترب من الله بتقواه تاقت نفسه إلى مقام أقرب وإلى درجة أعلى.

الأمر الثاني: الاعتصام بحبل الله واجتناب الفرقة.

حبل الله هو القرآن لما رُوي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أما إنها ستكون فتنة. قيل: فما المخرج منها؟ قال: كتابُ الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو حبل الله المتين».

وروي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي وأهل بيتي، فمتى تمسك المسلمون بالقرآن، وعملوا بأحكامه، واتعظوا بمواعظه، ورغبوا في ترغيبه، وخافوا من ترهيبه، كانوا مع الله فكان الله معهم، يوفقهم ويسددهم ويحميهم ويحفظهم ويلهمهم رشدهم، فليوحدوا اتجاههم، ويتآخوا بينهم، ويؤلفوا قلوبهم، ويجمعوا كلمتهم، ويكونوا كالجسد الواحد وكالبنيان يشد بعضه بعضًا».

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ﴾[1]

ومتى كانت الأمة المسلمة مع ربها كان الله معها ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[2] ومن نصره الله لا يُغلب ولا يُقهر. فالقوة الفاعلة للنصر

---

(١) الفتح أول الآية الأخيرة (٢٩).

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٠).

والخذلان لله وحده. فمن الله يُلتمس النصر ومنه تتقىٰ الهزيمة، وإليه يكون التوجه وعليه التوكل، وليس على المسلم إلا فعل الأسباب وترك النتائج إلى الله ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] فعلى المسلم أن يصل قلبه مباشرة بذي القوة القاهرة والإرادة النافذة، وأن يَنْفُضَ يده من كل التصورات الباطلة، والتعلقات بغير الله، فإنها فاسدة غير مجدية. والاعتصام بحبل الله سببٌ قويٌّ للنصر. أما الفرقة فسبب للفشل والهزيمة والخذلان، كما أن إخلاص العمل والنصح عاملان قويان في الترابط بين المسلمين. فمن كانت وجهته إلى الدنيا صار معاديًا لأكثر الخلق، ومن كانت وجهته إلى طاعة الله وابتغاء مرضاته لم يكن معاديًا لأحد؛ لأن الدنيا تضيق بالناس فتحصل المشاحة أما طاعة الله فهي واسعة لا يحصل فيها مشاحة، وهى لا تستحق المشاحة والمنافسة. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾[2].

والأخوة في الله من ثمرات الاعتصام بحبل الله، فبمقتضاها يؤثر المرء على نفسه، ولو كان به خصاصه، وتصغر أمامها الثارات القبلية والأحقاد التاريخية، والأطماع الدنيوية[3].

والفرقة فشلٌ وشتاتٌ وهزيمة وضعف وذلة سواء الفرقة في أصول الدين، أو بالمشاحنات والأطماع واتباع الهوى والأغراض المختلفة[4]. والفرقة هلكة والجماعة نجاة.

ذكر القرطبي عن أبي داود من حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه -

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٦٠).

(٢) الآيتان من سورة محمد (٣٦،٣٧).

(٣) الرازي [٧٥/٨].

(٤) القرطبي [١٥٩/٣].

عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملَّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله.

وأصول الفرق التي حذر منها الرسول - صلى الله عليه وسلم - ست معروفة، وكل واحدة انقسمت اثنتي عشرة فرقة[1] وبموجب آية آل عمران (١٠٣) أوجب الخالق تعالى التمسك بكتابه وسنة نبيه، والرجوع إليهما عند الاختلاف ﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** ﴾ الآية وأمرنا بالاجتماع والاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملًا، وذلك سببُ اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات، وبه تتم مصالحُ الدنيا والدين، وفيه السلامة من الاختلاف.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم ثلاثًا قيل وقال: وكثرةَ السؤال، وإضاعة المال».

فاتقوا الله أيها المسلمون. اعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا.

استحيوا من الله وارغبوا فيما عند الله، فرُّوا إلى الله، احكموا بما أنزل اللهَ واعملوا بسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، وأقيموا حدود الله.

اللهم؛ ألهمنا رشدنا، وحبب إلينا ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، واجعل الآخرة هى دارنا، وانصرنا على من عادانا، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) ذكرها القرطبي في التفسير عن ابن الجوزي [٣/١٦٠].

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة العاشرة

٩ / ٣ / ١٤١١

[تنوُّع استعدادات الناس]

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ، وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ . عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَىٰ اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فلقد شاء الله أن تتنوع استعداداتُ الناسِ واتجاهاتُهم ، وأعطى الخالق تعالى كل فرد القدرة على حرية الاتجاه ، وعلى اختيار طريقه في هذه الحياة ، وحمَّله تَبِعة هذا الاختيار ، فيُثيبه على اختيار الهدى ، ويعاقبه على اختيار الضلال . فالذي يختار الهدى إنما اختار بإرادته ورغبته ، والذي يختار الضلال إنما يختار بإرادته ورغبته .

والكل جار على سنة الله ، وعلى وفق قَدَره ومشيئتِه . ومن سُنن الله في هذا الكون ارتباطُ أحوال البشر وأوضاعِهم بأعمالهم وكسبهم . فصلاح قلوب الناس وأعمالِهم صلاحٌ لحياتهم ومتطلباتها . وفساد اعتقادهم وقلوبهم وأعمالهم وسلوكهم - فساد لمعاشهم فإذا حصل الشيء علمنا أنه مقدر .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (٧٣) .

(٢) سورة الأحزاب آية (٤٥) .

والفساد الذي تسببه المعاصي عام. فالقتل والنهب، والتشريد والتخريب، وانتهاك الحرمات، ونقص الزروع والثمار، وتوقف المطر وغور المياه، والجوع والخوف، وتسلط الناس بعضهم على بعض، وحصول البغضاء والشحناء - من الفساد الذي تسببه المعاصي.

قال أبو العالية:[1] من عصى الله في الأرض فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء بالطاعة؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود «لحدٌّ يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يُمطروا أربعين صباحًا»[2] والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت انكف الناسُ أو أكثرهُم أو كثيرٌ منهم عن تعاطي المحرمات، وإذا اجتُنبت المعاصي كان اجتنابُها سببًا في حصول البركات من السماء والأرض.

وكلما أقيم العدل ونُفِّذت شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - على الغني والفقير والشريف والوضيع: كثر الخير والبركات، وكلما عطلت شريعة محمد، صلى الله عليه وسلم، واستبدلت بآراء البشر وأفكارهم ظهرَ الفساد، ورفعت الخيرات والبركات، وسلط الله الأشرار على الناس يستبيحون بيضتهم، ويأخذون ما في أيديهم، وينتهكون حرماتهم والله يعطي الدنيا من يحب من لا يحبه أما الآخرة فلا يعطها إلا من يحب.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

فمن رحمة الله وكرمه، ومن حكمته وعدله، لا يسلب نعمة تفضل بها على

---

(١) الإمام الحافظ رفيع - بالتصغير - بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء وبالتحتانيّة ثقة نبيل، كثير الإرسال من الطبقة الثانية مات سنة ١٩٠٠ م قاله الحافظ في التقريب.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند [٣٦٢/٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - والنسائي، وابن ماجة، وإسناده حسن لغيره مع الشواهد، وأورده الهيثمي في المجمع [٦/ ٢٦٣] من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٥٣).

خلقه حتى يكونوا هم السببَ في إزالتها ، فهو جل وعلا لا يغفل عن خلقه ، ويعلم ما يحدثون من تغيير في أنفسهم وعقيدتهم وسلوكهم فيُرتب على أفعالهم نَفاذَ قدره فيهم . والناس كالمعادن منها ذهب وفضة . ومنها نحاس ورصاص ، ومنها فحم وكبريت ، وهم أيضًا حقول مثلُ حقول النبات منها غرس طيب زكى وكلما أكرمه ربه إزداد طيبًا وزكاة ، ومنها غرس خبيث كلما أكرم إزداد خبثًا وقبحًا .

وإن الإنسان ليرى من بعض الناس ما يضيق به الصدر وتَنْفر منه القلوب وتقشعرَّ منه الجلود ثم ينظر فيرى الله تعالى وسِعَهُم في ملكه يُطْعمهم ويَسْقيهم ويُغدِق عليهم ، ويفتح عليهم أبواب كل شيء ، فإنما هو حلم الله وحده ، وهو تعالى يَسْتدرجهم من حيث لا يعلمون[1] .

أما الطاقة البشرية فلها حدود في الصبر والحلم والإمهال ، وما يحَلُم على البشر ويُمهلُهم على عصيانهم وتمردهم إلا الله العظيم الحليم .

وسنة الله في خلقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2] .

فلا يُغير سبحانه نعمة ولا بؤسًا ولا عزًّا ولا ذُلًّا ولا مكانة ولامهانة إلا أن يُغير الناس من أنفسهم من اعتقادهم وتصوراتهم ، ومن أعمالهم ، ومعاملاتهم ، ومكاسبهم ، ومطاعمهم ، ومشاربهم ، فيغير الله ما بهم على وفق ما صارت إليه نفوسهم وحياتهم العملية .

وإنها لتبعة على البشر جرت بها سنة الله ، ومضى بها القدر . والناس قسمان : مترفون ، ومُتقون ، فالمترفون غالبًا هم أداة الفساد والفسوق ، والمتقون هم أداة الإصلاح والاستقامة .

فالمترفون في كل أمة هم طبقة الأغنياء الذين بَطَرهُم الغِنَى فَيُطلقون لأنفسهم العنان ترتع في الشهوات ، وهم الذين يركنون إلى الراحة والدعة والخمول لتَوَفُّر كلِّ الطلبات

---

(١) إشارة إلى معنى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٨٢) .
(٢) سورة الرعد : آية رقم (١١) .

وأسباب الترف ، فَيَنْعمون بالدعة وبالراحة حتى تترهلَ أجسامهم ، وتضعفَ نفوسُهم ، ويأسن إحساسهم ، ويستمرءون الفسق والمعاصي ، ويستهزءون بالقيم والكرامات .

فإذا لم يجدوا من يأخذ على أيديهم عاثوا في الأرض فسادًا ، ونشروا الفواحش وأشاعوها ، وأرخصوا القيم والأخلاق التي لا بقاء للشعوب إلا بها ، ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي وتفقد حيوتها ويُصْيبُها الوهن ، وإذًا حقت عليها سنة الله وعرَّضت نفسها للعِقَاب ، وهي إذًا المسئولة عما يَحل بها ، لأنها لم تضرب على أيدي المفسدين ولم تصلح من شأنها وأعمالها ، ولا من سلوكها ومعاشها وأحكامها .

والمتقون في كل عصرٍ هم دعاة الإصلاح الذين يقاومون الظلم والفساد ، فهم صِمامُ الأمان للأمم والشعوب ؛ لأنهم يؤدون واجبهم لربهم ، ويَحُولون دون أمتِهم وغَضبِ الله .

وهكذا تبرز قيمة المكافحين الداعين إلى الخير والصلاح ، والناهين عن الظلم والفساد ، وعن المنكر ، والفحشاء ، هؤلاء هم حزب الله المفلحون ، وهم أنصار الله المتقون ،وهم سفينة النجاة ، وهم منار الطريق ، وهم جمال الأرض ومن عليها ، وهم الذين يدافع الله عنهم ، وهم الذين كتب الله لهم نصره وتأييده[١] .

إن قوى الشر والطغيان تعمل في هذه الدنيا ، والحربُ قائمة بين المصلحين والمفسدين ، والشر جامح ، والباطل مسلح وهو يبطش غير متحرج ، ويضرب غير متورع ، فلابد للإيمان والخير من قوة تحميهما وتقِيْهما من الفِتْنة ، وتحرسُهما من الأشواك والسموم . والخالق تعالى لم يكتفِ من المؤمنين بالاعتماد على قوة الإيمان في النفوس وتغلغل الحق في القلوب ، بل أمر باتخاذ العُدة وبذِل الوسِع والطاقةِ في مقاومة الظلم والفساد ، والمحافظةِ على الدمَاء والأعراض ، والأموال ، فقال تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ** ﴾[٢] وأمر باتخاذ الحذر وأخذ الاحتياطات ، والاستعداد بالأسلحة وآلات القتال حتى في الصلاة صلاة الخوف والمرابطة[٣] .

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحج آية رقم (٣٨) ، وإلى قوله تعالى في سورة الحج آية (٤٠) .
(٢) سورة الأنفال : آية رقم (٦٠) .
(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء آية رقم (١٠٢) والأحاديث في هذا الباب =

والباطل متربص لا يكف ولا يَقِف عن العدوان إلا أن يُدفع بمثل القوة التي يَصُول بها أو أقوى منها، فلابد للحق من قوة تحميه وتدفع عنه.

ولقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا[1] يتم بسبب من أنفسهم لكي تصفو قلوبهم لله.

فالبنية الإنسانية لا تتحرك فيها كل الطاقات المدخرة، كما تتحرك وهي تواجه الخطر، فإذا هي تدافع وتجمع قوتها لتواجه القوة المهاجمة، عندئذ تتحفز كل خلية من خلايا أجسامهم بما أودع فيها من استعداد لتؤدي دورها. والأمة التي تقوم على الإيمان والتوحيد، وتحكيم شرع الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الظلم والفساد في حاجة إلى استيقاظ نشاطها، وحشد قواها الذائبة وغيرها، والنصر السريع الذي لا يكلف عناء وإنما يحصل هينًا لينًا على القاعدين المستريحين يعطل طاقة الإنسان، كما أن التربية الوجدانية التي تنشأ من النصر والهزيمة، والكر والفر، والقوة والضعف، والتقدم والتقهقر، وما يُصاحب ذلك من آلامٍ وآمالٍ، وفرحٍ وغمٍ، وقلقٍ واطمئنانٍ، يحث على استعادة القوة.

والنصر قد يبطئ على المظلومين، فيكون الإبطاء لحكمة يريدها الله. ومن ذلك تحريكُ الهمم وحشدُ الطاقات، والتحفز، ومنها تكثير الأجر، ورفُع الدرجات، ومنها تعريف الأمة بأن النصر ليس بالعدد والعدة وحدها، بل لابد من نصر من عند الله يشدُ أزرها، ويربط على قلوبها، ويثبت أقدامها فتعلق قلوبها بالله. ومنها أن الباطل الذي يحاربه المؤمنون لم ينكشف زيفه للناس تمامًا، فلو عجل النصر قد يجد الباطل أعوانًا يلتفون حوله، وعلي كل حال فالنصر محقق للذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخلصوا عَمَلهم وجهادَهم وكفاحهم لله ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[2] فاتقوا الله وأخلصوا العمل لله، وهو حسبنا ونعم الوكيل. اللهم؛ احفظ

= كثيرة متواترة.

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحج آية رقم (٣٨)، وأية (٤٠).

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٠).

علينا أمننا واستقرارنا ، ونعمك ، وإحسانك علينا وارزقنا شكرها.

اللهم ؛ كف عنا أكف الظالمين ، وادفع عنا مكر المجرمين ، وحسد الحاسدين ، وطمع الطامعين . اللهم ؛ عليك بالظلمة المعتدين اللهم ؛ خذهم أخذ عزيز مقتدر . اللهم ؛ زلزل أقدامهم ، وأنزل الرعب في قلوبهم ، وشتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين . اللهم ؛ إنا ندرأ بك في نحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم .

اللهم ؛ اغفرلنا وارحمنا ، وتب علينا ، وعلى جميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوي الله في السر والعلن ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[1] ومن كان مع الله كان الله معه ، ومن توكل على الله كفاه ، ومن اعتصم بحبله عصمه ، ومن لجأ إليه حماه .

اللهم ؛ اجعلنا واجعل إمامنا وولي عهده وحكومته من المتقين الذين قلت فيهم .

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2] .

ومن الذين قلت فيهم :

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٢-٣) .

(٢) سورة البقرة من آية رقم (١:٥) .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] .

ذكر ابن كثير في التفسير عن ابن سوادة الكندي؛ قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ **الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾[2] الآية .

قال : ألا إنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمؤلَّى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه ، إن لكم عل الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقومُ مما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المنبوذة ولا المنكرة بها ولا المخالِف سرُها علانيتَهَا .

ثم اعلموا إخواني في الله أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[3] .

---

(١) الحج آية رقم (٤١) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٤١) .

(٣) الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية عشرة

٤ / ٢ / ١٤١١

[آثار المعاصي]

الحمد لله رب العالمين ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣] .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على نهجه واقتدى بهديه .

أما بعد .. فإن الكسب يطلق عادة على ما ترتاح له النفس ، وتطلبه ، وترتضيه ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[٤] .

﴿يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي

(١) سورة آل عمران آية رقم (٢٨) .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (٣٠) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (١٦٤) .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٦٧) .

﴿إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[١] .

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾[٢] .

وكما في الأثر: الرجل من كَسْب أبيه .

لكن وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم يطلق فيها الكسب على اجتراح السيئات ، كقوله تعالى :

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[٣] . ﴿كُلُّ ٱمْرِىٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٤] .

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[٥] .

﴿لِكُلِّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ﴾[٦] .

فالتعبيرعن اجتراح السيئة بالكسب إشارة إلى أنه من الناس من يجترح السيئة وهو يتلذذ بها ويستثيغُها ويعدّها إذا ظَفَر بها كسبًا له إذ لو كانت في حسه كريهةً ما اجترحها، ولو كان يُحس بأنها خسارة ما أقدم عليها برغبة وحماس . وإذا تأملنا الآيات التي تعبر عن اجتراح السيئات بالكسب نجدها تدل على أن تلك السيئات قد أحاطت بصاحبها أوبقته وأهلكته واستحق بموجبها العقوبة .

أما إذا غلبت الدوافع أوبقته ، على اجتراح سيئة فوقع فيها وهو يعلم أنها خسارة

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٥٨) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٣٢) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٨١) .

(٤) سورة الطور آية رقم (٢١) .

(٥) سورة الشورى آية رقم (٣٠) .

(٦) سورة النور آية رقم (١١) .

فإذًا لا يتمادى فيها ، ولا تحيط به ، ولا تغلق أمامه باب التوبة والاستغفار ، ولا تسد منافذ العودة إلى الله ، ولا تغطي نور الإيمان في القلب . فالمؤمن لا يعمل السيئة ويعدّها كسبًا بل يندم ويتحسر ، ويتوب ويستغفر . ولا يجتمع الإيمان وضده في قلب واحد . فمقتضى الإيمان تعلق القلب بالله ، وإذا حصلت له غفلة ذكر الله فاستغفر وأناب .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(١) .

ومقتضى الإيمان أن يعمل المؤمن الأعمال الصالحة .

فأي إنسان يدعي بأنه مؤمن ولا ينبثق من إيمانه عمل صالح فدعواه تحتاج إلى نظر والذين يَدَّعون الإسلام ولا يقيمون شعائر الإسلام فلا تنفعهم في دعواهم .

فكيف بمن يدعي الإسلام ويزعم بأنه يدعو للإسلام ، وينادي المسلمين إلى الجهاد ، وهو يفسد في الأرض ، ويحارب المسلمين ، ويغدر بالآمنين ، ويقتل الأبرياء ، ويشرّد النساء والأطفال ، ويقاوم الإصلاح ، ويظلم ويعتدي ، إن أعماله تخالف أقواله ،

إن الغدر محرم في دين الإسلام ، فإذا كان الغدر بغير المسلم محرّمًا فكيف بالمسلم ، إن مَن عنده نور من الإيمان لا يرضى أن يُغدر بالمسلم ، ولا أن تُهان كرامة أخيه ، ولا أن تنتهك حرمته ، ولا أن يُسْلَم للذلة والمهانة وقد أمر الله تعالى نبيَّه محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، بالوفاء ، ونهاه عن الغدر حتى لو خاف غدر أعدائه وخيانتهم فقال تعالى :

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾(٢) .

• وروى ابن جرير الطبري أن أهل سمرقند اشتكوا إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله

(١) سورة آل عمران آية رقم (١٣٥) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٥٨) .

أن قتيبة بن مسلم ظلمهم ، وغدر بهم ، وأخذ بلادهم على غرة ، وقالوا : إن الله أظهر العدل والإنصاف ، فإن كان لنا حق أعطيناه ، فكتب عمر إلى عامله في سمرقند ؛ قال : إن أهل سمرقند شكوا إليَّ ظلمًا أصابهم ، وتحاملًا من قتيبة عليهم أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي هذا فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة ، وَحكَم القاضي بأن يُخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وُيَنابذوهم على سواء ، ويكون صلحًا جديدًا أو ظفرًا عنوة ، فقال أهل سمرقند : بل نرضى بما كان ، فهلا ينصف المعتدي من نفسه ، إن الرجوع إلى الحق أحق من التمادي في الباطل .

﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾[1] ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[2] ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[3] .

ولئن اختفى المجرمون في الأنفاق والسُّرادق خوفًا من البشر أن ينتقموا منهم ، فإنهم لن يختفوا عن الله ولن يخرجوا عن قبضته ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ** ﴾[4] .

﴿ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[5] .

---

(١) سورة فاطر آية رقم (٤٣) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٣٠) .

(٣) سورة إبراهيم آية رقم (٤٦) .

(٤) الأنعام آية رقم (١٨) .

(٥) سورة هود آية رقم (٥) .

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[١] .

ولئن أمهل الله للظالم فإنه لن يغفل عنه ، فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ، فالله قادر أن يسلط عليه أقرب الناس إليه ، أو أن يسلط عليه أضعف خلق الله كما فعل بالنمرود . أدخل في أنفه بعوضة ، وأخذت تأكل من دماغه ، وهو يصيح حتى أهلكه الله[٢] .

عجبًا لمغالطات ذلك الإنسان ، يقول : يدعو إلى الجهاد وقد فعل بإخواننا المسلمين ما فعل من الفضائح والخزايا والإرهاب والإبادة الجماعية ، يجب على المسلم أن يسأل فمنهم الذي يُريد أن يجاهدهم ويدعو لجهادهم ، إنه يدعو إلى جهاد المسلمين المتمسكين بإسلامهم ، الذين يحكمون بكتاب الله ، ويعملون بسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويعملون بشعائر الإسلام الظاهرة والباطنة ، ويقيمون حدود الله ، وينشرون العدل ، ويرفعون الظلم ، إذًا هو يريد هدم الإسلام والقضاء عليه في منبعه ، يريد أن يقضي على الإسلام اسمًا ومعنى ، ويجعلها ماسونية حمراء وعلمانية سوداء ، ولكنه يلبس قناع الإسلام للتضليل على العامة ولإخفاء مخططاته ضد الإسلام والمسلمين .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ لا تنطلي عليكم أكاذيبه ، بعض الناس ولا تغرنكم إرجافاته ، فإنه لن يفلت من قبضة الله ونقمته ، فسيأخذه أخذ عزيز مقتدر إن شاء الله . « اللهم ؛ إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك ، نواصينا بيدك ، ماض فينا حكمك ، عدل فينا قضاؤك ، نسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء غمومنا ، وذهاب أحزاننا »[٣] .

اللهم ؛ إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا

---

(١) سورة النساء آية رقم (٧٨) .

(٢) ذكرها ابن كثير [١/٥٥٦،٥٥٧] سورة البقرة آية رقم (٢٥٨) من دون إسناد .

(٣) حديث بدايته : « ما أصاب أحدًا قَطُّ هم ولا حزن فقال : « اللهم ؛ إني عبدك ...» أخرجه أحمد رقم ٣٧١٢، وابن حبان في صحيحه والحاكم [١/٥٠٩] وإسناده صحيح .

نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

اللهم ؛ لا تعاقبنا بسيئات أعمالنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، واكفنا كل أمرٍ يهمّنا ، وكن لنا مؤيدًا وناصرًا .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] .

اللهم ؛ اغفر لنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) البقرة آية رقم (٢٨٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى يعلم ضعف البشر ، هذا الإنسان الذي كرمه الله وفضله ، ثم تهوي به الشهوة إلى مكان سحيق ، وتدفعه الميولات والرغبات النفسية إلى فعل ما يفعله المتوحش من الحيوان .

فالذي خلق الإنسان أعلم بما خلق .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[1] .

فهو لا يطرد الإنسان إذا عصى ، وإنما يرده إلى الصواب ، ويأمره بالرجوع إلى الله وبالتوبة النصوح .

ولئن جاء في الشريعة عقوبات وتعزيرات وحدود ؛ فإنما هى للتربية والتطهير ، وليست للانتقام والتعذيب ، ولا للتنفير . والإسلام حينما يدعو إلى السماحة والتعقل . ويختار أيسر الأمرين وأسهلهما للبشر فهو لا يدعو إلى الترخيص ، ولا التشجيع على المعصية ، وإنما يجمع بين التربية والرحمة ، فأنجح أساليب التربية ما جمع بين الترغيب والترهيب ، وصلوا على البشير .؟

---

(١) سورة الملك آية رقم (١٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية عشرة

١٧ / ٣ / ١٤٠١

[مؤتمر القمة الإسلامي في مكة]

الحمد لله ولا يحمد أحد سواه ، هدانا للإسلام ، وجعلنا من خير الأنام ، وأعزّنا بالإيمان ، وتفضل علينا بالأمن والأمان .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ومن أصدق من الله حديثًا ، ومن أصدق من الله قيلًا . إن الله لا يخلف الميعاد .

﴿ ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز ﴾ .

﴿ إنا لننصُر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدىٰ بهديه واستنَّ بسنته .

أما بعد .. فإن الفرحة تغمر القلوب المؤمنة ، والبشر يعلو الوجوه ، حينما نرى الأمة المسلمة تتحرك وفيها دوافع الأخوة الإسلامية وتستطيع النهوض بنشاطاتها الإسلامية . يلتفت بعضهم إلى بعض في نقطة الاتصال بمعاني الأخوة وسمات التعاون .

الأمل كبير ، والتفائل جميل حينما نرى قادة المسلمين تهوى قلوبُهم وأبدانُهم إلى قبلة المسلمين للتشاور في أمور دينهم ودنياهم .

إنه لفخر كبير ، أن تبذل الأمة المسلمة جهودها لجمع شمل المسلمين ، وتوحيد قواهم ، وإنارة الطريق أمامهم للرجوع إلى نظام إسلامهم .

وإنه لشرف عظيم للطائفة المؤمنة ، أن تتحمل أمانة الله وتَحرِصَ على أدائها على وجهها .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] .

إن أول مؤتمر إسلامي عقد في مكة المكرمة سنة ١٣٤٤ بدعوة من الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس هذه المملكة وموحد أطرافِها ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأفسح له في قبره ونور له فيه .

لقد أحسَّت الأمة المسلمة بواقعها ، وأدركت ما يحيط بها ، وعرفت ما يراد بها ، وأخذت الحياة تنتشر في جسمها ، نظرت إلى الواقع نظرة تأمل ، ونظرت إلى حالها نظرة أسف وتألم ، ويبقىٰ أَنْ يُعلم أَنَّ اليهودية بكل قواها ، وبكل أساليبها ، وبكل أحزابها وتنظيماتها الظاهرة مثل الشيوعية ، أو الخفية مثل الماسونية وما يتشعَّبُ منها ، إنها تلعب في العالم لعبتها ، وتضع المعوقات والعقباتِ في طريق العدل والإصلاح ، وتبث سمومها في الشعوب ، وتضع أصابعها . مع كل حركة إصلاحية لإفسادها .

ورغم ذلك فإن الإيمان يتوقد في القلوب المؤمنة والحركات الإسلامية وستشق طريقها إن شاء الله تعالى ، تدعو للتضامن ، والتعاون ونشر العدل والإيمان .

ومؤتمر القمة الذي سيعقد في مكة المكرمة بعد غدٍ إن شاء الله بدعوة من الملك فهد بن عبد العزيز - انتفاضةٌ حية لقادة الشعوب المسلمة . وحركة إصلاحية خيرة يشكر عليها أولاد عبد العزيز ، ويشكر كل زعيم مسلم استجاب لندائه فأُوصى كل من يحضر ذلك المؤتمر ، بل أوصي جميع المسلمين باستحضار عظمة هذا الموقف ، يا له من موقف عظيم بين يدى رب العالمين فوقهم يسمع ويرى . وبيت الله أمامهم فيه البركة والهدى . وحرم الله يضمهم ، تضاعف فيه الحسنات والسيئات ، وكتاب الله بين أيديهم غضًّا طريًّا يقطر حيوية وروحانية يهدي للتي هى أقوم . وإخوانهم المسلمون

---

(١) سورة يوسف آية رقم (١٠٨) .

من حولهم، وشعوبهم المسلمة من خلفهم.

فَرَبُّ العالمين شاهدٌ وراعٍ، وبيت الله مذكِّرٌ وداعٍ، وحرم الله مانعٌ ورادع، والقرآن واعظ وهادٍ، وإخوانهم يناصحونهم ويشاركونهم مشاعرهم، وشعوبهم تتطلع إلى النتائج، وتتشوق إلى موارد إيمانها.

هذه الأمور تحرك نور الإيمان في قلب المؤمن، وتَّهزُ القلوب الواعية والأبدان الحساسة، وتوقظ الضمير الحي، تثيرُ أمام العيون نور الإيمان، وتصرخ في الآذان بخشية الله ومراقبته خوفًا وطمعًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

---

(١) سورة النساء آية رقم (١).

(٢) سورة الحج آية رقم (١).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٧٠،٧١).

إن أول واجب على المسلم (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، وهذه الشهادة تستلزم الحكم بما أنزل الله فتحكيم شرع الله أهم الواجبات، وكل ما بعده تبع له، ولم يبق لأحدٍ عذرٌ أمام الله، فقادة المسلمين من أبنائهم ويرجى فيهم الخير والقوة في جانب الله، ومصالح الراعي والرعية لا تتحقق إلّا بإقامة العدل من نظام الإسلام، والأمن والاستقرار لا يستقيمان إلّا بإقامة حدود الله، ومن أراد العزة والسيادة فإن العزة لله جميعًا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] فليسلك سبيلهم ومن أراد ثواب الدنيا، ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[2] فليطلب من مالكه ليفوز بالثوابين، لا يليق بالمسلم أن يهجر كلام ربه، ويأخذ بنظام أعدائه، لا يليق بالمسلم أن يأخذ بكلام المخلوق ويترك كلامَ الخالق.

إن المسلمين أمانةٌ لدى قادتهم. وَوُلاةُ الأمر منهم مسئولون عنهم أمام الله، مسئولون عنهم أمام التاريخ إنه لا عز للمسلمين إلّا بالإسلام، ولا أمن إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

فإلى الأمام يا دعاة الخير والسلام، إلى الأمام يا زعماء المسلمين.

اللهم؛ ألِّفْ بين قلوب المسلمين، واجمع كلمتهم ووحِّد صفوفهم، واجعل مؤتمرهم مؤتمر خير ورشد وصلاح، واجعل فيه خيرًا وبركة وعزًّا للإسلام والمسلمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) المنافقون آية رقم (٨).

(٢) النساء آية رقم (١٣٤).

(٣) الحج آية (٤١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، ألَّف بين قلوب المؤمنين ، وجعلهم إخوة في الله متحابين .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له الملك الحق المبين . ذو القوة المتين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين وقائد الغر المحجلين ، صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن العالم ينظر إلى هذه البلاد نظرة إجلال وإكبار لأنها تعظم شعائر الله ، ودستورها كلام الله ، وتحكم بما أنزل الله ، فأنعم عليها بالمهابة والوقار ، وإذا قارنا بين حاضر البلاد ، وبين ماضيها عرفنا الفوارق ، فكانت على جانب مؤلم من الفوضى والسلب والنهب وسفك الدماء ، وقطع الطريق وإرهاب حجاج بيت الله الحرام ، وزوار مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما حُكم فيها بما أنزل الله ، وأقيمت فيها حدود الله ، وأصلح الراعي صلته بالله . أصبحت كما ترون من الأمن والرخاء ، والتعاطف والإخاء ترابط بين الراعي والرعية بحبل الله ، يسودها التعاطف والتناصح ، حفظها ربها من كيد الأعداء ، وأضفى عليها نعمة الأمن والرخاء ، يسافر الرجل وحده يحمل ما شاء من الأموال يبيت في الصحراء وحده لا يخاف إلا الله وحده ، الدكاكين تُضفي عليها غطاء قماش لا يمسها أحد بسوء ، أبواب المنازل قدْ تترك مفتوحة طوال الليل والنهار لا يدخلها إلا أهلها . كل ذلك بفضل الله وحده وبرعايته بسبب تحكيم شريعته والعمل برسالته . فمن كان يُحب أن تكون بلاده كذلك فليحكم بما أنزل الله وليجعل دستوره كلام الله ، ولينفذ حدود الله ، وليصلح ما بينه وبين الله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1] .

---

(١) محمد آية رقم (٧) .

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١) .

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾(٢) .

﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾(٣) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٤) .

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٥) .

وصلوا على البشير النذير .

---

(١) سورة الحج آية رقم (٤٠) .
(٢) سورة غافر آية رقم (٥١) .
(٣) سورة آل عمران آية رقم (١٦٠) .
(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٠٢) .
(٥) سورة آل عمران آية رقم (١٠٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة عشرة

١٠ / ١ / ١٤١٠

[ساعة العسرة والثلاثة الذين خلفوا]

الحمد لله رب العالمين ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ، وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[١].

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يَبْتلي ويختبر؛ ليعلم الذين آمنوا ويعلم المنافقين، ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٢].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. ففي مثل هذه الأيام في حرارة القيظ، في وقتٍ اشتد فيه الحرُّ، في سنة مجدبة، وفي عُسرة من الزاد والراحلة، وفي قلة من الماء، وحين طاب الظل، ونَضَجت الثمار في المدينة المنورة، وحين توفرت مغريات الإقامة نَدب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لتجهيز جيش العسرة إلى تبوك[٣] فلم تَقْعد مُنفِّرات السفر، ولا مُغريات الإقامة بالمؤمنين الصادقين عن تلبية دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنفر أكثر من ثلاثين ألف مقاتل، وعشرة ألاف فارس، ولم يتخلف إلا منافق منغمس في النفاق أو صاحب عذر إلا ثلاثة نفر من المؤمنين الصادقين، أقعدهم القدر، وأخرهم التسويف، ولله في ذلك حكم[٤].

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٤٣).

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٣).

(٣) إشارة إلى حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - خ برقم (٤٤١٨) باب ٧٩ [١١٣/٨] الفتح انظر الذهب المسبوك لهذا المقدم الفقير (١/٩٢-١٠٠) فسوف تجد التخريج بالتوسع.

(٤) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - في هذا المعنى خ برقم (٢٨٣٩) =

فجهز عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ذلك الجيش بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها، وبألف دينار، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غفر الله لك يا عثمان ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وما أخفيت، وما أعلنت، وقال عليه الصلاة والسلام: ما على عثمان ما فعل بعد هذا ما ضر ابنَ عفانَ ما عمل بعد اليوم يُكررها[١].

وكان النفر يتعاقبون على بعير، وكان زادهم التمر المسوّس، والشعير المتغير، والإهالة النتنة، وبعض الرفقة ليس معهم إلا التمرات، فإذا بلغ الجوعُ من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى يشرب عليها جُرعة من ماء، وهكذا حتى تأتي على آخرهم فلا يبقى في التمرة إلا النواة، فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على صِدقهم ويقينهم، وعلى صبرهم وتحملهم واحتسابهم لما عند الله، فأنزل الله فيهم قوله تعالى:

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

وصف أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه - ساعة العسرة فقال: نزلنا منزلًا أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع، وحتى إن الرجل لَيَنْحر بَعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويحمل ما بقي على كتفه، وأصاب الناس مجاعةٌ[٣].

= [٦/٤٦،٤٧] الفتح.

(١) إشارة إلى حديث عبد الرحمن بن حباب - رضي الله عنه - الترمذي برقم (٣٧٠٠) [٥/ ٦٢٥] قال الترمذي: غريب من هذا الوجه وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة ا.هـ قلت: إسناده حسن لغيره راجع الذهبس المسبوك [١/٢٠٦]، والحاكم [٣/١٠٢] وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) سورة التوبة آية رقم (١١٧).

(٣) الحاكم في المستدرك [١/١٥٩]، وإسناده صحيح راجع الذهب المسبوك [١/٤٩-٥٢]،=

ثم طلب أبو بكر - رضي الله عنه - من النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يستسقي ربه فاستسقى فأمطرت سحابة على المعسكر فشربوا، وحملوا كفايتهم، وطلب عمر من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يجمع ما مع الجيش من طعام ويدعو، فيه فجاء الرجل بكسرة تمر، والرجل بحفنة من تمر، والرجل بكسرة من خبز ووضع على النطع أقل من ربضة العنز فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الطعام وسأل فأنزل الله فيه البركة فأكلوا وشبعوا وملئوا ما معهم[1].

وكان ممن تخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في تلك الغزوة كعب بن مالك شهد العقبة، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، شهدا بدرًا - رضي الله عنهم - ولم يتخلفوا لشك ولا لريب، وإنما أدركهم الضعف البشري، وإليكم موجز خبرِهم مما في صحيح البخاري:

قال كعب بن مالك - رضي الله عنه -: فلما بلغني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - توجه قافلًا حضرني بثي فطفقت أتذكر ما أخرج به من سَخَط رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فلما أظل قادمًا زاح عني الباطل فأجمعت صدقه، فلما جلس في المسجد جاءه المتخلفون يعتذرون ويحلفون فقبل منهم - صلى الله عليه وسلم - ظواهرهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فلما سلمت على رسول الله تبسم تبسم المغضب ثم قال: تعالَ، فجلست بين يديه، فقال: ما خلفك؟ ألم تكن ابتعت ظهرك (أي اشتريت بعيرك). فقلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلًا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يُسخطك عليّ، ولئن حَدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك. قال: وكان هلال بن أمية ومُرارة بن ربيعة قالا مثل ما قلتُ وقِيل

= فسوف تجد التخريج بالتوسع.

(١) إشارة إلى نفس الحديث السابق وفيه هذا المعنى [١٥٩/١] الحاكم في المستدرك.

لهما مثل ما قيل لي .

قال : ونهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرضُ التي أعرف فلما مضى أربعون ليلة أرسل لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن نعتزل نساءنا .

قال كعب : وكنت أشَّب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة ، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسلم عليه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ، ثم أصلي قريبًا منه وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، ثم جئت ابن عمي أبا قتادة - وهو أحب الناس إلي - فسلمت عليه فوالله ما رد السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلم أني أحب رسوله فسكت فناشدته ، فسكت فناشدته فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي وبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيٌّ من أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدلني على كعب بن مالك ؟ فَطفِق الناس يشيرون إليّ ، فدفع إليّ كتابًا من مَلِك غسان ، فقرأته فإذا فيه : أما بعد ؛ فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله في دار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسِك . قال : فقلت : هذه أيضًا من البلاء ، فسجرت بها التنور ، وبعد مضي خمسين ليلة من إرجاء توبتنا بينا أنا على ظهر بيت من بيوتنا جالس بعد صلاة الفجر على الحال التي ذكر الله عز وجل . قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت عليّ الأرض بما رحبت ؛ سمعت صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ؛ أبشر . قال : فخررت ساجدًا وعلمت أنه جاء فرجٌ . قال : فنزعت ثوبيّ وكسوتهما المبشر ولا أملك غيرهما ، واستعرت ثوبين فانطلقت أتأمم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتلقاني الناس فوْجًا فوجًا يهنئونني بالتوبة ، فلما سلمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ، وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك ، قال : فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله[1] .

---

(١) خ برقم (٤٤١٨) باب (٧٩) [٨/١١٣] .... وقد مضى تخريجه آنفًا .

قال : وأنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - :

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١)

قال : وأنزل الله في الذين اعتذروا وكذبوا .

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٢) .

فاتقو الله أيها المسلمون .

أذكّر بهذه الغزوة كلَّ مجاهد في سبيل الله أصابه الجهد والمشقة ، وكل مدافع عن دينه ، ودمه ، وعرضه ، وماله أصابته محنة .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١٧-١١٩) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (٩٥) .

وأحث بها كل مسلم أعطاه الله حظًّا من الدنيا لينفق في سبيل الله ، وأعظ بها كل ملحد وزنديق ينال من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فليتق الله .

اللهم ؛ اغفر لنا وارحمنا وتب علينا ، إنك أنت التواب الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبد ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن أصدق الحديث كتاب الله[١] ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخيرَ الملل ملة إبراهيم ، وخيرَ السنن سنة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأشرفَ الحديث ذكر الله ، وأحسنَ القصص هذا القرآن ، وخيرَ الأمور عوازمها ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ، وأشرف المَوْت قَتْل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالةُ بعد الهدى ، وخيرَ الأعمال ما نفع ، وخير الهدي ما اتُّبع ، وشرَّ العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى[٢] وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يَحضر الموت ، وشر الندامة يومَ القيامة ، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرًا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرًا ، ومن أعظم خطايا اللسان الكذب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى[٣] ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل[٤] .

وخير ما وقر في القلب اليقين[٥] والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية[٦] ،

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه مسلم برقم خاص (٤٣) صـ [٥٩٢/٢] .

(٢) خ برقم (١٤٢٧) من حديث حكيم بن حزام - رضي الله عنه - وم برقم (١٠٢٤) ، الزكاة .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (١٩٧) .

(٤) لم يكن هذا اللفظ مرفوعًا وإنما هو من كلام السلف رحمهم الله تعالى ، والله أعلم .

(٥) هذا اللفظ وقع في حديث جبير بن مطعم - رضي الله عنه - خ برقم (٤٠٢٣) [٣٢٣/٧] .

(٦) هذا اللفظ لم يكن مرفوعًا ، وإنما عقد البخاري الباب في الجنائز وهو برقم (٣٣) وقال : =

والغلول من جثا جهنم، السكر من النار، والشعر من إبليس[١] والخمر جماع الإثم وشر المأكل مال اليتم[٢] والسعيد من وعظ بغيره، والشقيِ من شقي في بطن أمه[٣].

وإنما يصِيرُ أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى الآخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب.

وكل ما هو آت قريب[٤]، وسبابُ المؤمن فسوق، وقتاله كفر[٥]، وأكل لحمهِ من معصية الله، وحرمةُ ماله كحرمة دمه، ومن يتألَّ على الله يُكَذِّبهِ، ومن يغفر يُغْفر له، ومن يَعْفُ يَعْفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجرْه الله، ومن يصبر على الرذية يعوضه الله، ومن يبتغِ السمعة يسمعس الله به ومن يتصبر يضاعف الله له، ومن يعص الله يعذبه الله، فاتقوا الله عباد الله، تأملوا ماضيكم، وتأملوا واقعكم، وتأملوا مُستقبلكم، واحذروا الغفلة فإنها قاتلة، ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٦]

= باب ما يكره من النياحة على الميت الفتح [٣/١٦٠].

(١) هو الشعر المخالف للدعوة الإسلامية الذي أشار الله ربنا في سورة يس آية رقم (٦٩).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء آية (١٠).

(٣) إشارة إلى حديث مسلم في الصحيح بهذا اللفظ، القدر برقم ٣ خاص مسلم ٢٦٤٥ وهو من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -.

(٤) جزء من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - جه برقم (٤٦) المقدمة [١/١٨]، بسياق طويل.

(٥) خ برقم (٤٨)، الإيمان من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - وم الإيمان برقم (١١٦) خاص.

(٦) الأحزاب: آية (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة عشرة

١٩ / ١ / ١٤١١

[النفير إذا طلب الإمام]

الحمد لله رب العلمين الرحمن الرحيم ، أمر بوفاء العهد ، ونهى عن الغدر والخيانة ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لاشريك له ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] . ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[2] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وقدوة المجاهدين .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أمَّا بعد .. فإن المملكة العربية السُعودية هي مَعْقِلُ الإسلام ومهبط الوحي على خير الأنام محمد - صلى الله عليه وسلم - وإليها يأرز الإيمان ، لها مكانتها عِند الله ، ولها وزنها عند خلق الله ، فهي قبلة المسلمين ومُتَعلَّق قلوب المؤمنين .

وقد وفق الله خادمَ الحرمين الشريفين للقيادة بالحكمة والرشد ، وبذلِ كلِّ ما فيه خدمةُ المقدسات الإسلامية ، والمحافظةُ على كِيانِ الإسلام . فالدفاع عنها دفاع عن منابع الرسالة ومهابط الإيمان وعن الإسلام والمسلمين .

وفي أعقاب الأحداث التي فاجأت العالم يوم الخميس الماضي الموافق ١١/١/ ١٤١١ هـ وأدهشت كل إنسان تلك الأحداث المؤسفة التي عكست الأوضاعَ ،

---

(١) سورة المنافقون آية رقم (٨) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٣٩) .

وقلبت المقاييس، وتعدّت العهود والمواثيق في أبشع عدوان عرفته الأمة العربية في حاضرها، مما أدى إلى تشريد شعب مسلم عربي، وفي أعقاب ذلك أعلن خادمُ الحرمين الشريفين الملكُ فهد بن عبد العزيز في خطابٍ ألقاه يوم أمس موجهًا لأبناء هذه البلاد المحروسة أشار فيه - وفقهُ الله - إلى الجهود التي بذلها، واتصالاته مع الأشقاء، واجتماعه مع الدولتين المعنيَّتَيْن لتسوية الخلافات بين القُطرين العربيين بالأمور السليمة، إلّا أن الأمور ساءت مع الأسف على عكس الاتجاه الذي كان يتطلع إليه، بل وعكس تطلعات الشعوب الإسلامية والأمة العربية، وجميع دول العالم المحبة للسلام، وأعرب حفظه الله عن رفض المملكة العربية السعودية رفضًا قاطعًا لكل ما أعقب هذا الاعتداء من إجرآت وإعلانات، ووضع رَفَضتْه القياداتُ العربية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلسُ التعاوُن لدول الخليج العربية، ورفضته جميعُ الهيئات والمنظمات العربية والدولية، وتؤكد المملكة العربية السُعودية مطالبتها بإعادة الأوضاع في دولة الكويت الشقيق إلى ما كانت عليه قبل الاجتياح العراقي لها.

ورَجَا خادم الحرمين الشريفين أن تسفر القمة العربية الطارئة المجتمعة في مصر العربية هذا اليوم عن النتائج التي تُحقق آمال الآمة العربية وتعزيز موقفها نحو التضامن ووحدة الكلمة.

وأشار حفظه الله في حديثه إلى أنه أعقب ذلك الحدث المؤسفَ إقدامُ بعض الجيران على حشد قوات كبيرة على حدود المملكة العربية السعودية، وأنه أمام هذه الوقائع المريرة، وانطلاقًا من حِرص المملكة على سلامة أراضيها وحماية مقوماتها الحيوية والاقتصادية، ورغبةً منه - أدام الله عزَّه وتوفيقه في تعزيز قدُرات المملكة الدفاعية، ورفع مستوى التدريب لقواتها المسلحة، وانطلاقًا من حرص حكومة المملكة العربية السعودية على اللجوء إلى السلم، وعدم اللجوء إلى القوة لحل الخلافات: أعربت المملكة العربية السُعودية عن رغبتها في اشتراك قوة عربية شقيقة وأخرى صديقة، فبادرت بحكم علاقات الصداقة التي تربط بين المملكة العربية السعودية وتلك الدول إلى إرسال قوات جوية وبريّة لمساندة القوات المسلحة السعودية في أداء واجبها الدفاعي عن الوطن والمواطنين ضد أي اعتداء والقيام بالتدريبات المشتركة.

وأشار حفظه الله إلى أن تواجد هذه القوات على أرض المملكة مؤقت، وأنَّها ستُغَادِرها فورًا عندما ترغب المملكة العربية السعودية في ذلك، وإن ما ذكره خادم الحرمين الشريفين يتفق مع قوله تعالى:

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[1] ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2].

إن الملك فهدًا وضع في خطابه النُّقَطَ على الحروف، وهذا دليل على إخلاصه لدينه وأمته وشعبه، ودليلٌ على حرصه على حماية الحرمات والدفاع عن الإسلام والمسلمين فعلى الشعب السعودي التأييد والمساندة والاستعداد يجب على شعب المملكة العربية السعودية الأبطال البواسل الاستجابةُ لنداء الإمام إذا دعاهم إلى النفير للدفاع عن الإسلام والمحارم والحقوق، فذلك واجب عَيْنيٌّ على كل مواطن سعودي وهو جهاد مقدس.

فالله الله عليكم بالجماعة والائتلاف على الطاعة، والجهاد في سبيل الله، يجمعِ الله قلوبكم ويكفرْ عنكم سيئاتكم ويحصِّل لكم خيري الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٥٨،٥٩).

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٦٠).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(١) .

﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢) .

فإذا استنفركم الإمام فقولوا : سمعنا وأطعنا

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١١١) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٩٥،٩٦) .

(٣) سورة التوبة آية رقم (٤١) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾[1] .

عن عبد الله بن عَمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «من قُتل دون ماله فهو شهيد». متفق عليه.

وروى أبو داود، والترمذي وصححه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد المشهود لهم بالجنة -رضي الله عنهم- قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: «من قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد».

وروى مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله؛ أرايت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تُعطه مالك». قال: أرايت إن قاتلني. قال: «قاتله. قال:» أرايت إن قتلني. قال: «فأنت شهيد». قال: أرايت إن قتلته. قال: «هو في النار».

وأوصيكم بتقوى الله فإنها تفتح طرقًا مغْلقة، وأبوابًا مقفلة، وتوسع ما كان ضيّقًا، وتسبب رزقًا حسنًا بلا مشقّة.

اللهم؛ أصلح شأن المسلمين، وألِّف بين قلوبهم، ووحِّد صفوفهم، واجمع كلمتهم على ما يرضيك.

اللهم؛ احفظ علينا نعمك وارزقنا شكرها، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا.

اللهم؛ اخذل الظلمة المعتدين، الذين ينقضون العهد ولا يوفون، لا يرقبون في

---

(١) سورة الصف آية رقم (١١).

مؤمن إلًّا ولا ذمة ولا يعدلون، اللهم؛ إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم. اللهم؛ إنك محيط بهم وهم في قبضتك لا يعجزونك. اللهم؛ أنزل الرعبَ في قلوبهم، وحطِّم قوتهم، واكِسر شوكتهم، واقمع غرورهم، وهبِّط طيشهم، وردَّهم إلى الحق رغم أنوفهم.

اللهم؛ احفظنا من البلايا والمحَنْ وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن، واغفر لنا ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء عنده بمقدار .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، تفرد بتصريف الأمور جملة وتفصيلًا .

وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمدًا عبده ورسوله ، أعرف الناس بربه ، وأصبرهم على البلاء .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقى ، ومن تبعهم بإحسان واهتدى .

أما بعد .. فإن الإنسان محصورٌ بين الأمل والقدر . فالعبد يريد ، والله تعالى قد قضى وقدر ولا يحصل إلا ما قدر الله .

فما يحصل في هذا الوجود من أحداث وتقلبات من خير وشر ، وصحة ومرض ، وأمن وخوف ، وعِزٍّ وذُلٍّ ، ورِخصٍ وغلا ، ووفاق وفراق .

كل ذلك في علم الله وبمشيئته الكونية ، ولحكمة بالغة يعلمها ، فما كان من خير فمن فضل الله ، وما كان من سوء فبما كسبت أيدي الناس ، وكل ذلك مسطر في اللوح المحفوظ .

روى مسلم في الصحيح عن عَمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » .

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) .

والأخذ بالأسباب مطلوب ، والمؤمن كيِّس فَطن لا يلدغ من جحر مرتين ، يأخذ للأمور أهبتها ، ويستعد لها بعدتها ، فينظر فيما مضى من أمره وفي مستقبل شأنه ، قويًّا بإيمانه معتمدًا على ربه مفوضًا أمره إليه مستعينًا بذي القوة المتين مستعدًّا لعدوه بما يستطيع من قوة فإذا وقع البلاء وجب الصبر والاحتساب والرضا . فلا علم للإنسان بعواقب الأمور ، والدنيا وسيلة وليست غاية .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢)

وروى الترمذي وصححه عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما يزال البلاء بالمؤمن ، والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » .

وكلما قوي إيمان العبد اشتد بلاؤه ليَعظُم أجرهُ وليُرفع درجاته ، فَعِظَمُ الجزاء مع عظم البلاء .

وأشَد الناس بلاء صفوة خلق الله الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والتسليم ، فقد كُذِّبوا وأوذوا وقوتلوا وامتحنوا فصبروا والعاقبة للتقوى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة التغابن آية رقم (١١) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢١٦) .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة عشرة

١٥ / ٧ / ١٤١٣

[تحريم قتل النفس المعصومة]

الحمد لله رب العالمين ، شرع الحدود رحمة للعالمين ، وزجرًا للفاسقين ، وعقوبة للمجرمين ، وهو الرَحمن الرحيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أعلم بما يصلحه ويحفظ حقوقه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، بلَّغ رسالة ربه ، ونَصَحَ لأمته ، وجاهد في الله حق جهاده .

اللهم ؛ صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليمًا كثيرًا .

أمَّا بعد .. فإن علاقة المسلم بأخيه المسلم علاقةٌ أخويةٌ غاليةٌ عزيزةٌ . فليس في رغبات الدنيا ما يوهن ارتباطها ، ولا ما يقطع حبل الصلة فيها ، ولا ما يُعَكِّرُ صفوها ؛ ولهذا أمر - صلى الله عليه وسلم - بأسباب الألفة ، ونهى عن أسباب الفرقة ؛ فقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا تحاسدوا ، ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانًا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله . التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه » . رواه مسلم .[1]

وأكثر ما يثير الضغائن ، ويسبب الحقد قتل النفس بغير حق . وقد ثبت بنص الكتاب والسنة تحريم قتل النفس المعصومة إلا بالحق ، فقال تعالى :

(١) رياض الصالحين (١١٢) .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾[١] .

وقال سبحانه :

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[٢] .

وثبت في الصحيحين من حديث أبي بكرةَ نُفَيْع بن الحارث - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (أي في حجة الوداع) : « فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »[٣] .

وقد نص القرآن على أن القتل نوعان : خطأ ، وعمد . فالخطأ أن يعمل الإنسان عملًا يباح له ، كأن يرمي غرضًا ، أو صيدًا ، أو يسوق سيارة فيحصل فيها خللٌ ، أو يصادفه في الطريق عارض فيصيب إنسانًا مسلمًا من دون قصد ، ومن دون إرادة فيموت المصاب بسببه . وقتل الخطأ هو الممكن وقوعه من المسلم على المسلم ، فإن وجود الأخ في الله بجوار أخيه - نعمة من الله يحصل بها التعاون على البر والتقوى ، فلا يُتَّصوَّر أن يزيل المسلم هذه النعمة برغبته وإرادته . فإذا وقع القتل خطأ فالحكم واضح في القرآن الكريم :

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ

---

(١) سورة النساء أول الآية (٩٢) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٩٣) .

(٣) رياض الصالحين ، باب تحريمُ الظلم (١٠٦) .

إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾(١) .

فهذه ثلاث حالات في قتل الخطأ ، الأولى أن يكون القتيل مؤمنًا وأهله مؤمنين فتجب الكفارة والدية . وأما الكفارة فهي تعويضٌ للمجتمع المسلم بعتق رقبة مؤمنة ؛ لتكون عضوًا فيه بدل التي فُقدت ، فمن لم يجد فيتقرب إلى الله بعبادة خَفِيَّة تمس من نفسه وبدنه وتكْسِرُ من قُوَّته ، فهي دليل الندم والتحسر على قتل الخطأ .

وأما الدِّية ففيها تسكين ثائرة النفوس ، وتطمين المفجوعين ، وتعويض لبعض ما فات من نفع المقتول ، وهي على العاقلة مقسطة ثلاث سنوات تخفيفًا ، وتحقيقًا للتضامن وتعاونًا على نوائب الحياة ، ومع هذا يلوح القرآن الكريم بالعفو عن الدية ﴿ **إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا** ﴾ . ففي العفو إحساس القاتل بالتسامح فتطمئن نفسه ، وفيه تعاون مع العاقلة وتعاطف .

الحالة الثانية : أن يقع القتل الخطأ على مؤمن ، وأهله محاربون للإسلام مُعادون للمسلمين ، أي : غير معاهدين ، ففي هذه الحالة تجب الكفارة فقط ولا تدفع لهم الدية يستعينون بها على المسلمين ، وليس لهم حق الاسترضاء وجبرُ الخاطر .

الحالة الثالة : أن يقع قتل الخطأ على مؤمن ، أهله معاهدون عهد هُدنة أو عهد ذمة ، ففي هذه الحالة تجب الكفارة والدية كما نصت الآية الكريمة . أما قتل العمد فهو أن يقصد المكلَّف من يعلمه معصوم الدم فيضربُه بما يغلب على الظن موته به ظلمًا وعدوانًا ، كأن يضربه بعيار ناري ، أو بسيف ، أو رمح ، أو سكين ، أو بمثقل ، أو يقتله بسحر ، أو سم ، أو يجعل في المجتمع العام متفجرات ،أو مواد سامة من أجل الإخلال بالأمن والإساءة إلى فرد أو أفراد ، أو لقصد نزْع الثقة وتحريش العامة ، فهذه الأعمال التي يحصل بسببها قتل فرد أو أفراد أو جماعة فاعله قاتل عمدًا داخل تحت قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا .وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ**

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٢) .

وَلَعَنَهُ وأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[١] والقاتل عمدًا فاسق خارج عن طاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وعمله من أكبر الكبائر ولعظم جريمة قتل العمد وقُبْحها وسوء مَغَبَّتِهَا قُرنت بالشرك في أكثر من آية ، كقوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾[٢] .

وكقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣] .

وقتل العمد محرم بنص الكتاب والسنة ولا يفعله مسلم بمسلم إلا مَنْ زاغ قلبه وحق عليه العذاب ، للآية المتقدمة ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾[٤] .

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يَكْذِبه ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام : عرضه ، وماله ، ودمه . التقوى هاهنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم »[٥] . رواه الترمذي وحسنه .

وعند مسلم « كلُّ المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه »[٦] .

وعن سهل بن حنيف أن أمير المؤمنين عثمان بن عفانَ - رضي الله عنه -

---

(١) سورة النساء آية رقم (٩٣)

(٢) سورة الفرقان آية رقم (٦٨) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٢١) وذكره ابن كثير .

(٤) سورة النساء آية رقم (٩٣) .

(٥) رياض الصالحين (١١٢) .

(٦) رياض الصالحين (١١٢) .

أشرف يوم الدار «أي: على الخوارج الذين جاءوا لقتله» فقال: «أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: زِنَى بعد إحصان، أو كفرٍ بعد إسلام، أو قتل نفس بغير حق فقتل به». فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام. ولا ارتددْت مُنذ بايعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا قتلت النفس التي حرم الله فَبِمَ تقتلونني[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ الآية: هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، وموجب قتل العمد القصاصُ في الدنيا ووعيد في الآخرة، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[٢]

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣].

وقال تعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[٤].

وفي الصحيحين عن أنس أن يهوديًّا رضَّ رأس جارية بين حجرين فأتي به فاعترف فأمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فرض رأسه بالحجارة»[٥].

وعن أنس أنَّ الربيعَ عمة أنس بن مالك كسرت ثنية جارية من الأنصار فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالقصاص «فرضي القوم وقبلوا الأرش»[٦].

(١) مشكاة المصابيح (٢٦٢).
(٢) البقرة (١٧٨).
(٣) البقرة (١٧٩).
(٤) المائدة (٤٥).
(٥) المشكاة [٢/٢٦١].
(٦) المشكاة [٢/٢٦١].

وقد رغب الكتاب والسنة في العفو عن القصاص، قال تعالى:

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[1]

وروى الترمذي رحمه الله عن عَمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: قال: «من قَتَلَ متعمدًا دفع إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا أخذوا الدية»، وقال: وما صالحوا عليه فهو لهم.

وإذا تمالأ جماعة على قتل مسلم عدوانًا اقتُصَّ منهم؛ لما روى مالك عن سعيد بن المسيِّب أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قتل خمسة أو سبعة بفرد واحد.

قتلوه غيلة. وقال عمر: لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم، وإذا أمسك إنسانٌ وقتل آخر قتل القاتل، وحبس الممسك حتى يموت؛ لأنه حبس المقتول إلى الموت فيحبس إلى الموت[2].

وهناك نوع ثالث لم يذكر في الآيات لكن ذكر في السنة وهو شِّبه العمد، وهو أن يقصد المكلف معصومًا فيضربُه بما لايقتل غالبًا فيموت، فقصد القتل غير موجود، وقصد الفعل موجود، كأن يضربه بعصًا خفيفة، أو يلكزه بيده في غير مقتل فيموت فهو شبه عمد، لم يكن عمدًا لانتفاء قصد القتل، ولم يكن خطأً لوجود قصد الفعل، فصار شبه عمد، وموجب شبه العمد دية مغلظة ولا قود؛ لما روى أبو داود عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده؛ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «عقل شبه العمد مغلظ مثلُ عقلِ العمد ولا يُقْتَل صاحبه»[3].

ومن قَتَل مورثه عمدًا أو خطأً حُرم الميراث، ومتى تَطَبَّبَ معروف بالطب ضمن ما أتلفه، فاتقوا الله أيها المسلمون، إن الدماء سيقضى فيها يوم القيامة؛

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨).

(٢) الكشاف [٥/٦٠٤] المشكاة [٢/٢٦٥].

(٣) المشكاة [٥/٢٧].

فاحترزوا ومنها

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم واغفر لنا .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم [٧٠،٧١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، علَّم أمته الآداب والفضائل ليكونوا شهداء على الناس .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن من هدي نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - إفشاء السلام ، وهو دعاء بالسلامة من المصائب والآفات .

وأول من بدأ بالسلام أدم عليه الصلاة والسلام . روى البخاري في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « خلق الله أدم على صورته ، طوله ستون ذراعًا ، فلما خلقه قال : اذهب فسلم على أولئك النفر نفر من الملائكة جلوسٍ فاستمع ما يحيُّونك فإنها تحيتك وتحية ذُرِّيَّتِك فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله . وإفساء السلام سنة وردُّه واجب ، والسلام اسم من أسماء الله ، يسلم على من يعرفه ومن لا يعرفه ، فيسلم القليل على الكثير ، والراكب على الماشي والماشي على القاعد ، والصغير على الكبير ، وذلك من حق المسلم ، على أخيه المسلم ، ولا يبدأ بالسلام من عرف بالفسق .

وأما سلام الرجال على النساء وسلام النساء على الرجال فلا يشرع إلا إذا أُمنت

---

(١) سورة النحل آية رقم (٨٩) .

الفتنة ، كأن تكون المرأة كبيرةً أو برزة أو محرمًا فيشرع السلام إذًا ؛ لما روى البخاري رحمه الله أن عجوزًا كانت تسقي شرابًا طيبًا فيأتيها بعض الصحابة - رضي الله عنهم - فيسلمون عليها وتسقيهم[١] .

وأخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عائشة أن جبريل عليه السلام يُقْرِئُها السلام . أما إذا لم تؤمن الفتنة ، بأن تكون أجنبية شابة ، فيكره السلام ، ويحرم النظر إليها .

ويسلم الرجل على أهله إذا دخل البيت ، وإذا سلم أهل الذمة رد عليهم كما رد النبي صلى الله عليه وسلم « وعليكم » .

والقيام إلى كبيرًا لقوم جائز لقوله - صلى الله عليه وسلم - قوموا إلى سيدكم والمصافحة مشروعة للرجال ، وإذا سلم الرجل على امرأة من محارمه صافح وإن شاء قبل رأسها ولا يقبل وجهها . والفم للزوج .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، تأدبوا بآداب الإسلام ، وأفشو السلام بينكم تحابوا .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢] .

---

(١) البخاري [٦٣/٨] فتح الباري [٣٣/١١] .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة عشرة

٢٣ / ٣ / ٩٥

[لولي القتل عمدًا ثلاثة خيارات]

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[١]

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون[٢] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . تركنا على المحجة البيضاء لَيْلِهَا كنهارها لا يزيغ عنها إلّا هالك[٣] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلِّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، والتمسكِ بتعاليم دينه والعمل بكتابه وتحكيم أحكامه ، والوقوف عند حدوده .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[٤] .

عباد الله ؛ إن حياة المجتمع تتركز على ثلاث قواعد أساسية ، هي : الدماء ، والأعراض ، والأموال : من أجل ذلك حافظ عليها الإسلام ، وحرم الاعتداء عليها ، وحرم أخذ شيء منها إلّا بحق الإسلام ، وأحاطها بسور رفيع يحفظها ويحافظ عليها ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (٤٣) .

(٢) سورة القصص آية رقم (٧٠) .

(٣) جه برقم (٤٣) المقدمة والإمام أحمد في المسند [١٢٦/٤] ، كلاهما من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

(٤) سورة الطلاق آية رقم (٢،٣) .

ويمنع من التعدي عليها ، فحفظ الأموال بحد السرقة :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وحفظ الأعراض بحد القذف :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) .

وبحد الزاني :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣) .

هذا إذا كانا بكرين لم يحصنا . أما المحصن الزاني فحده الرجم بالحجارة حتى يموت(٤) .

سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - وحكمه العادل ، وحفظ الدماء بحد القصاص .

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٣٨) .

(٢) سورة النور آية رقم (٤) .

(٣) سورة النور آية رقم (٢) .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه الشيخان في صحيحيهما خ في المحاربين [١٢/١٢٨] ، ومسلم برقم (١٦٩١) في الحدود باب رجم الثيب الزاني .

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾(١) .

فمن تصدق به فهو كفارة له ﴿ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾(١) .

إن قتل المسلم عمدًا عدوانًا جريمةٌ شنعاء، وخطر على المجتمع تورث البغضاء والشحناء والشقاق. لا يقدم عليها إنسان يؤمن بالله حقًا، ولا تصدر من إنسان يتصف بالمثل العليا، والفضائل. بل لا يخطر على البال أن مؤمنًا يقتل مؤمنًا عمدًا عدوانًا.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ﴾(٢) .

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٣) .

من أجل ذلك كتب الله تبارك وتعالى على المؤمنين القصاص في القتلى. وبيَّن فوائده للفرد والجماعة. ففيه حياة الناس وصلاح الأمة وقطع دابر الشر، وفيه حفظ الأمن والاستقرار، ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ بَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾(٤) . صدق الله العظيم، إن في القصاص حياة للناس يعرف ذلك أهل العقول السليمة والبصائر المستقيمة.

فإذا عَرف صاحب النزعةِ الشريرة أنه إذا قَتلَ اقتص منه جزاء وفاقًا لم يقدم على ارتكاب الجريمة.

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٤٥).

(٢) سورة النساء آية رقم (٩٢).

(٣) سورة النساء آية رقم (٩٣).

(٤) سورة البقرة آية رقم (١٧٩).

وإذا اقتُص من القاتل طابت نفوس أولياء القتيل، وذهب البغض من نفوسهم.

ومن حكمة الله تعالى وعدله جعل دماء المسلمين متكافئة لا فرق بين الصغير والكبير، ولا بين الذكر والأنثى، ولا بين عربي وعجمي، ولا بين شريف ووضيع، ولا بين متعلم وأمي. لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى[١] وكفى بالقصاص ملامةً ونكالًا وعظة لأهل السفه والجهل من الناس.

وما أَمَر الله تعالى بأَمْر قط إلا وهو أمر صلاح ورشد في الدنيا والآخرة، ولا نهى الله تعالى عن أَمْر إلا وهو أمر غي وفساد في الدنيا والآخرة.

ومن رحمة الله تعالى بأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- وكرم فضله وإحسانه لم يجعل القصاص حتمًا لازمًا. بل جعل لولي الدم الاختيار بين ثلاثة أمور يختار منها ما يرى فيه صلاحًا في أمور الدين والدنيا وقطع دابر الفساد. جعل له حق القصاص ووعده بالنصر والتأييد وأوصاه بالعدل فلا يقتل غير القاتل ولا يمثل في اقتصاصه.

﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[٢]

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣].

وجعل له العفو على المال.

(١) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنه- عزاه السيوطي في الدر المنثور [٥٧٩/٧] إلى الإمام ابن مردويه في تفسيره، والبيهقي في سننه الكبرى، وذلك في خطبة النبي -صلى الله عليه وسلم- في يوم حجة الوداع وإلى هذا يشير قوله تعالى في سورة الحجرات آية رقم (١٣).

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٣٣).

(٣) سورة النحل آية رقم (١٢٦).

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾(١)

وجعل له حق العفو مطلقًا واحتسابَ الأجر على الله .

﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾(٢) .

فإذا عفى ولي الدم عن القصاص وأخَذَ المال لم يكن له إليه سبيل ، فإن اقتص بعد ذلك فهو معتد ظالم يجب عليه القصاص ،

﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾(١) .

وإذا كان القصاص حدًّا راجع لولي الأمر فلا عفو إذًا .

فاتقوا الله عباد الله ، هذا كتاب الله ينطق عليكم بالحق فاتبعوه في أمره ونهيه ، وحكموا أحكامه ، واسلكوا منهجه وشريعته ، واستسلموا لحدوده .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٣) .

فإذا وقع الأمر علمنا أنه قضاء الله وقدره فيجب الرضا به والتسليم

أقول ما سمعتم وأتقوا الله واستغفروه . إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨) .

(٢) سورة المائدة آية رقم (٤٥) .

(٣) سورة النساء آية رقم (٦٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه التي لا تحصى وله الحمد أولًا وآخرًا .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلىّ الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1] .

إن من نعم الله على عباده أن جعل ولايتهم في قادة من أحسنهم عقيدة وإيمانًا وفضلًا وخلقًا ورحمة ، ونسبًا ، يؤمنون بالله وبرسوله - صلى الله عليه وسلم - يحكمون فيهم بحكم الله ، ويسوسون الأمور بسياسة الإسلام الذي فيه سعادة الأمة وصلاحها ، وأمنها واستقرارها . فالحمد لله على ذلك حمدًا كثيرًا .

أيها الناس ، إن الموت قد تخطاكم إلى غيركم ، وسيتخطىٰ غيركم إليكم فخذوا حذركم[2] .

وتأهبوا للقاء ربكم ، وقدموا لأنفسكم زادًا من التقوى والأعمال الصالحة تجدوه أمامكم .

تمكسوا بكتاب الله العزيز ، واجعلوه أمامكم ، اقتفوا أثر ، واتبعوا سبيله ، فإنه

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٧١) .

(٢) هذه مقالة طيبة واقعية لبعض السلف الصالحين رحمهم الله تعالى ، وليس بحديث مرفوع ، والله أعلم .

أحسن الحديث وأصدق القول. حكمه عدل، وقوله فصل، ووعده حق، فيه خبر من قبلكم، ونبأ من بعدكم، وفصل ما بينكم، وعليكم بِسُنة نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، فإنها تفسر القرآن وتبينه، عضوا عليها بالنواجذ[١].

وإياكم ومحدثات الأمور في الدين والتشريع، فإن كل محدثة بدعة وكلَّ بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[٢].

وصلوا على البشير النذير، والسراج المنير، صاحب الحوض المورود، والمقام المحمود نبينا، محمد الأمين، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين. فقال عز من قائل عليم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا»[٤].

اللهم؛ صلِّ وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين اللهم؛ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين.

---

(١) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [٤/ ١٢٦]، وإسناده صحيح، وأخرجه ابن ماجة برقم (٤٢).

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الجمعة برقم خاص (٤٣) وعام (٨٦٧) صـ [٢/٥٩٢].

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

(٤) مسلم في الصحيح كتاب الصلاة حديث رقم خاص (٧٠) وعام (٤٠٨)، وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ونحو هذا اللفظ أخرجه أحمد في المسند [٤/٣٠]، وذلك من حديث أبي طلحة، رضي الله عنه.

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمِّر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين . اللهم ؛ أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا ، وانصر واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، واجعلهم خير خلف لخير سلف ، اللهم ؛ انصرهم بالإسلام وأعزهم بالتقوى والإيمان .. وكن عونًا لهم على البناء والإصلاح ، وسدد خطاهم ، وكلل مساعيهم بالتوفيق والنجاح ، واجعلهم عزًّا للإسلام وارفع بهم راية الإيمان . اللهم ؛ انصر واحفظ جميع ولاة أمور المسلمين . اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم ؛ فرج هم المهمومين ، ونفِّس كرب المكروبين ، واقضِ الدين عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين . عباد الله ؛

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1] .

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم .

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[2] .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٠) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة عشرة

١٣ / ٦ / ١٤٠١

[القصاص من عدالة الإسلام]

الحمد لله على نعمة الإسلام ، وأشكره على آلائه وفضله التام ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وهو الحكيم الخبير ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيقول الخالق تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) .

كانت بعض القبائل في الجاهلية إذا ظهرت على أخرى وغلبتها تترفع عليها في كل شيء حتى في الدماء ، فإذا قُتِل منهم عبد لا يرضون إلا بأخذ حر من الفئة المستضعفة ، وإذا قُتِلت منهم امرأه يأخذون بها رجلًا ، فأبطل الإسلام ذلك ، وجاء بالعدل والمساواة فلا يُقتص إلا من القائل إذا كان القتل عمدًا عدوانًا ، فقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ أي فرض عليكم . والقصاص هو المساواة والعدل .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨،١٧٩) .

والخطاب للمؤمنين فهم الذين يدينون بدين الله ، ويحكمون بحكم الله ، وهم المسئولون عن تبليغ رسالة الله إلى جميع خلقه . فولي الأمر مسئول عن التنفيذ ، والجاني ملزم بالاعتراف بالواقع والاستسلام لأمر الله وحُكمه ، فإن لم يفعل فقد ظلم نفسه ، وحاد عن صراط الله ، وتنكر لحكم الله ، والله تعالى له بالمرصاد .وعامة الناس ملزمون بالرضا بحكم الله والقناعة به . فلا تحمِلُهم الشفقه إلى تعطيل حكم الله والحيلولة دون تنفيذه ، والسكران مسئول عن تصرفاته ؛ لأنه تعمد شرب الخمر وهو يعلم أنه سيغطي عقله ، فكل ما يصدر منه على حقوق الآخرين فهو المسئول عنه ، ولا ينبغي أن يجعل السُّكر أداة إجْرَام ، وأعذارًا للمجرمين .

والجماعة إذا تمالئوا على قتل إنسان قتلوا به ؛ لأن كل واحد منهم أزهق نفسًا من دون حق باشتراكه في القتل بالتمالؤ عليه .

ومن خصوصيات أمةِ محمد - صلى الله عليه وسلم - أبيح لهم العفو عن القصاص في العمد إلى الدية أو مطلقًا . وكان فيمن قَبْلنا ليس لهم إلا القصاص أو العفو مطلقًا من دون دية فإذا عفى ولي الدم . فيَتْبعُ ما عفى إليه بالرضا . والمودة ، ويجب إذًا على القاتل أو وليّه أن يؤديه إليه بإجمال وإكمال وإحسان ، تحقيقًا لصفاء القلوب وشفاءًا لجراح النفس ، وتقوية لأواصر الأخوة . فمن اعتدىٰ بعد العفو فله عذاب أليم عند الله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1] فَيَكُفُّ الجُناةُ عن الاعتداء إذا عُلم أن القاتل سيُقتل . وبالقصاص يذهب غيظُ أولياء الدم ، فلا يعتدون على غير القاتل ، وفي القصاص أمن للناس وراحة واستقرار ، فلا يخشى أحد منهم الاعتداء على نفسه ، ولكن لا يعقل ذلك ولا يدركه إلا أهل العُقُول الواعية والأفهام المتدبرة .

ومن تشريع الحدود ، ندرك بعض حكمة الله تعالى في تنظيم حوافز النفس البشرية لمعرفته بما فطرت عليه من النوازع ، فإن الغضب للدم فطرة وطبيعة . فالإسلام يلبيها بتقرير شريعة القصاص . والعدلُ الجازم هو الذي يكسر شِره النفس ويهدئ ثورتها ، ويردع الجاني عن التمادي ، ونُدْرك أيضًا رحمة الله تعالى بالإنسان فَفي الوقت الذي شرع فيه القصاص رغب في العفو وفُتح طريقه . فالدعوة إلى العفو بعد

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٧٨) .

تقرير القصاص دعوة إلى التسامي في حدود المقدرة والرغبة فيه .

أما ما يفعله بعض الناس من محاولة الإكراه على العفو ، أو ادعاء العفو ، وإحضار بيّنات ملفقة ، فليس من هذا الباب ، ولا يحصل به تسامح ، ولا تسامي ، ولا يذهب به غيظ النفس بل يزيدُها ويشعل نارها .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وراقبوه ، فإن التشريع كلَّه في صالح الإنسان . اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم .

اللهم ؛ إنا نسألك العفو والعافية ، والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، منه المبتدىٰ وإليه المنتهى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصفوة المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله واهتدى .

أما بعد .. فيقول الخالق تبارك وتعالى :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١)

المؤمن الحقيقي يتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويرضى بحكم الله فيما له وفيما عليه ، سواء في الدماء ، أو الأموال ، أو الأعراض ، في الحقوق والحدود ، ويؤمن بأن هذا هو العدل والإصلاح ، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢) ولكن بعض الناس يتأثر بدعايات خصوم الإسلام ، وأعداء المسلمين الذين حسدونا على نعمة الله وهدايته . إذا سمعوا بإقامة حد من حدود الله ، تحملهم الشفقة على المجرم ، إلى إظهار الجزعِ والتبرمِ ، وهذا خطر عظيم قد يؤدي إلى الهاوية إذا وصل إلى حد الاعتراض وعدم الرضا .

بعض الناس ينظر إلى الواقع نظر الأعشى الذي لا يبصر إلا ما تحت قدميه ، ينظرون إلى المجرم وقت إقامة الحد عليه ، ولكنهم لا ينظرون إلى ما هو أعمق من ذلك وأهم ، لا ينظرون إلى حقوق الأمة كلها ، إلى أمنها واستقرارها ، أو خوفها واستفزازها ، لا ينظرون إلى حال المجني عليه وقت الجناية ، ولا إلى حال أسرته وعشيرته ، وما يصيبهم من الآلآم والقلق وغيظ الصدور .

(١) سورة النساء آية رقم (٦٥) .

(٢) سورة المائدة آية رقم (٥٠) .

بعض الناس لا ينظرون إلى نتائج الحزم وتنفيذ الحدود ولا إلى نتائج الإهمال وتعطيل الحدود .

إن التاريخ في الماضي والحاضر هو الذي يعبر عن الواقع ويوضح النتيجة .

الأمة التي فيها العزم والحزم وتحكم بشرع الله تعيش في أمن واستقرار ، وراحة في النفس ، واطمئنان في البدن ، وحرية في العمل والانتقال .

أما الأمة المهملة المتساهلة المتفككة التي لا تحكم بشرع الله ، ولا ترتبط برباط الإسلام ، فإنا نسمع عنها في كل يوم نشرات في صحفها عن الجرائم المتنوعة ، وانتهاك الأعراض ، وقتل الأولاد ، والاعتداء على الأموال بالسلب والنهب ، وما إلى ذلك من الجرائم الشنعاء ، والبوليس عندهم ليس مسئولًا عن شيء من ذلك .

نَشَرت جريدة المدينة يوم الثلاثاء الماضي رسالة من طالب سعودي يدرس في الخارج ، قال فيها : إن المُدَرسة طلبت منهم التحدث عن الجريمة وعقابها ، فرأى أحدهم أن يُسجن المجرمُ مدةً ليكون رادعًا له عن العودة إلى الجريمة ، فلم يؤيده إلا قليل ، ورأى آخر أن يُسجنَ القاتل مدى الحياة ، فأيده أكثر من الأول . وقال ثالث : إن بناء السجون التي تستوعب المجرمين يكلف أموالًا ومصاريف ، فنحن الخاسرون لهؤلاء القتلة ، وأيدته فتاة ، وقالت : نريد أن يُعاقب المجرم على ما فعله من الإجرام ، المجرم قتل إنسانًا وسلبه حياته فكيف يسمح له بأن يهنأ بالحياة فأيدها معظم الطلبة ، وقالت : هناك دولة لا أدري ما اسمها يقتلون القاتل ويقطعون يد السارق ويعيشون في أمن وسلام ولا توجد عندهم سرقات .

ثم تكلم الطالب السعودي فأدى ما عليه كثر الله من أمثاله وجزاه الله خيرًا .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ إننا في نعمة يتمناها العالم كله ، ولكنهم لم يوفَّقوا لها ، والذي يظهر أن الجو فى تلك البلاد التي يسود فيها الخوف والفوضى متهيئ لقبول الإسلام إذا وصل إليهم على وجهه الصحيح ، فعلى من تقع مسئولة الدعوة والتبليغ . اللهم ؛ اهدنا إلى سواء الصراط ، وصلوا على البشير النذير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة عشرة

٢٠ / ٤ / ١٤٠٥

[العقوبات تتناسب مع الجريمة]

الحمد لله رب العالمين ، علَّم الإنسان بعد جهالته ، وهداه بعد ضلالته ، وفقهه بعد غفلته .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣) .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن

(١) سورة النحل آية رقم (٧٨) .

(٢) سورة الشورى آية رقم (١٣) .

(٣) سورة التوبة آية (١٢٨) .

اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى، فإن التقوىٰ هي ملاك الأمر، وجماع الخير، وطريقُ السعادة والسيادة، ثم اعلموا بأن القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير.

والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباعُ كل صاعق وناعق، يميلون مع كل صاعق، لم يستنيروا بنور العلم.

أيها المؤمنون، إن الله تعالى لما خلق الخلق، وخلق الموت والحياة، وخلق الجنة والنار، وجعل ما على الأرض زينة لها ليبلو عباده ويختبرهم، أيهم أحسن عملًا، هيأ لهم أسباب الابتلاء، فجعل لهم العقول والأسماع، والأبصار والإرادات، والقوى والطبائع والشهوات، وتواجد مواضع الرغبة والشهوة من الأموال والنساء، والسلطان، والمطعوم، والمشروب، والملبوس، وأحلَّ لهم ما فيه الخير، وحرَّم ما فيه ضرر، وأكَّد هذه الأسباب بقُرناءَ خير، وقرناء سوء ليتم الابتلاء والاختبار، ويُعرف الناجح من الساقط الراسب، ولتظهر حكمة الثواب والعقاب، ولإنفاذ أمر الله ونهيه، واقتضت حكمته تعالى، ورحمته الواسعة، ونعمتُه السابغة أن لا يَضْرب عن عباده الذِّكر صفحًا، وأن لا يتركهم سدى، بل ركب في فطرهم وعقولهم معرفة الخير والشر، والنافع والضار، واللذة والألم، ومعرفة أسبابها، والقدرة على العمل والترك، ولم يكتف بذلك بل أرسل إليهم رسلًا من أنفسهم يبشرونهم وينذرونهم، ويذكِّرونهم.

وكان من حكمته جل شأنه، ومن رحمته سبحانه أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة من بعض الناس على بعض، في الدماء والأعراض والأموال كالقتل، والجراح، والقذف، والسرقة، والحرابة، فأحكم وجوه الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الإحكام، وشرعها على أكمل الوجوه، ولم يتجاوز بهذه العقوبات ما يستحقه الجاني، فلم يشرع قطع اللسان في القذف والكذب، ولم يشرع الخصاء في الزنا، ولا الإعدام في السرقة، وإنما شرع في كل جناية ما يستحقه مرتكبها، وما يحصل به الزجر والإصلاح، وما تقتضيه رحمته وحكمته وعدله، وما يحصل به قطع

دابر الفساد، ونشر الأمن والاستقرار في العباد، فجعل القتل عقوبة لِأعظم الجرائم، كالجناية على الدين بالطعن فيه وفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو الردة عن الدين؛ لأن بقاء هذا الجاني بين أظهر الناس مفسدة لهم، ولا خير في بقائه، ولا مصلحة ترجى منه، فكان قتله أصلح للمجتمع وأصلح لنفسه، لئلا يتحمل أوزار الذين يُضلهم بغير علم.

والقتل أيضًا عقوبة للجناية على النفس المعصومة، فالجزاء من جنس العمل، فالجاني أزهق نفسًا معصومة من دون حق، ويتَّم أطفالًا، وهدم بناء أسرة، فعوقب بمثل ما فعل، وهذا هو العدل، ولولا القصاص لفسد الناس، وصارت كل طائفة تأخذ حقها وأكثر، وترد عليها الطائفة الأخرى بأشد، فتهلك آلاف النفوس والقصاص يمنع هذا الفساد. ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

كما أن القصاص مكفر عن الجاني خطيئة الجريمة. وأيضًا جُعل القتل عقوبة للزاني المحصن؛ لأن الزنا تعد على المحارم والمكارم، ومفسد للأخلاق، وبه تختلط الأنساب، وتتداخل الأولاد. والمحصن قد عرف حرمة الفراش وغيرة المحارم، وكرامة الأسرة، ويعرف ثقل اختلاط الأنساب وخَطَره، فلما أقدم علىَ إفساد ما يعرفه كانت عقوبته أشد من البكر.

ومن الحكمة أن جعلت عقوبة الزاني المحصن الرجم؛ ليشترك فيه أفراد الأسرة المنكوبة، وأفراد المجتمع؛ لأن فساد الزنا صار فاجعة كبيرة، وأما عقوبة السارق فهى القطع، وهى أليق به من سائر العقوبات، لأن هذه اليد جعلت وسيلة إلى إيذاء الناس وإرهابهم ونَشْر الخوف والاضطراب بينهم، فحقها القطع.

وانظر إلى حكمة المشَرِّع تبارك وتعالى، فإن اليد إذا كانت أمينة فهى ثمينةٌ، فمن اعتدى عليها خطأً ففيها نصف الدية، ومن اعتدى عليها عدوانًا وظلمًا اقتص منه، فلما هانت هذه اليد السارقة انحطَّت قيمتها، وانخفض ميزانها، فقطعت تطهيرًا للجاني، وإصلاحًا للمجتمع.

---

(١) البقرة (١٧٩).

وكذلك النفس إذا كانت أمينة فهى ثمينة ، من اعتدى عليها خطأ فعليه الدية والكفارة ، ومن اعتدى عليها متعمدًا وظلمًا ﴿ **فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[1] فإذا خانت هذه النفس ، وقتلت نفسًا معصومة من دون حق ، هانت على الله فسقطت قيمتها وكان عليها القصاص جزاء وفاقًا .

وأما عقوبة الجلد والحبس فعقوبة الجناية على الأعراض بالقذف ، وعلى العقول بالسكر ؛ وعلى الإبضاع ما لم تبلغ هذه الجناياتُ مبلغًا يوجب القتل ولا إبانة طرف ، وهي عقوبة تتناسب مع الجناية .

وليس المراد من إقامة الحدود إيلامَ الجاني فقط ، ولا منعه من العودة فقط ، ولا تشفي المجني عليه فقط ، بل مع هذا يراد إصلاح المجتمع ، وتطهيره من الفوضى ، وتنظيمه عن الغوغاء وحفظ كِيانه من التردي والانهيار ،وصيانته من الهبوط إلى مستوى الحيوان ، الذي ينهش بعضه بعضًا ، وينزو بعضه على بعض .

وأيضًا فإن إقامة الحدود - متى وجبت - طاعة لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فكما أن المسلم يؤمن بأن الله خلق هذا الكون وأتقن نظامه ؛ يجب عليه أن يؤمن بأن الله أنزل هذا النظام وأتقن نظامه ؛ وكما أنه يصلي ويصوم ؛ ويزكي ويحج ، طاعة لله ، يجب أيضًا إقامة الحدود طاعة لله .

والحمد لله الذي منَّ علينا في هذه البلاد بقادة يؤمنون بالله ورسوله ، ويحبون الله ورسوله ، يسيرون على منهاجه ، ويحكمون بأحكامه ، ويعملون بكتاب الله ، ويقيمون حدود الله ، ويدعون إلى الله على بصيرة ، فكان ولله الحمد هذا الأمن والرخاء بفضل تحكيم شرع الله ، والعمل بما أنزل الله .

وكم تمنت الشعوب الواعية أن يكون نظامها إسلاميًا ، وأن يمنع عنها الفساد ، وأن تصان عن الظلم ، وأن تحفظ عن الفوضى .

اللهم ؛ أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ، ويذل فيه أهل

---

(١) النساء (٩٣) .

معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف ، وينهى فيه عن المنكر . اللهم ؛ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمة الإسلام، وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له الملك العلّام.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الأنام.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه الأئمة الأعلام، ومن تبعهم بإحسان واستقام.

أما بعد.. فإن شريعة الإسلام شرعها رب العالمين مكملةً جامعةً شاملة مانعة، ليس فيها نقص ولا زيادة، تمثلت فيها قدرة الخالق وعظمته وكماله، وإحاطته وعلمه، وبقاؤه، فجعلها باقية ما بقيت الدنيا، ومحيطةً بكل متطلبات الناس في كل زمان ومكان، لم تكن لجماعة دون جماعة، ولا لإقليم دون آخر، ولا لدولة دون دولة، وإنما هى للناس كافة عجمهم وعربهم، وأسودهم وأبيضهم، لا يؤثر عليها مرور الأزمنة، ولا تتنافى مع التقدم، بل تنظمه وتصلحه، وتوجهه الوجهة النافعة بلا ضرر.

ولقد أدت شريعة الإسلام وظيفتها حينما كان المسلمون متمسكين بها عاملين بأحكامها، فصنعت أمة هى خير الأمم، وكوَّنت قرنًا هو أفضلُ القرون. فلما تركها المسلمون رجعوا القهقرى فاتهم التقدم والرقي.

وقد قيل لبعض الناس: إن التقدم الذي أحرزه الشرق والغرب راجع إلى قوانينهم وأنظمتهم، فذهب ينقلها وينسج على منوالها، فلم يزده ذلك إلا تأخُّرًا وضعفًا.

وإنما التقدم الذي أحرزوه بسبب ما أخذوه من توجيهات قرآننا وإرشادات ديننا، وتنظيم إسلامنا فأخذوا ما يصلح دنياهم، وتركوا ما يصلح سلوكهم وآخرتهم،

﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1].

---

(١) الروم (٧).

فاتقوا الله أيها المسلمون، إن حياة المسلمين وتقدمهم متوقف على تطبيق شريعتهم وكِيانُهم تابع لكيانها، ووجودهم مرتبط بوجودها، وسلطانهم تابع لسلطانها، وعزهم تابع لنصرتها، وأمْنُهم متوقف على تنفيذها.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة عشرة

[منافع الحدود للإنسان]

الحمد لله رب العالمين ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] .

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[2] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، ما ترك خيرًا إلا دلَّ أمته عليه ورغَّبها فيه ، ولا شرًّا إلا بيّنه لها ، وحذَّرها منه ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع ملته وحكم بحكمه .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلن ، فمن اتقى الله كفاه كل أمر يهمه ، وحفظ له شأنه ، ويسَّر له أمره ، وزرقه من حيث لا يحتسب . ثم أوصيكم بتأمل هذه الآية الكريمة من سورة المائدة ، وتدبر معانيها ، وتفهم مدلولاتها ، والنظر في مصالحها للفرد والجماعة ، وهي قوله تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٤٠) .

(٢) سورة التوبة آية رقم (٣٣) .

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

إن الإسلام وضع أحكامًا وحدودًا لحماية الأنفس والأعراض والأموالِ ، وحماية النظام العام ، المبني على شرع الله ، ونظام الإسلام هو كتاب الله الذي ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾[٢] . ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[٣] والسنة المطهرة الصحيحة تفسر القرآن وتبينه ، هذا الدستور الذي تكفل الله له بالخلود إلى أن تقوم الساعة ، وتكفل لمن اتبعه وسار على منهجه بالعز والتمكين ، خضعت له الجن والإنس طوعًا وكرهًا ، طوعًا بالإيمان ، والتصديق ، وكرهًا ، بالفطرة والأمر الواقع ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾[٤] .

من عشرات السنين اجتمعت هيئة الأمم المتحدة لدراسة نظمها وقوانينها ، وكل مندوب قدم دستور بلاده من القوانين الوضعية ، ولما جاء الدور لمندوب بلاد الإسلام مندوب الدولة المسلمة حقًّا ، رفع المصحف العظيم وقال : هذا هو دستورنا ، فخضع له جميع الحاضرين من المسلمين وغيرهم ، وحنَوْا صدورهم وأرخَوْا رءوسهم خضوعًا له وتعظيمًا ، ولو قدم دستورًا من وضع البشر فقرات ومواد لدخل في النقاش مثل غيره ، ولكن كلام الله العظيم يقف عنده كل قول ، وتذوبُ أمامه جميع المعارضات والأباطيل .

فالمجتمع المسلم والأمة المسلمة تُقيم حياتها كلها على نظام الإسلام ، وعلى منهج الإسلام ، وعلى شريعة الله في جميع شئونها وارتباطاتها ، وعلاقاتها . وبهذا يكفل لكل فرد ولكل جماعة . مقومات العدالة والكفاية ، والأمن والاستقرار ، وتستطيع أن تدفع عنها عوامل الشر والاستفزاز ، وكل دوافع الظلم والاعتداء .

وأمة تتخلق بأخلاق الإسلام ، وتحكم بشريعة الله ، وحكمه في جميع شئونها ، يعتبر الاعتداءُ على شيء من حقوقها الفردية أو العامة ، والخروجُ على نظامها جريمة

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٣٨،٣٩) .

(٢) سورة فصلت آية رقم (٤٢) .

(٣) سورة الحجر آية رقم (٩) .

(٤) سورة الرعد آية رقم (١٥) .

بشعة منكرة ، لذلك وضع الخالق تبارك وتعالى الحدود والجزاءات على الجرائم لحماية الأمة المسلمة ، وحماية حقوقها العامة والخاصة ، ولإصلاح ما فسد ، ومعالجة الأمراض الاجتماعية . ويجب على كل مسلم أن يتلقى أحكام الإسلام ، وحدود رب الناس بالرضا والقبول ، دون تردد دون شك أو ريب .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]

وقال - صلى الله عليه وسلم - : « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » . رواه البخاري ومسلم[2] . هذا منتهى العدالة

ولا شك في أن فوائد الحدود راجعة إلى البشر ، حتى الذي أقيم عليه الحد . فإقامة الحدود تربي الضمائر ، وترقق الطباع ، وتهذّب الأخلاق ، وتصدُّ عن طريق الشر إلى طريق الخير ، وتكسِرُ شوكة الشر من النفوس ، وتحملُ على القناعة بالرزق المباح وإن قلَّ ، وتكسر سورة الحسد والنظر إلى ما في أيدي الناس ، وتنشر الأمن والاستقرار ، وتسببُ الرخاء والخيرات ، وتحث على التوبة إلى الله والاستقامة . فالقطع في السرقة واعظ ملازم ، وزاجر مشاهد ، من رآه اتعظ به فبقطع واحد يَصْلح ملايين ، وتستقر أقاليم ، ويتعظ أمم . والعجبُ كلُّ العجب ممن يقول : إنا لقطع فيه شدة ولا يتفق مع المدنية المعاصرة . سبحان الله هل المدنية من حقها أن تنشر الفوضى ، وتخل بالأمن ، وتبث الإرهاب ، وتغمط الحقوق ، وتسعى بالظلم ؟ هل هؤلاء أعرف بمصالح الناس من خالقهم ؟ هل هم أرحم بالناس من ربهم ؟ ما يريد هؤلاء إلا تشجيع الجرائم ، وإفساد المجتمع ، والإخلال بالأمن ، ونشر الفوضى والإرهاب ، وقد أثبتت التجارب أن إقامة الحدود هي التي تقضي على الجرائم ، وتسد باب الشر والفساد ،

---

(١) سورة النساء آية رقم (٦٥) .

(٢) أخرجه الشيخان في صحيحيهما خ برقم (٣٧٣٣) ص [٨٨،٨٧/٧] . وذلك من حديث عائشة - رضي الله عنها - وكذا مسلم في الصحيح ، الحدود حديث رقم (٩٢٨) ، وكذا أحمد في المسند [٣٢٩/٦] .

وأن إهمال الحدود هو الذي يسبب الفوضى وانتشار الشر والفساد، وعدم المبالاة.

إن إقامة حد في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين يومًا، كما جاء في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عند النسائي، وابن ماجة[١] وحديث ابن عمر، - رضي الله عنهما - عند ابن ماجة[٢] وأما حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الذي رواه الطبراني بإسناد حسن فيقول: «وحدٌّ يقام في الأرض بحقه أزكى فيها من مطر أربعين عامًا»[٣].

وإذا تأملنا البلاد التي تحكم بشرع الله، وتُقام فيها حدود الله، وجدنا الجرائم فيها قليلة ضئيلة لا تذكر بالنسبة للجرائم والحوادث والفتن، في البلاد التي لا تحكم بشرع الله، ولا تقيم حدود الله، فالسلطان الذي يدين بدين الحق، ويحكم بما أنزل الله يجعل الله له هيبة وقبولًا، وضده بضده، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»[٤].

ولا عبرة بما نسمعه من تجمع الأحزاب مع زعمائهم، فإنما هي أطماع دنيوية، فإذا لم ينالوا منه مرادهم انفضوا عنه وصاروا ضده في الانتخابات الأخرى القادمة كما هو مشاهد ملموس. «ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل»[٥].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند [٣٦٢/٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وكذا النسائي، وابن ماجة من هذا الوجه واللفظ.

(٢) وأما حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - فأخرجه ابن ماجة برقم (٢٥٣٧) ص [٨٤٨/٢] وإسناده ضعيف.

(٣) أورده أبو بكر الهيثمي في المجمع [٢٦٣/٦] وقال: رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد، وفيه زريف بن السخت ولم أعرفه. اهـ. قلت: إذا كان هو زريف بن أبي زريف فهو ثقة، فقد ترجم ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل [٦٢٤/٣]. وأما إذا كان غيره فلا أعلم، والله أعلم.

(٤) أخرجه الترمذي مرفوعًا وموقوفًا على عائشة - رضي الله عنها - برقم (٢٤١٤) الزهد باب (٦٤) وفي إسناده مبهم، وقال الترمذي: رواه موقوفًا على عائشة أنها كتبت إلى معاوية ثم ذكر الحديث بمعناه.

(٥) إشارة إلى معنى حديث أخرجه البخاري في الصحيح وذلك من حديث عائشة =

فإذا رأيتم حدود الله تُنفذ فاحمدوا الله على نعمه، وهدايته ورعايته وتوفيقه، واسألوا الله العفو والعافية، ولا تلوموا ولا تشمتوا، ولازموا طاعة الله وطاعة رسوله وجماعة المسلمين.

نسأل الله الهداية والتوفيق والثبات، لنا ولإخواننا المسلمين، ونسأله المغفرة والرحمة، إنه هو الغفور الرحيم.

= - رضي الله عنها - اللباس باب (٤٣)، حديث رقم (٥٨٦١) ص [٣١٤/١٠]، الفتح وفيه: وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام، وإن قلَّ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن أحسن الحديث كتاب الله ، وأصدق القول كلام الله ، وخير الهدي هديُ نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة في الإسلام ضلالة ، وكل ضلالة في النار[1] ، واعملوا أن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ في النار[2] إن الفتن تحيط بالمسلمين من كل جانب ، ولا منجاة منها إلا بالاعتصام بكتاب الله ، والالتجاء إلى فاطر السموات والأرض ، والعمل بسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - .

واعلموا أن الموت قد تخطاكم إلى غيركم وسيتخطى غيركم إليكم فخذوا حذركم ، فقد تنوعت أسباب المنايا وكثر موت الفجأة ، ونحن آخر الزمان في وقت الفتن والمحن ، الجئوا إلى فاطر السموات في السراء والضراء ، وأصلحوا ما بينكم فالله يصلح فيما بينكم وبين الناس .

راجعوا أنفسكم ، وأصلحوا من شأنكم ، واعترفوا بتقصيركم وخطئكم ، ولا

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه النسائي في الصغرى [٣/١٨٠-١٨٩] وأخرجه الحافظ في الفتح [١٠/٥١١] ، وقال : أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وأحمد ، وابن ماجة وغيرهم من طريق علي بن الحسين عن أبيه عَن جابر بن عبد الله الأنصاري به .

(٢) الترمذي في جامعة برقم (١٢٦٧) الفتن ، وهو من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وإسناده حسن لغيره ، وقال الترمذي في نهاية الحديث : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وسليمان المدني هو عندي سليمان بن سفيان . وقد روى عنه أبو داود الطيالسي وأبو عامر العقدي وغير واحد من أهل العلم . اهـ .

ترغبوا عن نظام الإسلام، ولا عن دستور القرآن ونصوصه، تعبدوا لله بتلاوة القرآن وتحكيم أحكامه، ارحموا الفقراء والمساكين، وانصروا المظلومين،وكونوا عباد الله إخوانًا، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[١]، وأكثروا من ذكر الله بالتهليل والتكبير والاستغفار، وحافظوا على الصلوات المكتوبة، في أوقاتها، وأدوا زكاة أموالكم يبارك الله لكم فيها، ويحفظها لكم.

وصلوا على البشير النذير، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير؛ فقال جل من قائل عليم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢] اللهم؛ صلِّ وسلِّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم؛ ارض عن الخلفاء الراشدين. اللهم؛ أعز الإسلام والمسلمين. اللهم؛ انصر عبادك المجاهدين. اللهم؛ قوِّ شوكتهم، واربط على قلوبهم، وانصرهم بالرعب والتمكين.

اللهم؛ اخذل الشيوعية واليهود والمعتدين. اللهم؛ فرق جمعهم، وشتت شملهم، ورُد كيدهم في نحورهم، واهزمهم بقدرتك التي لا ترد عن القوم الظالمين.

اللهم؛ آمنا في أوطاننا، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا، ووفقهم لما تحب وترضى، ولما فيه الخير والسعادة والفلاح والصلاح والإصلاح اللهم؛ ارفع عنا الغلاء والوباء، والربا، والزنا، والزلازل، والمحن، وسوء الفتن، ما ظهر منها وما بطن، عن بلدنا هذا خاصة، وعن جميع البلاد المسلمة عامة. اللهم؛ فرِّج هم المهمومين، واقض الدين عن المدينين، واشف مرضى المسلمين. عباد الله؛ إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذى القربىٰ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الترمذي في الجامع برقم (١٩٢٤)، البر، وذلك من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بهذا اللفظ مع الزيادة الأخرى، وقال أبو عيسى فى نهاية الحديث: هذا حديث حسن صحيح. ص [٤/٣٢٣،٣٢٤].

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة العشرون

[الزجر عن الزنا]

الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير.

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(١)].

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فإن سعادة الأمة وعزتَّها وكرامتها تُبنى على فضائلها وشيمها وأخلاقها. فمتى استقامت الصفات والأخلاق استقامت أحوال الأمة، وتمكنت من السيطرة على مصالحها، وجلب الخير لها، ودفع الأذى عنها، أما إذا تدهورت الأخلاق وانحطت المكارم، وذهبت المحاسن. فذلك دليل على ضعف الأمة، وانهيار قواها، فهي كالمريض الذي لا يستطيع أن يطرد الذباب والحشرات عن وجهه؛ وحينئذ ينهار أساس القوة، ويتهدم الصرح والحصون؛ فيتسلط عليها الأعداء، وتتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها[(٢)].

---

(١) سورة الحديد آية رقم (٤).

(٢) إشارة إلى حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد في المسند [٥/ ٢٧٨]، وأبو داود في السنن برقم (٤٢٩٧)، الملاحم: باب تداعي الأمم على الإسلام وإسناده عندهما يصح إن شاء الله تعالى. وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم (٤٢٢٤) ص [١٦/١٥].

أيها المسلمون : إن كبائر المعاصي خطرها عظيم على كيان الأمة وعزتها ، وإن أخطر هذه الكبائر على المجتمع ، وعلى الأسرة ، وعلى الفرد جريمة شنعاء ، وفاحشة كبرى فيها الخنا والردى ، وهي جريمة الزنا ، بل إن الزنا هو أخطر المعاصي وأكبرُها فسادًا . وأشنعها إجرامًا ؛ فيه جُرأة على رب العالمين ، بانتهاك محارمه ، وتعدي حدوده ومخالفة أمره ونهيه ، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على أخلاقه ، وفضائله واختلاط أنسابه ، وخيانة للفراش والأسرة بانتهاك حرمته والتعدي على حقوقه ، وفيه خيانة للمرأة وغدرٌ لها ، وإراقة ماء الحياة من وجهها ، وتمزيق كساء العفة عنها ، وفيه هدم بيت المرأة وتحطيم مستقبلها وجعلُها عالة على المجتمع وعلى أسرتها ؛ لأن الرجال لا يرغبون في الزواج منها ، ومن ذا الذي يرضى أن يتزوج بزانية ؟

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١) .

الزنا جريمة على النطفة توضع في رحم حرام ، وتنسب لغير نسبها وتُورَّث غير مورثها ، ويَحْرُم عليها غير محارمها ، وقد توضع في دار الحضانة ؛ لا أم لها ولا أب عالة على الأمة مجردة من عطف الأبوة وحنان الأمومة ، قد توأد في أى طور من أطوار حياتها ظلمًا وعدوانًا وهى لا ذنب لها وإنما للتخلص من شخصيتها .

﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾(٢) .

الزنا عقوبته عاجلة وآجلة . فما انتشر الزنا في قوم فلم يُنْكر إلا سلط الله عليهم ذُلًا وهوانًا ، وابتلاهم بالأمراض والأسقام ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ونزع البركات . هذا في حق المجتمع ، أما في الزاني فما تسلط رجل على نساء الناس إلا سلط الله على نسائه ، من يفعل بهن كما فعل هو بنساء الناس سواء بسواء ، كبيرة أو صغيرة . قال - صلى الله عليه وسلم - : « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف

---

(١) سورة النور آية رقم (٣) .

(٢) سورة التكوير آية رقم (٨،٩) .

نساؤكم»[١] والأمور كلها بيد الله والقلو بين أصابعه يصرفها كيف يشاء.

وأما في حق المرأة الزانية فإنها تُحرم عطف الرجل وميوله إليها وحنانه عليها، إذا كانت ذات زوج، وإلّا حُرمت رغبة الرجال فيها، وحرمت عطف وليها وأسرتها وحنانهم عليها، وتُلبس ثوب المقت والذلة والهوان عند الناس، ولما كان الزنا بهذه المنزلة من الفساد والأخطار، وهدم البيوت، حرمهُ الإسلام وبالغ في تحريمه، وتوعد عليه بالوعيد الشديد يوم القيامة ورتب عليه عقوبة عاجلة في هذه الدنيا، وهي حد الزنا، فإذا كان الزاني محصنًا سواء كان ذكرًا أو أنثى (أي قد تزوج زواجًا شرعيًا) وإن كان خاليًا من الزوجية بعد ذلك. فحده الرجم بالحجارة حتى يموت؛ لما ورد في الصحيحين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله تعالى عنه - قال وهو جالس على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله قد بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق، وأنزل عليه الكتاب. فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها. فرجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو الحَبَل أو الاعتراف[٢].

أما الزاني البكر فحده الجلد مائة جلدة، وتغريب عام لقوله تبارك وتعالى:

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط كما أورده العلامة أبو بكر الهيثمي في المجمع [١٣٨/٨]، وهو من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير شيخ الطبراني أحمد: غير منسوب والظاهر أنه من المكثرين من شيوخه فلذلك لم ينسبه والله أعلم... قلت: هو أحمد بن زهير التستري إمام ثقة كبير القدر والله أعلم.

(٢) الشيخان في صحيحيهما خ [١٢٨/١٢-١٣١]، الفتح باب رجم الحبلى، ومسلم في الصحيح برقم (١٦٩١) في الحدود باب رجم الثيب الزاني كلاهما من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأخرجه البغوي من طريق البخاري به عنه برقم (٢٥٨٢) ص [٢٨٠/١٠].

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] .

وكان أعرابي له ابن أجير عند إنسان فزنى بامرأته ، فقيل للأعرابي : إن على ابنك الرجم فافتداه بمائة من الغنم ، ثم جاء يسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : « على ابنك جلد مائة وتغريب عام والغنم رد عليك »[٢] .

فاتقوا الله عباد الله ، اتقوا الله أيها المسلمون ، ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلًا ، عُفوا تعف نساؤكم ، واستغنوا بما أحل الله لكم عن الحرام يغنكم الله . ويا معشر الشباب تزوجوا فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[٣] ويا أولياء الأمور ، إن أولادكم وبناتِكم أمانة في أعناقكم وتحت مسئوليتكم زوجوا وأعينوا ، ويسروا ولا تعسروا ، وسهلوا ولا تكلفوا ، ولا تجعلوا الدنيا ومباهاتها ، ومجاملاتها تحول بينكم وبين ما أمر الله به من الإعانة والتيسير ، لا تعرضوا أبناءكم ومحارمكم إلى الوقوع فيما حرم الله ؛ فيكونُ الندم والحسرة عليكم ، إذا جاءكم من ترضون ديانته وأمانته فزوجوه[٤] وإن لم يكن له غنى وإن لم يكن له عظمة وجاه ؛ فإن الزواج سبب للغنى ، قال تبارك وتعالى :

---

(١) سورة النور آية رقم (٢) .

(٢) خ : المحاربين باب إذا رمى امرأته [١٢/١٥٣] ، الفتح ومسلم برقم (١٦٩٧) من حديث أبي هريرة وخالد الجهني - رضي الله عنهما - .

(٣) إشارة إلى حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - خ [٩/٩٣] ، الفتح وكذا [٩/٩٥] ، ومسلم برقم (١٤٠٠) ، كلاهما بإسنادهما عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن ابن يزيد عن ابن مسعود - رضي الله عنه - .

(٤) الترمذي : برقم (١٠٨٥) ، وبرقم (١٠٨٤) ، الأول : من حديث أبي حاتم المزنى والثاني من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ، وكذا أخرجه : برقم (١٩٦٧) ، الحاكم في المستدرك [٢/١٦٤-١٦٥] وهو صحيح بشواهده الكثيرة والله أعلم .

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] . ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، اللهم أغننا بحلالك عن الحرام وبفضلك عمن سواك، اللهم أصلح بناتنا وذرياتنا واحفظنا برعايتك، واكلأنا بعنايتك، إنك على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النور آية رقم (٣٢).

(٢) سورة النور آية رقم (٣٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم . وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته .

أما بعد .. فإن المسببات معلقة بأسبابها ، فغض البصر وتستُّر المرأة في لباس الحشمة والعفة ، ووقارها في بيتها ، واحتجابها بحجابها ، وضربُ خمارها على جيبها ، وإخفاء زينتها وجمالها ، كل هذه وأمثالُها من الفضائل الإسلامية ، والشيم العربية وسبب للعفة ، والنزاهة وحفظ الشيم والكرامة ، وإن غض البصر من الرجل ، والابتعاد عن مجامع النساء ، وممراتهن ، سبب لحفظ الفرج ، وإن اختلاط الرجال بالنساء وخروج المرأة من بيتها إلى مجامع الرجال وطرقاتهم متجملة ، متعطرة ، مظهرة لزينتها ، فيه سبب للوقوع في الفحشاء فاتقوا الله عباد الله ، وتمسكوا بدينكم وفضائله ، ومحاسنه ، وامتثلوا أمر الله ، واجتنبوا نواهيه فإنه جل وعلا هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بما فيه صلاحهم وسعادتهم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والعشرون

١٥ / ٦ / ١٤٠٧

[أضرار جريمة الزنا]

الحمد لله رب العالمين . خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ليسكن إليها .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وقائد الغر المُحجَّلين . اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن بعض الناس لا يعرف مكانته في هذا الوجود ، ولا رسالته في هذه الأرض ، ولا مسيرته في هذه الحياة ، ولا مآله بعدها . فهو لاهٍ ساهٍ عن واقعه وعن واجباته .

والله تبارك وتعالى فضل الإنسان وكرَّمه ، فخلقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وعلَّمه الأسماء كلها ، وفضَّله على كثيرٍ من العالمين ، وحمّله أمانة التكليف ، ليعبد الله وحده ، وليتلقى رسالات ربه ، وإقامة منهج الله ، ونشر العدل بينهم .

وأعانه على حمل هذه الأمانة ، فأعطاه العقل والسمع والبصر ، وخلق له ما في الأرض جميعًا ، وسخر له ما في السماوات . ومن أجل بقاء الإنسان في هذه الأرض إلى يوم الوقت المعلوم جعل فيه خصائص التناسل ، ودوافع الإنجاب ، وحب البقاء .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١) .

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾(٢) .

فهذه الغرائز التي جُبِل عليها الإنسان إنَّما خلقت لمصالح وحكم . فالغريزة الجنسيَّة والتعاطف بين الذكر والأنثى خلقت للتناسُل والإنجاب ، وتكوين البيوت الطاهرة الشريفة النَّظيفة المؤهلة لمناجات الله ، وتلقِّي تشريعاته ، وتحقيق عبوديته تلك الغرائز المبنيَّة على فضائل الأخلاق وحسن السلوك ، ولم تخلق للعبث بها والانحطاط إلى المستوى البهيمي . فالأجهزة التناسلية والطاقة البشرية التي في الذكر والأنثى - أمانةٌ عندهم تجب رعايتُها ، والمحافظةُ عليها ، ووضعها في المكان الذي خصّصه خالقها ، وهو الزواج المشروع في دين الله .

الزواج الذي يؤسس البيت ، ويبنى الأسرة ، وينجب الطاقة البشرية ، ويربي النشأ على معرفة الله والإيمان برسالاته ، وعلى الفضائل والبر والصلة ، والتعاون والتكاتف والعمل ، وحسن الصحبة والنُّصح للأمة ، والدفاع عن العقيدة والمقدَّسات . أما وضع النطفة في رحم حرام فهو إثمٌ وجناية على النطفة ، وجريمة في حق المجتمع ، وجرأةٌ على الله ، وتعدٍ لحدود الله .

فالزنا يورث الفقر والذلة والمهانة ويسبب الأحقاد ، ويفتح باب الفوضى ، وينزل بالزاني إلى المستوى البهيمي . ويخلط الأنساب ، ويورث الولد من غير أبيه ، وقد يتزوج ولدِ الزنا بنت أبيه الزاني ، فالزنا خِزْيٌ وعارٌ وَوَصمة فاضحة على الزاني ، وهو

(١) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٤) .

على الأنثى أشد لأنها تتحمل مسئولية هذه الجريمة، وهى التي تحمل أثقالها. فقد تخلق تلك الشهوة النازية، فَتُبْذَلُ الوسائل للتخلُّص منها فإما وَأْدة كبرى أو وأْدة صُغرى، ولو كتَبَ الله لتلك النطفة المجني عليها البقاءَ لطرحت في دور الحضانة لا تجد حنان الأم، ولا شفقة الأب، ولا تربية جدية صالحة، فيصبح الولد عالة على المجتمع.

الإسلام لا يحارب الغرائز ولا يستقذرها، وإنما ينظمها ويطهرها، ويرفعها إلى المستوى الإنساني الذي خُلِقت له.

الإسلام نظام تربية وتعليم، وشفقة ورحمة وعلاج ووقاية فلا يعاقب إلّا إذا لم تنفع الوقاية والحصانة.

وللوقاية من جريمة الزنا، أَمَرَ الله بغض البصر، وحفظ الفرج، وستر زينة المرأة. وحرَّم خُلوتها بالرجل الأجنبي، وأمرها بالحجاب، ونهى عن دخول البيوت إلّا بإذن صاحبها. ونهى المرأة عن الخضوع في القول فيطمع الذي في قلبه مرض، وأمر بالحشمة والعفة، ونهى عن التبرج والسلوك المريب.

وللمحافظة على كرامة الإنسَان وحصانته لم يأخذ بالتهمة ولا بالوشاية، وأمر بالتبين عن الأخبار، وحثَّ على معافاة الحدود ما لم تصل إلى السلطان، ورغَّبَ في الستر ونهى عن التجسس، ورغَّب في درء، الحدود بالشبهات، فإذا لم تنفع هذه السماحة، ولا هذه الوقاية، ولا الحصانة، فجاء شخص يشتَهتر بالقيم ويفعل فعلته أمام أناس - أقلهم أربعة عدول - أو جاء مسلم تقي صادتْهُ شراكُ إبليسَ على غرة فآثر الآخرة على الدنيا، ورَغِب فيما عند الله، واعترف على نفسه أربع مرّات وطلب التطهير، فإذًا يقام الحد عليه تطهيرا له وصيانة للأمة من الوقوع فيما وقع فيه.

والعجب كل العجب من إنسان يقع في ردغة الخبائث ويستر الله عليه، فيذهب يتحدث بفعلته أمام الناس، ويَفْتَخر بها دون حياء ولا توبة ولا خجل. بل إنَّ بعضهم ليجعل نفسَهُ جرَّارًا للخبيثات فيُهدي أرقام الهواتف إلى أصدقائه فبئس الهدية، وبئس الصنيع، وبئس الصديق.

وإذا ثبت الزنا بأربعة شهود أو بالإقرار فالحد واجب، ولا تجوز الشفاعة فيه، وحد الزاني البكر مائة جلدة وتغريب عام، وأما المحصن فحده الرجم بالحجارة حتى الموت. قال تعالى:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في قصة الأجير الذي زَنَى بامرأة مستأجرة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكم بكتاب الله ردُّ الوليدة والغنم عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام. واغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها»[2].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد. أيها الناس فإن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آية الرجم فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجمنا بعده فأخشى أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها الله. فالرجم في كتاب الله حق على من زَنَى من الرجال والنساء إذا أحصن وإذا قامت عليه البينة أو الحَبَل أو الاعتراف»[3].

والذي يقيم الحدود هو الإمام أو نائبه، وتَولِّيه شرف وفضيلة، فقد كان أفاضل الصحابة يتولونه. «وإقامة الحد في الأرض خير لأهلها من مطر أربعين ليلة»[4].

---

(١) سورة النور آية رقم (٢).

(٢) صحيح البخاري [٢٤١/٤]، ومسلم كتاب الحدود (٢٥).

(٣) صحيح البخاري [٣٠٤/٤]، ومسلم [١١٦/٥]، وأبو داود (٤٤١٨).

(٤) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم الحديث (٢٣١).

والمقصود من الجلد التأديب والزجر. فلابد وأن يكون مؤلماً لا يجرح. فتُزال اللَّفَائفُ الواقية.

ولا يكفي تنفيض الثوب، بل لابد وأن يكون الضرب على الجلد فيشد الثوب من الأمام ليلصق على الجلد، فيكون الضرب إذًا مؤلماً. وسمى الجَلْدُ جَلْدًا لأنه يباشر الجلد، ويوزع الضرب على الأعضاء التي تتحمل كالظهر والإليتين والفخذين، ويتجنب الوجه والرأس والفرج والمقاتل.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ حافظوا على أخلاقكم وتعاليم إسلامكم، وأحسنوا تربية أولادكم وعلموهم ولاحظوهم وراقبوهم، ومروهم وانهوهم، فإنكم مسئولون عنهم يوم القيامة.

اللهم؛ إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنْيا والآخرة. اللهم؛ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا.

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.....

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله لا نحصي ثناء عليه.

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع سبيله.

أما بعد.. فإن من الظواهر المستغربة كثرة البائعات من النساء في الشوارع وعلى الأرصفة. هذه الظاهرة تزداد عامًا بعد عام، ويقال: إن من بينهن نساء شابات عليهن خطر ومنهن خطر.

إن الإسلام حينما أوجب على ولي المرأة رزقها وكسوتها، أراد حفظ كرامتها، ورفع شأنها عن مثل هذا الابتذال.

والإسلام حينما جعل للفقير حقًّا في أموال الأغنياء، وحقًّا في بيت المال، أراد المحافظة على كِيانه الإنساني وشرفه من الإهانه ومواطن الدنس.

إن الذين يمرون بالبائعات ليسوا من نوع واحد ولا من طائفة معينة، بل فيهم مختلفُو الرغبات والسلوك والاتجاهات. ولا يخفى أن البيع والشراء يحتاجان إلى كلام ومساومة ومماكسه. ويتطلب من البائع أن يكون لبقًا لطيفًا ليجذب المشتري للشراء.

وإذًا فلابد من لين الكلام، والخضوع في القول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقد يستعمل المشتري أسلوب الاجتذاب.

فيشتري السلعة بأكثر من قيمتها؛ ليَشتميل قلب البائعة؛ وليوقعها في شراك الشيطان.

اتقوا الله أيها المسلمون ؛ واتقين الله أيَّتُها المسلمات ؛ لا يحملكن حب الدنيا إلى النزول إلى هذا المستوىٰ .

اتقوا الله يا أولياء أمور البائعات .

اتقوا الله أيها الناس ؛ المرأة كلها عورة على الأجنبي ؛ جسمُها وشعُرها وصَوْتها ، وخير للمرأة ألا ترى الرجال ولا يرونها ، وقعْر بيتها خيرٌ لها .

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .[2]

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

(٢) سورة الأحزاب آية (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والعشرون

١٥ / ٨ / ١٣٩٥

[حد الزاني]

الحمد لله أحمده وأستعينه . وأستغفره وأتوب إليه .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ؛ بلّغ رسالة ربه ونصح لأمته ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن سعادة الأمة وعزتها وكرامتها تنبى على فضائلها ، وشيمها وأخلاقها فمتى استقامت هذه الصفات ، استقامتْ أحوالها ، وتمكنت من السيطرة على مصالحها ، ودفع الأذى عنها ، أما إذا تدهورت هذه الشمائل وذهبت تلك المحاسن فقد انهار أساسها ، وأصبحت مهددة بالخطر والدمار في كل لحظة من حياتها .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(١) .

وإن جريمة الزنا أيها الناس هي أخطر جريمة على المجتمع بأسره ؛ لأن فيها زوال الأخلاق ، والعفة ، والشيم التي هي أساس الاستقامة .

وما انتشر الزنا في قوم فلم ينكر ؛ إلّا سلط الله عليهم ذلًا وهوانًا ، وابتلاهم بالأمراض ، والأسقام ، ونقص من الأموال ، والأنفس ، والثمرات .

الزنا جريمة شنعاء ، وكبيرة عظمى فيه جرأة على رب العالمين بانتهاك محارمه وتعدي حدوده .

---

(١) سورة الإسراء آية (١٦) .

وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على فضائله وأخلاقه، واختلاط أنسابه، إنه جريمة، في حق الرجل والمرأة معًا بوضع نطفة حرام في رحم حرام وبتعريضهما لسخط الله وغضبه، فيه اراقة ماء الحياء وتمزيق قناع العفة، وهدمُ بيت المرأة وتحطيم مستقبلها. وخيانة للأسرة والفراش إنه جناية عظمى على النطفة، تنسب لغير نسبها وتورَّث غير مورثِّها. ويحرَّم عليها غير محارمها ويحل لها ما حُرم عليها. توضع في دار الحضانة لا أم ولا أب لها حُرِمت عطف الأبوة وحنان الأم وقد توأد تلك النطفة في أول أطوارها ظلمًا وعدوانًا كل هذه كبائرُ، وفواحش يرتكبها الزاني؛ من أجل ذلك حرم الله الزنا وحذر منه وتوعد عليه بالوعيد والتدمير، ورتب عليه عقوبة لإصلاح المجتمع وتطهره. فإذا كان الزاني محصنًا ذكرًا كان أو أنثي، أي قد تزوج زواجًا شرعيًّا فحده الرجم بالحجارة حتى يموت.

ففي الصحيحين أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال وهو جالس على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إن الله قد بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها. وعقلناها فرَجم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيَضِلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أوالحَبَل أو الاعتراف.

وهذه الآية بقي حكمها ونسخ لفظها.

أما الزاني البكر، فحده الجلد مائة جلدة وتغريبُ عام ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[١].

وقال - صلى الله عليه وسلم - للأعرابي: «على ابنك جلد مائة وتغريب عام»[٢].

---

(١) سورة النور (٢).

(٢) صحيح البخاري [٤/٢٤١]، ومسلم كتاب الحدود (٢٥).

فاتقوا الله عباد الله . اتقوا الله أيها المسلمون .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1] .

واستغنوا بما أحل الله عما حرم الله . يا معشر الشباب تزوجوا فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج . يا أولياء الأمور يسروا ، ولا تعسروا ، وسهلوا ولا تكلفوا ، لا تجعلوا الدنيا ومباهاتها ومفاخرتها تحول بينكم وبين ما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الإعانة والتيسير .

اللهم ؛ أغننا بالحلال عن الحرام ، واحفظنا من الوقوع في محارمك ، ووفقنا لطاعتك ، وطاعة نبيك - صلى الله عليه وسلم - .

اللهم ؛ أصلح بناتنا وذرياتنا إنك على كل شيء قدير أستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الإسراء آية (٣٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والعشرون

٢٧ / ٦ / ٩٣

[الزنا يسبب أمراضًا خطيرة]

الحمد لله رب العالمين .بعث رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق . وأنزل عليه الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين وقائدُ الغر المحجلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ،

أئمة الهدى الذين كانوا يقولون بالحق وبه يعدلون ، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ يقول الله تعالى في كتابه العزيز – الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه – : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]

---

(١) سورة فصلت آية (٤٢) .

صدق الله العظيم ، لقد أنزل في هذه السورة الكريمة أحكامًا شرعية متعددة لا غنى للمسلم عن معرفتها والعمل بها بيَّن فيها الحلال والحرام ، والأمر والنهي ، والإرشاد والتوجيه ، واللوم والتوبيخ ، والعمل والجزاء ، والثواب والعقاب ، أنزل فيها آيات قرآنية واضحاتٍ مفسراتٍ محكماتٍ يعرفها من قرأها وتدبرها ، أنزل فيها التربية الاجتماعية الصحيحة ، بَيَّنَ طرقَها وَعَالج مشاكلها ، أنزل فيها هدى للعالمين ، ورحمة للمتقين ، وموعظة وذكرى للمؤمنين .

حقًّا إنها اشتملت على أحكام شرعية وحدود مفروضة تهدف لإصلاح المجتمع وتربيته ، وتطهيره من أدناس الشهوات ، وتصفيته من نزعات الشيطان ، تأمر بكل فضيلة ، وتوضح أسبابها والطرق الموصلة لها ، وتنهى عن كل رذيلة وتبيِّن طرقها وتحذر منها ؛ وقد صدَّر الله تعالى هذه الآيات البينات في هذه السورة بآية الزنا ، لخطر شأنِه ، وقباحة فعله ، وما بعده له صلة به ، إما لصيانة الأعراض من القذف به ، أو لمعالجة المجتمع من الوقوع في الزنا وأسبابه ، أو لإرشاد العباد إلى طرق العفة والنزاهة ، وتحذيرهم من طرق الخلاعة والابتذال ،

ثم بيان أهل الطاعة والإيمان والفضائل والشيم الكريمة وبيان أهل الفسق والعصيان والفجور ، وذكر عاقبة كل فريق وجزائه إلى غير ذلك من الكنوز الذهبية التي اشتملت عليها هذه السورة .

عباد الله ؛ إن جريمة الزنا هى أخطر جريمة على المجتمع بأسره فإنما تَزُول الأمة بزوال أخلاقها ، ولا تذل وتهون إلا بهوان فضائلها وشيمها ، ولا تهلك إلا بالأنحراف عن دينها ، ووقوعها في معصية ربها .

---

(١) سورة النور آية (١-٣) .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(١) .

وما انتشر الزنا في قوم إلا سلط الله عليهم أمراضًا فتاكة كالطاعون ، وما كثر الزنا في قوم واشْتَهر فلم يُنْكر إلا سلط الله عليهم ذلًّا وهوانًا وفقرًا ومجاعة .

الزنا فيه جرأة على الله تعالى بانتهاك محارمه وتعدي حدوده ، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على فضائله ومكارمه . وخيانة للأمة باختلاط أنسابها .

إن الزنا جريمة في حق الرجل والمرأة على أنفسهما بتعريضهما لسخط الله وغضبه ، وفيه جناية على المرأة بخيانة فراشها وهدم بيتها وتحطيم مستقبلها .

إنه جناية عظمى على النطفة التي توضع في رحم حرام قد تُخْلَقُ إنسانًا فيُنسب لغير نسبها ويَرث من غير مورثه ، ويحرم عليه غير محارمه ، وقد يتزوج من محارمه ، أو يُوضع في دور الحضانة لا أم ولا أب له قد حرم عطف أبيه وحنان أمه .

ولوثوا تلك النطفة في أول حياتها ظلمًا وعدوانًا . كل هذه كبائر وفواحش يرتكبها الزاني والزانية .

لذلك حذَّر الله تعالى من الوقوع في هذه الفحشاء ، ورتب عليها عقوبة لإصلاح المجتمع وتطهيره ، فكانت العقوبة في أول الأمر حبس المرأة الزانية في بيتها حتى تموت ، وإيذاء الرجل الزاني بالضرب والشتم ، فنسخ ذلك بهذه الآية التي في سورة النور ، وبآية أخرى نسخت تلاوتها وبقي حكمها وهي : « الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة » .

فاستقر الحد الشرعي بكتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة الإسلامية .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٦) .

فحد الزاني البكر الذي لم يتزوج زواجًا صحيحًا شرعيًّا جلد مائة جلدة وتغريب عام كامل عن البلد التي وقعت فيها الفاحشة لإماتة ذكرها، وقطع خوض الناس فيها، وأما الزاني المحصن وهو الذي سبق أن تزوج زواجًا صحيحًا شرعيًّا. وهو حُرٌّ بالغ عاقل، فحده - ذكرًا كان أو أنثى - الرجم بالحجارة حتى يموت؛ ذلك لأن المحصن قد عرف مدى غيرَة الزوج على زوجه، وشدة حرصه عليها، والمحافظة على كرامته وعفته، فلما عرف ذلك ثم هتك حرمات الأقربين، وكشف أستارهم، وخان أمانتهم، صارت عقوبته أشد وأنكى، ذلكم حكم الله تعالى وسنة نبيكم محمد - صلى الله عليه وسلم - روي في الصحيحين أن أعرابيين جاءا إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله؛ إن ابني هذا كان عسيفًا (يعني أجيرًا) على هذا فزنى بامرأته فافتديت ابني منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم.

فقال رسول - صلى الله عليه وسلم - والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى: الوليدة والغنم ردٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغدُ يا أنيس (لرجل من أسلم) إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها. فغدا عليها أنيس فاعترفت فرجمها»[1].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؛ قال - وهو جالس على منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله قد بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف»[2].

---

(١) صحيح البخاري [٤/٢٤١]، ومسلم كتاب الحدود (٢٥).

(٢) صحيح البخاري [٤/٣٠٤]، ومسلم [٥/١١٦]، وأبو داود (٤٤١٨).

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[١] وحَذروا من تحت ولايتكم من الأسباب الموصلة إلى هذه الفاحشة الشنعاء، وإياكم والغفلة والإهمال، فإن الراعي إذا أهمل رعيته أكلتها السباع.

اللهم؛ احفظنا من الوقوع في محارمك، واعصمنا من تعدي حدودك، ووفقنا لطاعتك وطاعة نبيك - صلى الله عليه وسلم - اللهم؛ أصلح بناتنا وذرياتنا واستُر عورات المسلمين، إنك على كل شيء قدير.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (٣٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله أحمده ، وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فأوصيكم بتقوى الله تعالى ، والرغبة في ثوابه ، والخوف من غضبه وعقابه .

واعلموا أن لكل شيء أسبابًا ولكل طريق منتهى . فغض البصر وتستُّر المرأة والرجل في لباس الحشمة والعفة ، ووقار المرأة في بيتها فلا ترى الرجال ولا يرونها ، واحتجاب المرأة بحجابها ، وضرب خمارها على جيبها ، وإخفاءُ جمالها وزينتها عن الأجانب ، كل هذه وأمثالها من الفضائل سبب للعفة والنزاهة وحفظ الشيم والكرامة ، وإحصان الفرج .

كما أن التبرج ، واختلاط الرجال الأجانب بالنساء وخروج المرأة من بيتها متجملة مظهرة لزينتها وفتنتها ، فيه سبب للوقوع في المحذور ، وطريق يوصل إلى الفحشاء ، فاتقوا الله عباد الله ؛ وتمسكوا بدينكم وفضائله وشمائله الغالية ، فإن الله تعالى هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما فيه صلاحه وسعادته .

أيها المسلمون ؛ إن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1] .

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - : «من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرًا»[١] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وابعثه - اللهم - مقامًا محمودًا وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة . اللهم ؛ ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين وأهل بيته الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم ؛ ارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين . اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين . اللهم ؛ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان والرخاء والاستقرار ، وعم بها جميع أوطان المسلمين . اللهم ؛ انصر واحفظ إمامنا وارزقه بطانة صالحة يا رب العالمين . اللهم ؛ اجعل ولاية المسلمين في يد من آمن بك وأطاعك واتبع رضاك ؛ يا حي يا قيوم .

اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات .

اللهم ؛ فرج هم المهمومين ، واقض الدين عن المدينين ، واشف أمراض المسلمين.

عباد الله ؛ أكثروا من ذكر الله ؛ فإن به حياة القلوب ، وبه تغفر الذنوب . ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨) وأبو داود (١٥٣٠) ، والترمذي (٤٨٥) ، والنسائي [٣/٥٠] .
(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والعشرون

١١ / ١ / ١٤١٦

[حد القذف]

الحمد لله رب العالمين . أحاط الإنسان بالحصانة والعناية والتكريم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . قولهُ حق ، وحكمه عدلٌ ، ولا يرغب عنه إلا هالك .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبه ورسوله أخشى الناس لله وأتقاهم وأشدهم غيرة .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين تلقوا التشريع بالامتثال والقبول ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى شرع التكاليف تتلائم مع فطرة الإنسان وميولاته واتجاهاته . فالله هو الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه . فوضع التكاليف لإصلاح الإنسان وحفظ حقوق الفرد والجماعة ، وصيانة الأعراض وحفظ الكرامات أن تخدش أوتهان .

فمن ذلك حد القذف . والقذف هو الرمي[1] بالزنا أو اللواط ، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[2]

---

(١) المغني المجلد الثامن صـ (٢١٥) .

(٢) سورة النور الآية (٤) .

وقوله جل شأنه :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[١] .

قال ابن كثير في تفسير[٢] الآية الأولى : « هذه الآية فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة ، فإن كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا ليس فيه نزاع بين العلماء ، فإن أقام القاذف بينة على صحة ما قاله درأعنه الحد فالآية أوجبت على القاذف ثلاث مسائل : الأولى : جسدية وهي جلده ثمانين جلدة ، والثانية أدبية وهي : رَدُّ شهادته فيسقط اعتباره بين الناس ، ويمشى بينهم متهمًا لا يُوثق بكلامه ، والثالثة دينية وهي الفسق ، فالقاذف منحرف عن الإيمان خارج عن طريق الله المستقيم ليس بِعَدْل لا عند الله ولا عند الناس ، إلا أن يأتي القاذف بأربعة شهود يشهدون برؤية الفعل ويصفونه . فإذًا يسلم القاذف من الحد ويحد الزاني حد الزنا بحسبه » .

وأما الآية الثانية فقال الفخر الرازي فيها[٣] : « إن الله ذكر فيمن يرمي المحصنات المؤمنٰت ثلاثة أشياء :

أحدها كونهُم ملعونون في الدنيا والآخرة وهو وعيد شديد وقال الجبُائي : التقيد باللعن عام في جميع القذفة والملعونُ في الآخرة لا يكون من أهل الجنة . الثانية : أن جوراحهم يوم القيامة تشهد عليهم إذا أنكروا وليست شهادة الجوارح متعلقةً بالحياة فالله قادر على أن يخلق في تلك الجوارح قدرةً وكلامًا . الثالثة : أن الله يجازيهم على فعلهم لا يُنقضُ منه شيء ﴿ **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾[٤] .

أما دليل ثبوت حد القذف بالسنة[٥] فقوله - صلى الله عليه وسلم - في

(١) سورة النور آية رقم (٢٣) .
(٢) ابن كثير [٣/٢٦٤] .
(٣) الرازي [٢٣/١٩٣] .
(٤) آل عمران (١١٧) .
(٥) المغني [٨/٢١٥] .

الحديث المتفق عليه دليل ثبوت اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذفُ المحصنٰت المؤمنٰت ....» وحد - صلى الله عليه وسلم - الذين تكلموا بالإفك رجالًا ونساء ، قال ابن عبد البر في الاستذكار[١] : « وقد أجمع علماء المسلمين على أن المحصنين من الرجال حكمهم في ذلك حكم المحصنٰت » .

وأن من قذف مسلمًا حرًا عفيفًا كمن قذف حرة مسلمة عفيفة وأما تبوت حد القذف بالإجماع ، فقد أجمع علماء الإسلام على وجوب حد القذف على القاذف إذا طالب به المقذوف .

وقال في المبدع[٢] وهو الرمي بالزنا وكذا رمية باللواط . وأصله الرمي بالحجر وهو في الأصل رمي الشيء بقوة ثم استعمل في الرمي بالزنا ونحوه من المكروهات .

فإقامة حد القذف يقطع الألسنة من الخوض في جريمة الزنا واللواط . ولو لم يكن حد القاذف لتجرأت الألسنة على اتهام المحصنات والمحصنين ، وتعطيلُ حد القذف يترك المجال فسيحًا أمام من شاء أن يقذف ، ويهدم البيوت المستقيمة ، ويشوه السمعة النظيفة ، وهلَّ يتركه المقذوف فتكون المسألةُ فوضى قتل وشتم واغتيالات ؟! وأيضًا بعده تصبح الأمة وتمسي بأعراض مجرحة ، وسمعة ملوثة ، وإذا كل فرد مهددٌ بالاتهام وإذا كلُ زوج أو زوجة شاكٌ في زوجه ، وكل رجل شاكٌ في أصله ، وكل بيت مهددٌ بالانهيار كما أن إشاعة الفاحشة تهون من بشاعتها وقُبْحها وتجرئ على فعلها .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

فإقامة حد القذف يصلح المجتمع ، ويصونُ الأعراض ، ويحمى من آلام فظيعة

---

(١) الاستذكار مجلد [١٢٠/٢٤] .

(٢) المبدع [٨٣/٩] .

(٣) سورة النور آية رقم (١٩) .

فالقرآن الكريم أُنزل لتهذيب النفوس، وترقيق الطباع، وإصلاح الأمة، ورفعها إلى أعلى مستويات الأخلاق والفضائل، وإزالة كل ما يسبب الخلاف والشقاق بين المسلمين.

والسنة المطهرة تفسر القرآن، وتصدقه، وتؤيده، وهي وحي من الله.

والآيتان الكريمتان وإن كان الذِّكر فيهما للمحصنات؛ فلأن الواقعة حصلت في شأن امرأة كما وصف القرآن الكريم، والإ فالحكم يضم الرجال والنساء، وأيضًا قذف المحصنات أغلب ورميهن بالفاحشة أشنع، وإلَّا فلا فرق بين الذكر والأُنثى.

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره الجامع لأحكام القرآن[1]: «المسألة الثالثة: ذكر تعالى النساء في الآية من حيث أنهن أهم ورميهن بالفاحشة أشنع، وأنكى، وقذف الرجال داخل في حكم الآية بالمعنى وإجماعُ الأمة على ذلك وهذا مثل النص على تحريم لحم الخنزير، ودخل شحمه وغضاريفُه ونحوُ ذلك بالمعنى وبالإجماع.

إلى أن قال: «وهو أن يقذف[2] بوطء يلزم فيه الحدُ وهو الزنا واللواط» وحد القذف حقٌ للمقذوف فلا يقام إلا بطلبه فهو من حقوق الناس تجوز الشفاعة فيه والإصلاح بين الناس بخلاف ما إذا كان الحد خالصًا لله مثلُ حد السرقة فلا تجوز الشفاعة فيه إذا وصل الأمر إلى السلطان.

ولو رمى رجل امرأته بالزنا وترافعا إلى السلطان؛ فيشرع بينهما اللعان، فتخرج من ذمته، ولا يلحقه الولد. قال سبحانه:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ

---

(١) المجلد السادس من القرطبي الجزء ١١ صحيفة (١٧٢).

(٢) صـ ١٣٣.

ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[١].

أما إذا لم يصل أمرهما إلى السلطان فهي زوجه ويلحق به الولد وينسب إلى أبيه .

إن اللعان بين الزوجين تيسير للأزواج يناسب حَرَج الموقف فقد يطلع على فعل زوجه وليس له شاهد إلا نفسُه فلا يلزم بإمساكها وقد رأى ما رأى وأثر في نفسيته ولا يطالب ببينه وهي زوجة يغار عليها ولا يلزم بالولد ، وقد قال ما قال فشرع الله اللعان بين الرجل وامرأته إذا قذفها ، فشهاده الأربع تقوم مقام البينة وتزاد الخامسة لحكمة يعلمها الله فإذا امتنع من أداء الشهادات أقيم عليه حد القذف ، فإذا شهد الشهادات الخمس برئ وتوجهت المسئولية على امرأته ، فإما أن تشهد بكذبه أربعَ شهادات والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، وإما أقيم عليها حد الزاني المحصن وهو الرجم فإذا شهدا هذه الشهادات وتلاعنا تُرك أمرهما إلى عالم السرائر والخفيات ، ويفرق بينهما وينسب الولد لأمه إن كان ، ولا يُلحق بالرجل .

وإذا قذف الرجل امرأته ثم طلقها هروبًا من الملاعنة فقال بعض العلماء ؛ ما دام أنه قذفها وهي زوجُه فيعامل بنقيض قصده فيلاعن[٢] .

وقال البعض الآخر ما دام أنه فارقها قبل الملاعنة فهى أجنبية منه فيلزمه إما البينة وإما حد في ظهره وهو حد القذف ، ويلحقه نسب الولد .

فاتقوا الله عباد الله .

مما تقدم نعلم أن الرمي باللواط قدف يُلزمُ القاذف بأربعة شهود يصفون الفعل وإلا فهو كاذب يقام عليه حد القذف جلدُ ثمانين جلده . ثبت ذلك بالقرآن والسنة وإجماع الأمة المسلمة . فإنكار حد القذف محادة لله ورسوله وللمؤمنين ، ومحاولة يائسة لتعطيل حد من حدود الله . والمحاكم في المملكة العربية السعودية تحكم بكتاب الله وبسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبإجماع الأمة .

---

(١) النور الآيات (٦-٩) .

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ٧ (١٠٢) .

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتفضل علينا باتباعه والعمل بأحكامه.

اللهم رد المحاكم الشرعية في البلاد الإسلامية، وأقم لهذه الأمة أمر رشد يُعز فيه أهل الطاعة، ويدل فيه أهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر إنك على كل شيء قدير.

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم

---

(١) سورة النساء الآية (٦٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . من عباده أمةٌ يقولون الحق وبه يعدلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يغار على حدوده ومحارمه .

أشد غيرة من خلقة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله جاء بالملة السمحة بيضاءَ نقية مُنيرةً ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا متكبر اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين أخذوا عنه سنته ، وبلغوها لأمته ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإذا قذف إنسان جماعةً في كلمة واحدة ؛ فحدٌّ واحد ، وأما إن قذف كل واحد بكلمة فعليه الحد بعد دهم إلا مَنْ عَفَى[1] .

وإذا قال إنسان لرجل : يا ابن الزانيين فهو قاذف ؛ إما البينة ، وإمَّا حد القذف في ظهره ثمانون جلدة .

وإذا قال إنسان لإنسان : أنت زنيت بفلان ، أو عملت به عمل قوم لوط فهو قاذف يقام عليه حد القذف إذا طلب المقذوف ، ومن نفى رجلًا عن أبيه ، فهو قاذف .

قال في المغني : « وكذا إذا نفاه عن قبيلته أي ، فهو قاذف ، وذكر حديثًا عن الأشعث بن قيس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول : « لأوتَين برجل يقول : إن كنانه ليست من قريش إلا جلد » .

ورُوي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : « لا جَلْد إلا في اثنين : رجلٌ قذف محصنةً ، أو نفى رجلًا عن أبيه ، وهذا لا يقوله إلا توقيفًا »[2] .

---

(١) المغني ج ٨ صـ ٢٣٤.

(٢) المغني [٨/٢٢٣،٢٢٤] .

وقال في المغني : القياس أن لا يجب الحد بالنفي عن القبيلة ؛ لأن ذلك لا يتعين فيه الرمى بالزنا ؛ فلا حد فيه وعليه التعزير .

والتعريض بالقذف ليس فيه حد ؛ لكن يعزر بالضرب والحبس بحسب ما تقتضيه الحال ، والتعريض كأن يقول : أنت لست بزان وليس أبي ولا أمي بزانيين[١] وكأن يقول لامرأة رجل آخر قد فضحتيه وغطّيت رأسه . وجعلت له قرونًا وأفسدت عليه فراشه . ونكست رأسه .

ففي كل ذلك التعزير ولا يحد حد القذف وقيل يحد[٢] . وهناك مسائل متعددة تركتها رغبة في الاختصار .

فاتقوا الله عباد الله . المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يحقره كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .

﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[٣] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٤] .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥٣٩/٩) .
(٢) المغني [٢٢٣/٨] .
(٣) الأعراف الآية (٩) .
(٤) الأحزاب الآية (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والعشرون

١٤ / ٢ / ١٣٩٤

[الزجر عن اللواط]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾[1].

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، أحلَّ لنا الطيبات، وحرَّم علينا الخبائث[2]، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد.. فيا أيها المؤمنون؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فإنه يعلم السر وأخفى[3].

عباد الله، إننا نقرأ كتاب الله الكريم القرآن العظيم، وهو كلام رب العالمين تنزيل من حكيم حميد[4]، نزل به الروح الأمين[5] على قلب نبينا محمد الأمين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وإننا نجد في القرآن العظيم أخبار الأمم السابقة، وقصص الأنبياء مع أممهم، وما جرى بينهم من المحاجة والخصومة والجدال، وإن العاقبة والنصر والتمكين لعباد الله

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١-٣).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٥٧).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه آية رقم (٧).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة فصلت آية رقم (٤٢).

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشعراء آية رقم (١٩٢،١٩٣).

المؤمنين، وأوليائه الصابرين، إنه قصص حق، فيه موعظة وعبرة، وذكرى للمؤمنين وهدى وبشرى للمتقين.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(١).

وإذا تأملنا - أيها المسلمون - أخبار هذه الأمم التي أهلكها الله بعذابه العاجل في الدنيا، نجد أن كل أمة أهلكت بنوع واحد من العذاب.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾(٢).

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٣).

﴿ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾(٤).

إلا قوم لوط عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، فإنهم أهلكوا بأنواع من العذاب، فأنزل الله عليهم ملائكة من السماء لإهلاكهم، وطمس أعينهم، وقلب ديارهم، فجعل عاليها سافلها، وأنزل عليهم رجزًا من السماء حجارة من سجيل(٥).

(١) يوسف آية رقم (١١١).
(٢) الحاقة آية رقم (٥،٦).
(٣) الفرقان آية (٣٧).
(٤) العنكبوت آية (٤٠).
(٥) إشارة بمعناه إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية (٥٩)، والأعراف آية (١٦٢) وأشارة إلى =

وجعلت ديارُهم بحيرة منتنة على طريق دائم آية للمتوسمين آية للمؤمنين، وهذه من حكمة رب العالمين، وعدل قيوم السماوات والأرضين.

فإن الجزاء من جنس العمل[١] فقوم لوط تمادوا في الكفر والطغيان، فإنهم مع كفرهم بربهم، ومعاندتهم لرسولهم يأتون الفاحشة الشنعاء التي ما سبقهم بها أحد من العالمين. إنهم يأتون الذكران من العالمين[٢]، يأتون الرجال شهوة من دون النساء بل هم قوم مسرفون[٣]. فنهاهم نبيهم لوط وأرشدهم إلى ما خلق الله لهم من أزواجهم التي فيها عفة لهم وتطهير لهم فلم يقبلوا إلا الجريمة القذرة النجسة، فأهلكهم الله، وهلم نتأمل هذه الآيات في خبر قوم لوط عليه السلام أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾
وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى
هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ
شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ
وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ
ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً
مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

= قوله تعالى في سورة الفيل آية رقم (٤).

(١) إشارة إلى معنى الآية من سورة يونس رقم (٢٧).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الشورى آية رقم (٥٠).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل آية رقم (٥٥).

بِبَعِيدٍ ﴾[١] .

عباد الله ؛ إن عمل قوم لوط وإتيان الذكران من دون النساء كبيرة عظيمة ، وفاحشة كبرى ، وجريمة شنعاء ، تشمئز منها الطبائع السليمة والفطر المستقيمة ، فلا تجد ذكرًا من الحيوانات البهيمة يعلو ذكرًا ، ولكن الله ابتلا بهذه الخبائث قوم لوط ، فهم أول من فعله من خلق الله ، فنُسب هذا العمل إليهم . وليس في المعاصي مفسدة أعظم من مفسدة قوم لوط ، وهي تلي مفسدة الكفر ، وقتل المفعول به خير له من وطئه ، فإنه إذا وطئه الرجل قتله قتلًا لا ترجى له معه حياة ، بخلاف ما إذا قتل ظلمًا بإزهاق روحه فإنه شهيد ، جعل الله لوليه سلطانًا إن شاء أخذ به ، وإن شاء عفا ، وأما إتيانه كالأنثى فإنه يقتل الفاعل والمفعول به[٢] حتمًا كما أجمع على ذلك أصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ودلَّتْ عليه سنة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وعليها عَمَلُ أصحابه وخلفائه الراشدين وخلق كثير من التابعين ، وأئمة الإسلام والمصلحين .

روي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »[٣] وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط »[٤] .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة هود الآيات (٧٨-٨٣) .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ت برقم (١٤٥٦) الحدود ، ود : برقم (٤٤٦٢). الحدود : وجه برقم (٢٥٦١) ، الحدود ، وإسناده فيه ضعف . وأخرجه الحاكم في المستدرك [٣٥٥/٤] ، وصححة وأخرجه الذهبي في التلخيص .اهـ . قلت : وله شاهد من حديث المغيرة عند ابن ماجة برقم (٢٥٦٢) ، والحاكم في المستدرك [٣٥٥/٤] ، والبيهقي في السنن الكبرى [٢٣٢/٨] ، وبذلك يكون إسناده حسنًا لغيره ، والله أعلم . وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم (٢٥٩٣) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) هو نفس هذا الحديث أخرجه أحمد في المسند أيضًا برقم (٢٧٣٢) وبرقم (٢٧٢٧) نسخة أحمد محمد شاكر ومضى الآن .

(٤) أحمد في المسند [٣٨/١] و[٣١٧/١] وهو من حديث ابن عباس - رضي الله

وقد اختلف أصحاب نبينا - صلى الله عليه وسلم - في صفة قتل اللوطي، فقال بعضهم: يحرق بالنار، وقد حرق خالد بن الوليد - رضي الله عنه - رجلًا يُنكح كما تنكح المرأة، كتب عنه لأمير المؤمنين أبي بكر الصديق، فاستشار أبو بكر الصحابة فكان عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أشدهم قولًا، فرأى أن يحرق فكتب أبو بكر إلى خالد فحرقه بالنار[١].

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - يفعل به كما فعل الله بقوم لوط، يرفع على أعلى مكان في القرية ويرمى منكسًا على رأسه ثم يتبع بالحجارة[٢]. وقال بعضهم: يقتل بالسيف[٣].

إن فاحشة اللواط أشنع وأخطر من فاحشة الزنا، فاللواط فيه قلب للفطرة، وقتل للرجولة، وإماتة للذكورية التي فُضِّل بها الرجل على الأنثى.

وقد جعل الله لبني آدم أزواجًا من أنفسهم يحصل لهم فيها منافع في دينهم ودنياهم، كحصول المودة والرحمة بين الزوجين، وإحصان أحدهما الآخر. ووجود التناسل الذي من أجله خلق الله الذكر والأنثى، وحصول علاقة المصاهرة بين العائلات، وفيه اتباع لَسَنن الأنبياء والمرسلين، وأستجابة لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في تكثير أمته[٤].

وفاحشة اللواط تقاوم هذه المصالح الشرعية كلها، وقد أرشد نبينا، صلى الله عليه وسلم، لطرق الوقاية من الفواحش والفسادِ فقال - صلى الله عليه وسلم - : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج،

= عنهما - وإسناده حسن مع الشواهد.

(١) البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٢/٨] وهو مرسل، ثم قال البيهقي. وروي من وجه آخر.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٢/٨]، وهو فتوى ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٣) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - البغوي (٢٥٩٧) وذكره ونسبه إلى الشافعي رحمه الله تعالى.

(٤) إشارة إلى حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - خ برقم (٥٠٦٥) النكاح الفتح [١٠٦/٩].

ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[١].

وقال تبارك وتعالى:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾[٢].

ولا شك أن الزواج الشرعي مفتاح من مفاتيح الرزق والخير والبركة. كما قال تعالى:

﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[٣].

بخلاف الزنا واللواط؛ فإنهما من مفاتيح الفقر والشر وضيق النفس وحسرة الضمير.

عباد الله؛ إن من الأسف الشديد، والخزي الأكيد أن كثيرًا من الناس قد وقعوا في فاحشة اللواط، بل وبعضهم يقال: إنه يخرج من زوجته التي أحلها الله له، فيها كمال وجمال، وطهارة وعفة، إلى الخبائث والفواحش والنجائس، وما ذاك إلا لفرط جهلهم، وقلة من يرشدهم، وقلة سماعهم للعلم النافع والمواعظ التي تحيي القلوب.

فاتقوا الله - أيها الناس - واحذروا من سخط الله، ولا تعرضوا أنفسكم لغضبه وأليم عقابه، ولا توبقوا أنفسكم بالوقوع في محارم الله، وراقبوا أبناءكم، وعرفوهم بخطر الفواحش، وخوفوهم من مصائدها مغبتها ولا تغفلوا عن رعايتهم وتربيتهم،

---

(١) هو نفس هذا الحديث الذي مضى الآن في الرقم الأول.

(٢) النور آية رقم (٣٠).

(٣) سورة النور آية رقم (٣٢).

فإن الراعي إذا غفل عن رعيته ؛ أكلتها الذئاب والكِلاب .

اللهم ؛ إنا نعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك . اللهم ؛ جنبنا وذرياتنا جميع الفواحش والنقم ما ظهر منها وما بطن . اللهم ؛ نور بصائرنا بالإيمان ، واحفظنا ، وذرياتنا من كل شيطان ، إنك أنت الكريم المنان ، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات ، والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ، ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شرك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم، صلِّ وسلِّم عليه، وعلى آله وأصحابه، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فيا أيها المسلمون؛ اتقوا الله تعالى حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون[1].

أيها المسلمون لقد انتشرت في زمننا هذا دعايات ضد الزواج المبكر، ودعوة إلى تحديد النسل، وقد ارتاح لها كثير من الناس في كل مكان، بل وارتاح لها بعض رجال الفكر الإسلامي.

ولا أرى ذلك إلا من تخطيط الصهونية العالمية التي لها تخطيط بعيد المدى للسيطرة على العالم أجمع، والتحكم فيه إذا غلبت بكثرة المال والرجال، وأفسدوا الأخلاق والشيم. فهى تغزو العالم بدعايتين إحداهما: تقليل النسل في العالم، بينما الصهيونية تعمل على تكثير نسلها بأي طريق كان، حتى بالطرق المحرمة وغير المشروعة. والثانية: تقليل الثروة في أيدي غيرها بدعوة الشيوعية والاشتراكية التي قضت على الرطب واليابس من ثروات الشعوب ومعنوياتهم بينما الصهيونية تعمل على تكثير أموالها، وتطوير دخلها بأي وسيلة كانت، فالواجب على الإنسان أن ينظر في المنافع والمضار الخاصة والعامة، الشرعية والاجتماعية قبل استحسان الأمر قبل تأييده.

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٣٢).

ولا حكم للمسألة الفردية أو الحالة النادرة والضرورة الخاصة، وإنما العبرة بما فيه صلاح الأمة أجمع، وتحقيق أهداف الشريعة. والواجب على المسلم أن يكون مؤدِّيًا دوره، ولا يكون مع كل صاعق وناعق، وإنما ينظر ببصيرة إيمانه ونور شريعته.

وصلوا على النبي الكريم فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين فقال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والعشرون

١٩ / ٧ / ٩٣

[عقوبة آكل الربا]

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، الملك الحقّ المبين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فقد روى الإمام البخاري - رحمه الله - حديثًا عن سمرة بن جندب - رضي الله تعالى عنه -

قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مما يكثر أن يقول لأصحابه : « هل رأى أحد منكم من رؤيا » . قال فيقص عليه من شاء الله أن يقص ، وإنه قال ذات غداة : « إنه أتاني الليلة آتيان ، وإنهما قالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما . وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر هاهنا . فيتبع الحجر فيأخذُه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى .قال : قلت لهما سبحان الله ، ما هذان ، قالا لي : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق على قفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر ، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانبُ كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل بالمرة الأولى ، قال : قلت : سبحان الله ، ما هذان ؟ قالا لي : انطلق ، انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنُّور ، فأحسبه قال : فإذا فيه لغط وأصوات ، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ،

وإذا يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضو. قال: قلت: ما هؤلاء؛ قالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم - وإذا في النهر رجل سابح يسبح وعلى شطر النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، فإذا ذلك السابح يسبح، ما يسبح ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرًا، فينطلق فيسبح ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا، قلت لهما: ما هذان؟ قالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرأى، وإذا هو عنده نار يحشها، ويسعى حولها. قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق، انطلق، فانطلقنا، فأتينا على روضة معتمة فيها من كل نور الربيع. وإذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولًا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان ما رأيتهم قط. قلت: ما هذا، وما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق، انطلق فانطلقنا فأتينا على دوحة عظيمة لم أرَ دوحة قطُّ أعظم منها ولا أحسن. قالالي: ارق فيها فارتقينا فيها إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا رجال: شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راءٍ، وشطر منهم كأقبح ما أنت راءٍ. قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر. وإذا هو نهر معترض يجري كأن ماءه المحض[1] في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا في أحسن صورة، قال: فقالا لي: هذه جنة عدن، وهذا منزلك، فسما بصري صُعُدًا فإذا قصر مثل الرَّبابة البيضاء. قالا لي: هذا منزلك. قلت لهما: بارك الله فيكما، فذراني أدخله. قالا لي: أمَّا الآن فلا، وأنت داخله[2].

قلت لهما: فإني رأيت منذ الليلة عجبًا، فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أما إنا سنخبرك. أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة. وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينيه إلى قفاه، فإنه الرجل يَغْدو من بيته فيكذب الكَذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العُراة الذين هم في مثل التنور، فإنهم الزُّناة

(١) قال في الفتح بفتح الميم وسكون المهملة بعدها ضاد معجمه هو اللبن الخالص عن الماء.
(٢) فتح الباري [١٢/٤٣٩] .

والزواني ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا ، وأما الرجل الكريه الذي عند النار يحسها ويسعىٰ حولها فإنه مالكٌ خازن النار ، وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة ، وأما القوم الذين كانوا شطرٌ منهم حسن وشطر منهم قبيح ، فإنهم قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا تجاوز الله عنهم »[1] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى ، لقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنه رأى دار عامة المؤمنين ، ودار الشهداء المخلصين ، ليرغب أمته في سلوك الطريق الموصل إلى جنات النّعيم ، وأخبر بما رآه من عذاب أهل هذه الكبائر الأربع ، يحذر أمته من الوقوع فيها ؛ لأن هذه الكبائر هي المعاول الهدَّامة لكِيان الأمة الإسلامية ، وسببُ الفساد فيها . وخرابها .

ذلكم أن الربا فيه فساد المعاملات والأموال التي فيها معاش الأمة وقوام حياتها ، وفيه تضُّيع لكثير من الحقوق ، وسدُ أبواب الكسب عن الطبقة غير الغنيّة ، بخلاف البيع والشراء الذي أحلَّه الله ، فإنه يستفيد منه المتسبب والعامل ، وقد تزيد السلعة ثمنًا فيربح المشترى ، وأما الزنا ففيه فسادُ الأخلاق ، واختلاطُ الأنساب ، وهتكُ المحارم ، وخدش الكرامات .

والكذب من أخطر عوامل الهدم لبناء الأخوة الإسلامية ، وفيه تشتيت شملها ، وإيجادُ والإحن والضغائن فيها . وحملة القرآن هم أمناء هذه الأمة على كتابها ، ومطلوب منهم أن يتخلقوا بخُلُق القرآن ، وأن يكونوا قدوة يقتدي بهم في الأقوال والأفعال ، فإذا لم يفعلوا ذلك في أنفسهم ، اقتدت بهم الأمة فضلت كما ضلت بنو إسرائيل ، فلعنهم الله على لسان داود وعيسى بن مريم .

كما بين - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث حكمة الله تعالى وعدله في عباده ، وأن الجزاء من جنس العمل ، فعوقبت هذه الأعضاء التي باشرت معصية الله ، وتلذذت وتنعمت بما حرم الله ، بالعذاب المجانس لمعصيتها عذابًا برزخيًّا مستمرًا حتى

---

(١) صحيح البخاري [٤٣٨/١٢] فتح .

تقوم الساعة .

فاتقوا الله عباد الله وراقبوه في السر والعلانية فإنه أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، بل أقرب إليه من حبل الوريد .

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] .

اللهم ؛ إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهاد ، ونعوذ بك من شرورو أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسألك نعميًا لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع .

اللهم ؛ انفعنا بهدي كتابك ، واجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير . .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لاشريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ إن الربا من أعظم الكبائر التي حرَّمها الله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فاتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . ولا تغترُّوا أيها المؤمنون بكثرة المتاجر التي تتعامل بالربا وكثرة الأموال فيها فإنما هي رجوع إلى معاملات الجاهلية الأولى ومآلها إلى قلة ، وما هي إلّا من سنن اليهود الذين قالوا﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1]. وما هي إلّا محاربة لله ورسوله ، ويا ندامة من حارب الله ورسوله ، وليست العبرة بكثرة العاصين وقلة المطيعين ، وإنما العِبْرةُ بمقاييس سيد الأولين والآخرين .

عباد الله ؛ إن الله تعالى أمرنا بأمرٍ بدأ فيه بنفسه فقال عز من قائل عليم :

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٧٥) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والعشرون

١٢ / ٦ / ١٣٩٨

[حد السرقة]

الحمد لله الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا .

وأشهد ألَّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ؛ تعظيمًا وتقديرًا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله الله هاديًا وبشيرًا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ إنكم في نعمة كبرى تحسدون عليها تغبطون عليها ، لم تكن لأحد غيركم في عصركم حسدَكم عليها كثير من الناس . وتمنَّوا زوالها ، وحسدكم عليها كبار الدول وكادوا لإزالتها ، فاشكروا نعمة الله عليكم إذ هداكم للإيمان ، واشكروا نعمة الله عليكم ؛ إذ جعلكم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ، واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ وفقكم لهذا الدستور السماوي ، فيه الأمن والاستقرار ، والصلاح والفلاح ، به تحقَن الدماء ، وتُصان الأعراض ، وتحفظ الأموال .

فيه أحسن تنظيم ، وأجمل ترتيب لنظام الحياة ، يحث على الفضائل وينهىٰ عن الرذائل ، يأمر بالخير والبناء ، وينهى عن الشر والفساد والخمول ، حفظ الحقوق الخاصة والعامة والملكية الفردية ، وحافظ على المجتمع الذي يعيش في ظله وتحت لوائه بما يكفل له العدالة ويضمن له الكفاية والاستقرار .

إنه دينٌ حقٍ وقولُ صدق كله جدٌ ليس فيه هزل ، يأمر بالعدل والإحسان ، والتآخي والتعاون ، وينهى عن الفرقة والغدر والخيانة ، وعلى أساس هذا النظام السماوي العادل . بنىٰ قواعد الأمن ، وترتكز عليه دعائم الدعة والاستقرار ؛ ولهذا يختلف الأمن قوةً وضعفًا في مكان وزمان عنه في مكان آخر وزمان ، بحسب قوة الإيمان ، وقوة سلطان الإسلام ، وقوة الوازع الديني في النفوس ، وبحسب اتجاهات

الأمة والمربين في التربية والتعليم والسلوك والسير على منهج الإسلام في جميع المرافق والميادين، وفي كل الأحوال. بقوة هذا وضعفه يقوى الأمن ويضعف.

وإذا نظرنا إلى الأحداث الفردية الشاذة: من حصول بعض السرقات من الدكاكين والبيوت والسيارات، وما حصل من أخذ مالٍ قهرًا ممن هي في يده في بعض الجهات، ولا يكون لها كبير اهتمام، تُعتبر في هذه البلاد جرائم شنيعة لما ألفناه من العدالة والأمن والاستقرار في ظل هذا الحكم العادل الذي أسس على قواعد الإسلام، وبُني على منهج الإسلام، ونُظمت شئونه وارتباطاته على منهج شريعة الله، وبنيت أحكامه على حكم الله، حتى كفل لكل فرد مَاللجماعة من الأمن والعدالة، وكفَّ عن الأمة كلَّ عوامل الاستفزاز والإثارة، وكل عوامل السفه والطيش.

ولا شك أن هذه الأحداث لها ارتباط بضعْف الإيمان في بعض النفوس، وضعف الغيرة على دين الله، وعلى محارم الله، ولو أُقيمت على المجرمين حدود الله، لما تجرأ أحد على حرمات الله،

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وهذه الصلوات الخمس لا يصليها كثير من الناس في جماعة المسلمين، وبعضهم لا يصليها أبدًا، وهي آخر ما يفقد من هذا الدين، وهي العلامة الفارقة بين المسلمين والكافرين. وهذا الربا انتشر على المستوى الاقتصادي، وهو حرب لله ورسوله، وهذه الخمور وأنواع المسكرات والمخدرات مع كل ساقط وسفيه، وهي رجس من عمل الشيطان. وهذه دور السينما في أماكن متعددة، وأمثالها من الآلآت في كل مكان تدعو إلى الفسق والفجور، وتثير الغرائز، وتُعلِّم الغدر والخيانة، وطريق الجرائم، وفي هذا هلاك الحرثِ والنسلَ، وتحطيمُ الفضائل، ومحادَّةٌ لله ورسوله، وخطر على أمن البلاد، وهذه دعوة اختلاط النساء بالرجال نَشِطت على مستوى المسئولية، وهي دعوة من أعداء الدين الذين حسدونا على هذه النعم، ويريدون

(١) سورة المائدة آية رقم (٣٨).

زوالها ، وهي من بقايا الاستعمار في البلاد المجاورة ، ومع الأسف الشديد حملها أبناء المسلمين وأبناء هذه البلاد الذين درسوا عند أولئك وتعلموا على أيديهم ، تأثروا بأفكارهم ، وزهدوا في دينهم ، وتقاليد إسلامهم ، تأثرًا أعمى ، وتقليدًا أجوف ، ونظرةً قاصرة دون تأمل في العواقب والنتائج . اللهم إلّا إذا كانوا لا يؤمنون بالله ، ولا بما جاء من عند الله ، ولا باليوم الآخر ، ولا غيرة عندهم على المحارم ، ولا حُسبان عندهم للفضائل والمكارم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

إن نتائج اختلاط النساء بالرجال مشاهدة في البلاد المجاورة ، أدّى بها إلى الهلاك ، والدمار والانحطاط ، والانهيار .

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾(١) .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢) .

فلا شك أن الأحداث يرتبط بعضها ببعض ، والمصيبة تحصل على الإنسان أو المجتمع بما يعمل من سيئة .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾(٣) .

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم (١٦) .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (٤٤،٤٥) .

(٣) سورة النساء آية رقم (٧٩) .

(٤) سورة فصلت آية رقم (٤٦) .

إن حوادث الأعتداء على الأموال مترتبة على حوادث الأعتداء على فضائل الدين، ومحاسن الإسلام التي لم تنكر ولم تغير.

فسبحان الله ما أعظم شأنه، وسبحانه ما أغيره على محارمه، وسبحانه ما أحكمه في أمره ونهيه، وسبحانه من رقيب لا يغفل ولا يهمل!

اتقوا الله أيها المسلمون؛ لا تهاونوا بدين الله، فتهونوا عليه، كونوا مع الله يكن الله معكم، أوفوا بعهد الله يوف بعهدكم، ولا تأمنوا من مكر الله ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]. ولا تيأسوا من روح الله.

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

إن كلًّا من سارقي الأموال، وقطاع الطريق، وسارقي الفضائل والعقيدة، ومروِّجي الأفكار الصهيونية والمبادئ الشيوعية، كل منهم مفسد في الأرض، وكل محارب لله ورسوله، محارب لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ولكلٍّ عقوبةٌ في دين الإسلام، فأقيموا أيها المسلمون حدود، الله وخذوا على يد السفهاء، واقصروهم على الحق قصرًا، وأطروهم على الحق أطرًا.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٩٩).

(٢) سورة يوسف آية رقم (٨٧).

(٣) سورة المائدة آية رقم (٣٣-٣٤).

اللهم ؛ أقم علم الجهاد واقمع أهل البغي والزيغ والفساد ، وانشر رحمتك على العباد يا من له الدنيا والآخرة وإليه المعاد . اللهم ؛ احفظ ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشنا ، وآخرتنا التي إليها معادنا ، أنت ولينا ومولانا ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألّا إله إلّا الله، الملك الحق المبين.

وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله الصاددق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فإن الله قد فتح على الناس أبوابًا من الدنيا أخذوا يتنافسون فيها، ويخشى أن يهلكوا كما هلك من كان قبلهم.

الدنيا والآخرة ضرتان، إن أرضيت إحداهما أغضبت الأخرى، والدنيا زائلة زائل ما فيها، والآخرة باقية باق ما فيها، فعلى العاقل أن يرضي آخرته، وإن أغضب دنياه وللآخرة خير لك من الأولى، وإذا كان ولابد فأعط كل واحدة حقها دون الإضرار بالأخرى.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1]

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[2].

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3].

وصلوا على البشير النذير، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال جل من قائل عليم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[4] وقال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٠١).

(٢) سورة المائدة آية رقم (٢).

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٢٥).

(٤) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

عليه بها عشرًا »[١] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك ، ونبينا محمد إمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن بقية الصحابة أجمعين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين . اللهم ؛ أدم الأمن والاستقرار في أوطاننا واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ووفقهم لما تحب وترضى ، واجعلهم سلمًا لمن سالمك واتبع إسلامك ، وحربًا على من حاربك ، وخالف دينك . اللهم ؛ ادفع عنا الربا ، والوباء ، والزنا ، والمحن ، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾[٢] .

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[٣] .

عباد الله ؛

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ

---

(١) صحيح مسلم (٤٠٨) وأبو داود ١٥٣٠، والترمذي ٤٨٥، والنسائي [٣/٥٠] .

(٢) سورة الأعراف آية رقم (١٥٥) .

(٣) سورة آل عمران آية رقم (٥٣) .

كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴾[١] .

وفاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٠،٩١) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والعشرون

٩ / ٥ / ٩٩

الإسلام لا يكبت الغرائز بل ينظمها

الحمد لله رب العالمين[١] . اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] . وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله بعث متممًا لمكارم الأخلاق . صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع ملته واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الإنسان يعتمد وجوده على عنصرين أساسيين هما : الجسد والروح ، فالجسد هو وعاء الروح ، والروح هي اللباب ، فجسد بلا روح خراب ، ومتى فارقت الروح الجسد فسد وعفَّن ، وإنما الفارق بين الإنسان وسائر الحيوانات هو العقل ، وبه فُضل الإنسان على سائر المخلوقات ، وخوطب بالخطاب من رب الأرباب ، ولذلك خلق الله الإنسان ، وخلق للإنسان ما في الأرض جميعًا .

فمن استجاب للخطاب وامتثله فقد سار على منهج الإنسان الذي خُلق من أجله ، ومن أعرض عن الخطاب فقد تحول إلى زمرة الحيوانات ، كما قال الخالق تبارك وتعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[٣] .

فالإنسان ، والحيوان كل منهما يحرص على حياته ومقومات جسده ، ويتميز

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها - أخرجه مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) سورة الفرقان آية رقم (٤٤) .

الإنسان بالعقل، فهوا أساس الفهم والإدراك، فمطلوب من الإنسان أن يحافظ على مقومات عقله وزَكاة روحه. وقد أثبتت التجارب وما نطق به نظام الإسلام أن الوقاية أنفع وأنجح من العلاج، فأمراض الأبدان معلومة، والوقاية منها قائمة بجدية وعلى كل مستوى وفي كل بقعة، وأما أمراض القلوب والأرواح فهي المغفول عنها، بل الناس أنفُسهم هم الذين يختارون نَشْرها في المجتمع، وإن أعظم مرض على النفس والروح هو مرض الأخلاق، فهو مرض معدٍ ومستعصٍ إذا انتشر في الأمة صعب استئصاله لذلك اعتنى الإسلام بالوقاية والحماية منه خشية وقوعه، وعالجه بعد وقوعه بأنفع علاج. والإسلام لا يقاوم الغرائز الطبيعية في نفس الإنسان، ولكنه ينظمها ويوجهها إلى الهدف الذي خلقت من أجله مع التطهير والتنسيق. وإذا تأملنا آيات المحارم في سورة النساء تأملنا آيات الحث على الزواج وإباحة التعدد، تأملنا سورة النور ومعالجتها للموضوع نفسه، مع ما في سورة الأحزاب من أمر وتوجيه إلى أسباب الوقاية من أمراض الأخلاق، إذا تأملناها، وعرفنا معناها وجدنا الوقاية والعلاج.

الوقاية الأولى: الاستئذان العام. فلا يدخل أحد بيت أحد إلا بإذنه وعلمه، وفي المكان المأذون له فيه فقط، ولا ينظر إلا إلى المكان المأذون له بالدخول فيه.

الثانية: الاستئذان الخاص وهو استئذان أفراد الأسرة - بعضهم على بعض - في الحجرات الخاصة، فلا يدخل الأخ على أخته في غرفة نومها، ومكان خلع ثيابها، إلا إذا استأذن فأذنت خشية أن يراها على ما يكره وتكره.

الثالثة: الاستئذان المقيد وهو استئذان الأطفال والمماليك في أوقات النوم والراحة وفي أماكنها.

﴿ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ﴾(١).

---

(١) سورة النور آية رقم (٥٨).

لأن هذه الأوقات مظنة خلوة خاصة، واستغراق في النوم، فينكشف ما يُكره أن يُرى، وإذا بلغ الأطفالُ الحلم فليستأذنوا كغيرهم في جميع الأوقات.

الرابعة: غض البصر من الرجال والنساء، فلا ينظر أحدهما إلى محرم بتأملٍ وتلذذ، ولا إلى غير محرم، إلا ما دعت الضرورة إليه، هذا عدا الأزواج ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[1].

الخامسة: إخفاء الزينة، سواء كانت طبيعية خلقية أو صناعية. والحلي واللباس من الزينة، إذا كان شهرةً فيجب ستر الزينة بجلباب وخمار، أو عباءة ضافية من الرأس إلى القدمين.

السادسة: تيسير الزواج المشروع، لا نكاح إلا بولي[2] وشاهدي عدل، وتسهيلُه والإعانة عليه.

فينبغي أن تخفف تكاليف الزواج، وتتركُ المُباهات والمجاملات غير الرابحة وغير المجدية.

والوقاية السابعة: التعَففُ والصبر، وابتعاد الرجال عن النساء والنساء عن الرجال خير للمرأة. فلا ترى الرجال ولا يرونها، ولا يجوز للرجل أن ينظر إلى امرأة من غير محارمه حتى ولو كانت امرأة قريبة أو صديقة، إلا من وراء حجاب ساتر، واستعينوا بالصبر والصلاة إن الصلاة[3] تنهى عن الفحشاء والمنكر.

الثامنة: قوة الرجل والمرأة في دينهما وأخلاقهما، فلا يخضع أحدهما بالقول للآخر؛ فيطمع الذي في قلبه مرض[4].

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٨٧).

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه الشافعي في مسنده [٣١٧٥/١]، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى [١١٢/٧]، وله شاهد عن ابن حبان كما في الموارد برقم (١٢٤٧)، وله طرق أخرى فيكون الإسناد حسنًا لغيره إن شاء الله تعالى.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة آية رقم (٤٥).

(٤) سورة الأحزاب آية رقم (٣٢).

هذه من الأسباب التي تقي وتمنع من وقوع الفحشاء وتحافظ على العقل والروح من الأمراض الأخلاقية . وأما العلاج بعد وقوعها فهي الحدود والتقريرات التي نظمها الإسلام .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ ولا تحملنكم العادات والتقاليد والمجاملات على مخالفة تعاليم دينكم ، والأستهانة بقيم إسلامكم .

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم ؛ افتح بصائر المسلمين لمعرفة الحق واتباعه . اللهم ؛ حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين[2] ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٢٠٠) .

(٢) إشارة إلى حديث عبيد بن رفاعة الزرقي - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [٣/ ٤٢٤] وإسناده جيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون[١] .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، فهو المتعالي بعظمته ومجده .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن آمن به واتبع رسالته .

أما بعد .. فإن العادات والتقاليد لها تأثير بليغ في حياة الأمة ؛ فالطَّيب منها يغرس الطَّيب في النفوس ، والخبيثُ منها يورث الخُبث والعواقب السيئة .

وفي هذا الزمن الذي انتشر فيه الوعي وكثر العلم ، أصبح التقليد في العادات تقليدًا أعمى من دون تبصر من دون تَعقُّل من دون نظر في العواقب .

فهناك من إخواننا وأبناء بلدنا ومن أهل ملتنا من يستورد عادات وتقاليد من أعدائنا وأعداء ديننا ، ويبثها بين الناس ، ويحسِّنها عندهم . والناس أصبحوا يرغبون في كل مستورد حتى ولو كان رديئًا . والسبب هو أن السفهاء صاروا هم الذين يسيطرون على الأمور ، ويتحكمون في شئون أهلهم ، والشيطان يسوِّل كل خبيث ويرغب فيه .

ومن هذه البضائع الفاسدة التي استورَدْناها من رجيع الاستعمار من بعض البلاد التي كانت مستعمرة - عادةٌ سيئة قبيحة ، وهى تمكين الفتاة المسلمة من خاطبها ، وتمكين الخاطب منها قبل عقد الزواج ، يختليان ويسافران معًا بحجة معرفة الأخلاق والسلوك ، يعرفها وتعرفه . إن المروءة والشيم تأبى هذا ، فضلًا عن نظام الإسلام الذي حث على الفضائل ، ونهى عن الرذائل ، وحرَّم خلوة الرجل بالمرأة غير المحرم[٢] .

---

(١) سورة القصص آية رقم (٧٠) .

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - خ في الجهاد [٦/١٠٠] الفتح باب من اكتسب في جيش فخرجت امرأته حاجة ، ومسلم في الصحيح (١٣٤١) الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره من هذا الوجه واللفظ .

وما دام أن عقد الزواج لم يتم فليس الخاطب بمحرم، وإنما أباح الإسلامُ النظر إلى المخطوبة من دون خلوة، ومن تلك العادات السيئة الرديئة التي تخرج على الفطرة والدين - عرض الزوجين ليلة الزفاف معًا يُلبِّسها وتلبسه ويؤكلها وتؤكله، ويكلمها وتكلمه أمام شباب وشابات، فأي مصلحة تحصل من هذا، وبأي دليل شرعي أو عقلي يُستحل هذا، أليس من الأفضل الفخرُ بديننا، والإعتزاز بتقاليدنا، وجعلُ المرأة مع النساء، والرجل مع الرجال، ويكون اللقاء بينهما مع المحارم فقط.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وانظروا في النتائج والعواقب، فكم من نظرة رجل إلى امرأة أفسدته على زوجته؟! وكم من نظرة امرأة إلى رجل أفسدتها على زوجها؟! وكم من نظرة جعلت القلب المملوء بمحبة الزوج خاليًا؟! وكم من نظرة أعقبت كلامًا، ثم لمسًا ثم لقاء، ثم حرامًا، وانتهاك حرمات، وهتك أستار؟! فاتقوا الله أيها الناس؛ يجب أن تقدروا للأمور قدرها. وأن تحسبوا للغرائر حسابها، وأن تعالجوا الأمور بعلاج الإسلام. والوقاية خير من العلاج.

وصلوا على البشير النذير والسراج المنير.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والعشرون

٩ / ٥ / ٩٩

[حكم الزواج في الإسلام]

الحمد لله رب العالمين[١] . الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى[٢] .

وأشهد ألَّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله[٤] .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد . فإن ديننا الحنيف اعتنى بنظام الأسرة ، لأنها هي القاعدة التي تقوم عليها الأمة ، ويقوم عليها الفرد المسلم والعائلة المسلمة ، لذلك أحاطها الإسلام برعاية خاصة واضحة ، وفصَّل نظامها تفصيلًا عادلًا تتوفَّر فيه كل الضمانات للذكر والأنثى كما تتوفَّر للفرد والجماعة .

ويَنْشأ نظام الأسرة في الإسلام من خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) مع البسملة .

(٢) سورة الأعلى آية رقم (٢،٣) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (٣٣) ، سورة الفتح آية (٢٨) ، وسورة الصف آية (٩) .

ومقوماتها ، ومن قاعدة التكوين الأولى ، وتلك سنة الله في الأحياء كلها وفي المخلوقات كافة . وتبدو هذه النظرة واضحةً في قوله تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢) .

وليس نظام التزاوج مجرد اجتماع الذكر والأنثى لقضاء وطر أو لإشباع رغبة ، وإنما لإنتاج ما من أجله خلق الذكر والأنثى ، ومن أجله جبلًا على التعاطف والتفاعل ، والإنسان أولى بإدراك هذه الخصائص . قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣) .

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٤) .

الإسلام يضع النظام لبشر لهم غرائز ، ولهم عواطفُ وشهواتٌ ، وفيهم ميول ونزعاتٌ وقد لاحظ كل هذه الصفات ، وقادها كلها إلى طريق الصلاح والطهارة من غير تعسف ولا مشقة ، والزواج الشرعي هو أقوى الروابط ، وأدْوم الصلات وأنظف العلاقات بين الذكر والأنثى ، وبين أسرتيهما بعُقدة موثقةٍ بوثاق العبودية لله .

---

(١) سورة الذاريات آية رقم (٤٩) .

(٢) سورة يس آية رقم (٣٦) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٢٣) .

والناس يختلفون في وجوب الزواج، أو استحبابه، أو جوازه، فالذي له شهوة غالبة يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن لم يتزوج، ويجد طولًا، هذا يلزمه إعفاف نفسه، وحفظُ فرجه، وطريق ذلك الزواج، فيجب عليه الزواج إذا وجد طولًا، ومن لم يستطع فعليه بوصية الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج[١]، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٢] متفق عليه. لأن الصيام يكسر حدة الشهوة، وفيه أمن من الوقوع في المحرم، ولأن الصيام يضيق مجرى الشيطان، ويقوي الإيمان، ويغرس تقوى الله وخشيته في القلب.

أما الذي له شهوة ويأمن معها الوقوع في المحرم فيستحب له الزواج لعله يحصل له ولد صالح يبره في حياته، ويدعو له بعد مماته[٢]، ولعله يشارك في تكثير أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -[٣]. فالزواج في حق هذا أفضل من نوافل العبادة، وأفضل من التفرغ لها.

رُوي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: «لو لم يبق في أجلي إلا عشرة أيام، وأعلم أني أموت في آخرها وليَ طول النكاح فيهن لتزوجت خوف الفتنة»[٤].

وقال إبراهيم بن ميسرة رحمه الله: قال لي طاوس: لتَنْكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجزٌ أو فجور[٥].

---

(١) إشارة إلى حديث ابن مسعود رضي الله عنه خ برقم (٥٠٦٥) ص [١٠٦/١٩] الفتح.

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الوصية برقم عام (١٦٣١) باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٣) إشارة إلى حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه د: برقم (٢٠٥٠) في النكاح، وأخرجه الإمام أحمد في المسند [١٥٨/٣] [٢٤٥/٣] وابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (١٢٢٨).. وإسناده حسن.

(٤) ذكر ذلك الحافظ في الفتح ص [١٠٧/٩].

(٥) وذكر الحافظ في الفتح هذا الأثر من ص [١٠٦/٩-١١٢].

وقال الإمام أحمد : ليست العُزْبَةَ من أمر الإسلام في شيء[١] .

أما الذي لا شهوة له فلا يستحب له الزواج ، لكن يباح له ، إذا لم تكن هنا مفسدة بسبب هذا الزواج .

والزواج فضيلة وصفة كمال ، ومن سنن المرسلين ، ومحبب إلى صفوة الخلق ، صلى الله عليه وسلم ، ويستوي فيه الذكر والأنثى ؛ فالنساء شقائق الرجال[٢] لهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، والزواج مشروع في حقها كما هو مشروع في حق أختها ، والمصالح التي تحصل للذكر من الزواج تحصل للمرأة ومطلوب لها .

فالزواج يحصن الدين ويحفظه ، وبه يحصل الولد الشرعي ، فإن عاش نفع وإن مات شفع ، وفيه تتحقق مباهات النبي - صلى الله عليه وسلم - بأمته ، وفي الزواج إحصان الفرج ، وغض البصر ، والمحافظة على العزة والكرامة ، ورَفيع الأخلاق ، والترفعُ عن الرذائل وسفاسف الأخلاق ، وعن إيذاء الآخرين .

وبه يحصل السكن والراحة والتلذذ بالغريزة في طاعة الله وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فكل من الزوجين يتصدق على الآخر ، فلم يكن الزواج لقضاء الوطر وإشباع الغريزة فقط ، بل لهذه المصالح وغيرها من الفوائد . والهدف الأكبر هو بناء الأسرة التي تعبد الله وتساعد في بناء المجتمع ، وهذه مصالح يحتاج إليها الرجل والمرأة ، ومطلوبة لهما معًا .

إذا عرفنا هذا فاسمحوا لي أن أقول لكم بكل صراحة قاصدًا النصح لكم ولمن يسمع أو يبلغه ، لقد شكى كثير من الفتيات ، والأيامى أولياءهن في عضلهن ومنعهن من الزواج رغم وجود خاطب كُفء ، وإنما المانع لأنه يخشى أن يشاركه زوجُها وأولادها في مالها الذي تحت يده أو في الوقف الذي تستحق فيه .

وهذا ظلم وجور ، فبأي وسيلة أيها الولي تمنعها من لذة الحياة لأي مبرر تحرمها

---

(١) انظر فقه الحنابلة في هذا الموضوع ، منها المغني في كتاب النكاح .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - أحمد في المسند ص [٦/٢٥٦] ، وإسناده جيد .

من الولد، بأي نظام استحللت قهرها، وكبتها، وكسرَ شعورها، وكتم أنفاسها، بأي ضمير تَبيتُ أنت مع زوجتك، وتحرمُها الزواج وقدخطبهامن هو كفء لها، أما سمعت قول الله:

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾[١].

أما سمعت قوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَ﴾[٢]؟ أما سمعت قول النبي - صلى الله عليه وسلم - «يا على؛ ثلاثةٌ لا تُؤخرهن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت والأيم إذا وجدت كفئًا»[٣] أما خَشيت أن تقع بسببك في محظور يوقعك تحت سخط الله والفضيحة؟ أما تخشى من العقوبة فتحرم من زوجك كما حرمتها؟ قلت لإحدى الشاكيات: إذا رغبت أن أكلم وليَّك وأنْصحه لعل الله أن يهديه فأعطني عنوانه فقالت: لو يعلم أبي أنني كلمتك لقتلني ضربًا. وقالت الثانية: إن جماعتي يعيبون على لو علموا أنني شكوت أخي.

إنني على يقين من أن هؤلاء المظلومات المعضولات المحرومات يشتكين إلى الله كلما خلت إحداهن في مضجعها والله تعالى يسمع شكواهن.

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٤].

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[٥] إنما هم أمانة، إنما هم عارية فأحسنوا إليهم إن الله يحب المحسنين[٦].

---

(١) سورة النور آية (٣٢).

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٢).

(٣) الإمام أحمد في المسند [١/١٠٥]، والترمذي في جامعه برقم (١٧٣) إسناده حسن، وحسنه الترمذي، ومعناه صحيح ثابت في أحاديث كثيرة وهو من علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

(٤) سورة المجادلة آية رقم (١).

(٥) سورة الأنفال آية رقم (٢٨).

(٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة (١٩٥).

أما المرأة التي تغتر بالمناظر ومعسول الكلام دون نظر في العواقب فإذًا هى ترغب في رجل منحرف العقيدة، منحرف السلوك والأخلاق غير متزن الاتجاه. فإنما جعل الولي شرطًا في الزواج لا ليختار لها الأصلح والأكفأ، بل ليختار الزواج الذي يتوسم فيه حسن المعاشرة والإمساك بالمعروف. والرجالُ هم الذين يعرفون الرجال واتجاهاتهم وسلوكهم؛ فالولي هو المسئول عن مُوْليته إذا لم يستقم الحال.

لكن ينبغي أن يشرح الوضع لموليته لتقتنع.

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

---

(١) سورة النور آية رقم (٣).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ،[١]

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه .

أما بعد .. فإننا نفتخر بإسلامنا وعقيدتنا ، ونفخر بنظام ديننا ، ونؤمن بأنه هو الحق والعدل وأنه هو منهج الإصلاح ، وميزان العدالة ، لا يقبل فيه أيُّ جدال ، ولا يرغب عنه بأي حال .

فيه عزنا وكرامتنا ، وفيه نجاتنا وفلاحنا ، رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، نبيًّا ..[٢] .

أيها الإخوة في الله ؛ قدْ يَحْتَجُّ بعض الناس المعاندين بأن منع المرأة من الخروج إلى ما تريد دون معرفة طريق السير ، ودون معرفة الاتجاه أن هذا عدم ثقة فيها ، وليس الأمر كذلك ؛ فأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - هن أعف النساء وأشرفهن ، قد طهرهن الله ، واختارهن لصفوة خلقه - صلى الله عليه وسلم - والبيئة التي كن فيها هى أفضل القرون وأعف الشعوب وأتقى لله .

وقدْ أمرهن الله بالوقار في البيت وملازمته ، ونهاهن عن الخروج وعن التبرج على الرجال فقال تعالى :

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى - رضي الله عنه - خ برقم (٧٩٩) . وهو من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - حينما كان يرفع رأسه من الركوع .

(٢) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم خاص (١٣) وعام (٣٨٦) وهذا لفظه ، يقوله العبد المؤمن بعد انتهاء الأذان غفر له ذنبه .

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ۝٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1] .

فليس منعها من الخروج تهمة لها ولا عدم ثقة بها وإنما هو لحمايتها من رجس الشيطان ، وتطهيرها و حفظ عرضها وسمعتها وكرامتها أن تنال فهو خير لها عند الله . ذكر ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره عن البراء بسنده عن أنس - رضي الله عنه - قال : « جئن النساء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلن : يا رسول الله ؛ ذهب الرجال بالفضل والجهاد في سبيل الله تعالى فمالنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله تعالى . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من قعدت (أو كلمة نحوها) منكن في بيتها فإنها تدرك عمل المجاهد في سبيل الله تعالى »[2] .

وذكر حديثًا آخر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان وأقربُ ما تكون بروحة ربها وهى في قعر بيتها » ..[3] .

وفي حديث ثالث : صلاة المرأة في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها »[4] .

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٣٣) .

(٢) أورده الإمام ابن كثير في تفسيره [٤٥١/٥] وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : هذا إسناد جيد اهـ .

(٣) أورده ابن كثير في تفسيره [٤٥١/٥] نقلًا من البزار ثم قال : رواه الترمذي عن بندار ثم ذكره قلت : بمعناه أخرجه أحمد في المسند [٢٩٧/٦] من حديث أم سلمة - رضي الله عنها .

(٤) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٥٧٠) ، في الصلاة وصححه الحاكم في المستدرك [١/ ١٠٩] وهو من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

وهذا القرآن نهى الصحابة عن دخول بيوت النبي إلّا بإذنه، وعن مخاطبة أزواجه إلّا لحاجة من وراء حجاب[١]. فإيما أفضل - أيها الناس - أنساء النبي أم نساء زماننا؟ وأيما أكرم وأشرف أصحاب رسول الله أم رجال هذا العصر المادي الشهواني؟

اتقوا ربكم، وتحسسوا أموركم، واعرفوا مجتمعكم، وحافظوا على دينكم وأخلاقكم وأماناتكم.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢].

---

(١) امتثالًا لأمر الله عز وجل في سورة الأحزاب آية (٥٣).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثلاثون

٢٣ / ٧ / ١٤٠٠

[الترغيب في الزواج]

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما شاء[1] ربنا من شيء بعد .

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده له شريك له .

لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع[2] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله . وصفوته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله .

أما بعد .. فحينما يعالج الإسلام الغرائز النفسية في الإنسان لايضغط عليها ، ولا يفِّندها وإنما ينظمُها ويطهرها ويوجهُها إلى مسلك الخير والصلاح ، ويرتفع بها عن مهاوي الضرر والفساد .

فالنِّساءُ والأولادُ : من الشهوات التي زُين حبُها للناس ، والميولُ الذي يجده كل واحد من الجنسين إلى الآخر أمر جُبِل عليه الإنسان لحكم بالغة بائعة ، وفيه مصالح للإنسان منها : استمرارُ التناسُل وبقاء الإنسان على هذه الأرض ؛ لأداء الأمانة التي حُمِّلها . واتباع الرسالة التي أبْلِغها حتى الأجل المسمى .

---

(١) إشارة إلى دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - النسائي [٢/١٩٨] من حديث ابن عباس - رضي الله عنه - وإسناده صحيح وكذا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه [٢/ ١٩٩] .

(٢) هو نفس هذا الحديث وفيه هذا اللفظ الدعائي وأخرجه البخاري في الصحيح [٢/٢٧٥] ، الفتح ، ومسلم في الصحيح حديث رقم (٥٩١) ، وهو من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

وقد أعطى الإسلام لهذه الميول النفسيّة عناية كاملة ونظمه أجمل تنظيم ونسقها أكمل تنسيق. قال تبارك وتعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾[2].

وقال - صلى الله عليه وسلم - «يا معشر الشاب؛ من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء» متفق عليه[3]. «الدنيا كلها متاع؛ وخير متاع الدُّنيا المرأة الصالحة»[4]. فالضغط والكبت شيء، والتنظيم والتنسيق شيء آخر، والانفلات والفوضى شيء ثالث، وإنما يكون جمال عقد المجوهرات في تنظيمه وتنسيقه.

فكلما كانْ نظمه متقنًا، وترتيبه شيقًا، كان أجمل منظرًا، وأغلى ثمنًا. فالغريزة في الإنسان لها أهداف سامية، وغايات نبيلة «إذا جاءكم من ترضون دينه

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢١).

(٢) سورة النساء آية رقم (٣).

(٣) خ: [٩٢/٩] الفتح من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - ومسلم برقم (١٤٠٠) النكاح.

(٤) مسلم الرضاع برقم (١٤٦٧) باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه.

وأمانته فزوجوه »[١]، « تزوجو الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم »[٢].

فإذا نظمت بنظام الإسلام ولوحظت فيها المقاصد الشريفة فهى محمودة مطلوبة، تعتبر من كمال الإنسان وجماله، أما إذا انفرط عقدها، وتشتَّت نظامها، فقد ذهب جمالها وبهاؤها، وأصبحت شهوة حيوانية مذمومةٌ وخُلقًا سيِّئًا مستقذرًا قبيحًا. قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٣].

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[٤].

﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

والأسباب تتبع الغايات في الخير والشر، والحسن والقبح، والحل والحُرمة، والعبرة في الوصف والتقييم بموازين الإسلام ومقاييس رب السماء، لا بآراء البشر وأفكارهم ولا بر غباتهم وشهواتهم ولا بشذوذهم وإستحساناتهم؛ فالإنسان ضعيف

---

(١) ت: برقم (١٠٨٥) باب ما جاء فيمن ترضون دينه: وقال: حديث حسن غريب، وهو من حديث أبي حاتم المزني، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي برقم (١٠٨٤)، والحاكم [١٦٤/٢، ١٦٥].

(٢) د: برقم (٢٠٥٠)، النسائي [٦٥/٦، ٦٦] وإسناده حسن، وهو من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٣٢).

(٤) سورة الأعراف آية رقم (٨٠-٨١).

(٥) النور (٣).

قد تغلب عليه نفسه وتميل به رغباته ، والإيمان نور يضيء الطريق للمؤمن في تصرفاته .

ولو جُسِّمت أفكار كثير من الناس التي تدور في رءوسهم هذه الأيام في تصريف أيام العطلة الصيفية ؛ لرأيتم المتضادات ولرأيتم الطيب والخبيث ، فالحمد لله على لطفه بأمة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتيسيره « من هم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنةً وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة وإن تركها من أجل الله أثيب على قصده »[١] .

والناس مختلفون في الاتجاهات والمقاصد ، فمن الناس من يأتي إلى المشاعر المقدسة بين مكة المشرفة وطيبة الطيبة قاصدًا بيت الله الحرام ، في عمرة طاهرة مطهِّرة ، وزيارة لمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عبادة نقية من الشوائب . فهؤلاء في أعلىٰ المقاصد وأسمى الفوائد ، يقضون أيامهم في طاعة ربهم ، واتباع منهج نبيهم محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - ؛ فيرجى لهم الثواب الجزيلُ ، والفوزُ العظيم ، وهذا هو ما يغيظ أعداء الإسلام .

ومنهم من يذهب لزيارة قريب ، أو عيادة مريض وذلك عمل خير وقربةٌ وصلةٌ .

ومنهم من يذهب للمباحات ، للاستجمام ، والاستطلاع والسياحة والتجارة ونحو ذلك ، فإذا حافظوا على شعائر دينهم وشيم أخلاقهم ؛ ترجى لهم النجاة ، ولكن الشرور تحيط بهم من كل جانب في العقيدة ، والسلوك ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتعَ فيه[٢] والمعصوم في عصمة الله .

ومنهم من يذهب إلى أسواق الدعارة ومراقص المومسات ؛ يتَّبع مواقع الردى وبيوت الخنا ، يقضى ليله بين الخمر والزمر ،وبين الميسر والقمار ، ثم يقضى باقي وقته

---

(١) خ برقم (٦٤٩١) ، الرقاق باب (٣١) من هم بحسنة أو سيئة . من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه عز وجل ثم ذكر الحديث ، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم (٢٠٣،٢٠٤،٢٠٦،٢٠٧،٢٥٩) من هذا الوجه واللفظ وأحمد في المسند [٢٢٧/١] .

(٢) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنهما خ برقم (٢٠٥١) الفتح [٢٩٠/٤] وم المساقاة رقم الحديث (١٠٧) وأحمد في المسند [٢٦٩/٤-٢٧٠] .

في النوم لا يؤدى فريضة ، ولا يقوم بواجب ، ولا يذكر الله إلا قليلًا فهؤلاء في أسوأ حال ، وأقبح مآل ، صرفوا أموالهم فيما حرم الله ، وضيعوا أوقاتهم في معصية الله ، قد خسروا دينهم ، ودنياهم ، ودنسوا سمعة بلادهم ، وشوهوا سمعة الإسلام ، وهذا هو غاية ما يتمناه أعداء الإسلام .

وسيلحق إثمُ هؤلاء بمن يعينهم وسيسأل عنهم من يقدر على منعهم ولم يمنعهم ، كلكم راعٍ ، وكلكم مسئول عن رعيته[١] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾[٢] .

« وأحصنوا أولادكم بالزواج المبكر ، وخفضوا من تكاليفه ، ولا تغلبكم العادات على تأخير الزواج بعد سن البلوغ . والنساء شقائق الرجال ، إن جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه »[٣] .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٤] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم ؛ أبرم لهذه الأمة أمر رشدها .... إلخ إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) إشارة إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - خ [١٣/١٠٠] الفتح ومسلم برقم (١٨٢٩) .

(٢) المائدة (٢) .

(٣) الترمذي برقم (١٠٨٥) ، في النكاح من حديث أبي حاتم المزني - رضي الله عنه - وله شاهد عند الترمذي برقم (١٠٨٤) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجة برقم (١٩٦٧) ، والحاكم في المستدرك [٢/١٦٤،١٦٥] ... وإسناده حسن .

(٤) المائدة (٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع ملته واقتفى أثره .

أما بعد . فإن الإسلام قد أعطى المرأة المسلمة حظًا وافرًا في الإسلام ، ورفع مستواها ، وعظم شأنها ، وأعطاها حقها ، وصانها من الابتذال ، وحماها من كيد الرجال ، ومكر الأنذال ، وحمَّلها مسئولية عظيمة في الحياة ؛ فحرمها على غير المسلم ؛ لأنه لا يقدرها قدرها ، ولا يعرف رسالتها في الوجود ، وحرم على المسلم الزواج من المشركة ؛ محافظة على كيان المرأة المسلمة ، وحافظ على صحتها فنهى عن الوقاع في غير طهر لما في ذلك من الأذى[1] وأوجب لها الإمساك بالمعروف ، والمعاشرة الحسنة أو التسريح بالإحسان وأوجب لها الحقوق المالية والرعاية الاقتصادية .

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[2] .

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾[3] .

وجعل لها الحق في طلب النظر في حياتها الزوجية إذا لم يقدر لها النجاح ، وإذا لم يتوفر لها الارتياح .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ **فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ** ﴾ آية رقم (٢٢٢) . انظر الأحاديث الواردة في الموضوع ابن كثير في التفسير [١/٤٥٨-٤٧١] .

(٢) سورة النساء آية رقم (٢٠) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧) .

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾(١) .

وجعل لها من الحقوق مثل ما عليها ، مما يتفق مع أصل الفطرة والتكوين ، وخوطبت بالتكليف والتشريع كما يخاطب الرجل ، ولما كانت مهمتها في الحياة شاقة وواجبُها كبيرًا حفف عنها في بعض التكاليف ؛ فلم يوجب عليها الجهاد ، ولم تؤمر بقضاء الصلاة في أيام العذر ، ولم توجب عليها صلاة الجمعة ولا الجماعة ، ولم تكلف بالإنفاق على نفسها وأولادها وإنما ذلك واجب على الرجل ، وحَفِظ عرضها وسمعتها من الابتذال والإهانة .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢) .

وما إلى ذلك من الحقوق التي حفظها الإسلام للمرأة ورعاها بها ، وأوجب عليها الترفع عن مواطن الذلة والابتذال ، وأمرها بعزة النفس ، وصانها بنظام الحجاب وأسلوب العفة أن ينال أحد منها ولو لين المقال .

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾(٣) .

فاتقوا الله أيها المسلمون اتقي الله أيتها المرأة المسلمة ، قد أعطاك الله مكانة في الإسلام فلا تهمليها ، ورفعك إلى مستوًى رفيع فلا تنزلي عنه ، وأحاطك بحصن حصين فلا تُصدعي قواعده .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٥) .

(٢) سورة النور آية رقم (٢٣) .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٣٢) .

ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[١].

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٢].

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك نبينا محمد وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، وزوجاته أمهات المؤمنين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين وانصر عبادك المؤمنين ، واحم حوزة الإسلام يا رب العالمين .

اللهم ؛ أمنا في أوطاننا ، واحفظ إمامنا وولاة أمورنا ، ووفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد ولما تحب وترضى ، اللهم اغفر لجميع المسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ؛ اللهم فرج هم المهمومين ، واقض الدَّين عن المدينين ، واشف مرضى المسلمين .

عباد الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٣].

فاذكروا الله العظيم يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٧١) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

(٣) سورة النحل آية رقم (٩٠) .

(٤) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والثلاثون

١٥ / ٢ / ١٤١٠

[الحث على تكثير النسل]

الحمد لله رب العالمين . ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الذين يتحدثون عن الكبت وأضراره ، وما يُسببه من عُقَد نفسية - لا يفرقون بين الكبت وبين الضبط ، والفرق بينهما شاسع ، فالكبت معارضة الغرائز ، التي جُبل عليها الإنسان ، وأما الضبط فهو تنظيم الغرائز والشهوات ، وتوجيهُها توجيهًا سليمًا ، بِحَيثُ يُحقق للفرد رغبتَه من دون ضرر عليه ولا على المجتمع ، وبحيث تكون تلك الشهواتُ تحت إرادة الإنسان وتوجيهه ، فلا يستسلم لضغطها ونزواتها . والبَتُون من الشهوات التي زين للناس حبها في أصل تكوين الإنسان ، فمحاولة كبت هذه الغريزة في الإنسان بتحديد النسل بصفة جماعية بحجة قلة الكفاية الاقتصادية في بلد ما أو بدعوى ضخامة السكان في شعب من الشعوب ، يُعتبر ذلك كبتًا لحرية الإنسان ، وقتلًا لتلك الغريزة ، وهو تخطيط عُدواني خبيث

---

(١) سورة السجدة آية رقم (٧،٨) .

(٢) سورة الأنعام آية رقم (١٨) .

لتقليل الطاقة البشرية في المستَهدفين، وكفى أنه مخالفٌ لنصوص شريعتنا وتَضْليلٌ عن أهدافها ومقاصِدها. قال تبارك وتعالى في معرض الامتنان:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[1].

وقال سبحانه في معرض الحث على طلب الذُّرية.

﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[2].

أي: من الولد. قاله ابن عباس وعددٌ من التابعين، وروى أبو داود والنسائي رحمة الله عليهما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «تزوجو الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»[3].

وروى أحمد - رحمه الله - في مسنده عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «انكحوا أمهات الأولاد، فإني أباهي بهم يوم القيامة»[4] والمراد هنا بأمهات الأولاد اللواتي عُرف نساؤهن بكثرة الأنجاب.

ولا يخفى ما للطاقة البشرية من قوة ومنعة ونفوذ، فلا يكون الجهاد إلا بالرجال، ولا تكون حماية البيضة إلا بالرجال، فهم الذين ينتجون الآليات ويستعملونها.

وكما أن حب الأولاد جبلةٌ فَلَهم نفع يرجى وثواب ينتظر لمن أحسن التربية واتقى صَحبةٌ في الدنيا وجمال وقوة، ودعاء بعد الممات واستغفار وصلة. روى مسلم

---

(١) سورة النحل آية رقم (٧٢).

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٧).

(٣) أخرجه أبو داود [٥٤٢/٢] حديث (٢٠٥٠)، والنسائي [٦٥/٦،٦٦]، والحاكم [١٦٢/٢] وهو صحيح.

(٤) أخرجه أحمد [١٧٢/٢] وهو ضعيف.

في صحيحة عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[١].

وروى أحمد في مسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «إن الله عز وجل ليرفَع الدرجة للعبد الصالح في الجنة؛ فيقول: يا رب؛ أنَّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك، أما إذا مات الأولاد قبل أبويهم واحتسبا وصبرا كانوا لهما حجابًا من النار، وسببًا لدخول الجنة، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحِنْث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»[٢] متفق عليه.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: جاءت امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله؛ ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه، تعلِّمنا مما علَّمك الله. قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا فاجتمعن، فأتاهن النبي - صلى الله عليه وسلم - فعلَّمهنَّ مما علمه الله».

ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم ثلاثة من الولد إلا كانوا لها حجابًا من النار». فقالت امرأةٌ: واثنين؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «واثنين».

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - يرفعه إن أفراط المسلمين الصغار: دعاميص الجنة، يتلقى أحدهم أباه - أو قال: أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال: بيده - فلا يتناهى أو ينتهى حتى يدخله الله وإياه الجنة. إن الذي خلق الإنسان وكَتَبَ لِذَريته البقاء، ورغب في تكثير النسْل - تكفَّل بأرزاق خلقه، فهو سبحانه يرزق الأولاد كما يرزق الآباء، ويرزق الفقير بسبب الأولاد، فما من مولود إلا ورزقه مكتوب في الأذل، ومسطر في سجله، فيولد رزقه معه، وعلى الإنسان فعل الأسباب، وفق شرع الله، وحسبَ سنة نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم - .

---

(١) صحيح مسلم [٣/٢٥٥] حديث (١٦٣١).

(٢) أخرجه أحمد [٢/٥٠٩]، والطبراني في الأوسط.

والذرية مظهر من مظاهر القدرة الإلهية في العطاء والحرمان فليس في مقدور أحد من البشر أن يخلق نُطفته إنسانًا، ولا أن يجعلها ذكرًا ولا أنثى، ولا أن يختار صفات معينة، وإنما ذلك لله وحده، فإرادته قاهرة وحكمته بالغة.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[1].

فالخالق تعالى بعطائه ومنْعه قسم خلقه أربعة أقسام:

قسم يعطيه إناثًا بلا ذكور مثلُ لوط عليه السلام.

وقسم يعطيه ذكورًا بلا إناث مثلُ إبراهيم الخليل عليه السلام.

وقسم يُعطيه إناثًا وذكورًا مثلُ نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فله أربع بنات وأربعة بنين.

والقسم الرابع لا يولد له لا ذكور ولا إناث، وهو العقيم مثلُ يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم عليهما السلام.

وقد يمضي على الإنسان معظم حياته لا يولد له، ثم يوهب ما شاء الله من ذكور أو إناث.

وقد يمضي عليه أكثر عُمُره يولد له نوعٌ من الجنسين، ثم يوهب له الجنسُ الآخر في آخر حياته.

والتقديم في الخطاب يقتضى غالبًا الاهتمام وزيادة معنى، ففي الآية المتقدمة قَدَّم تعالى ذكر الإناث، ردًّا على تصورات الجاهلية ورواسبها من التسخط للإناث،

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٤٩، ٥٠).

والتذمر منهن . ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[1] أي ساكتٌ من شدة ما فيه من الحزن والخجل ، فإذا قيل له : جاءك ابنة ؛ يحزن ، ولا يتكلم ، ولا يرد على المبشر ، ولا يدعو للمولودة وأمها ، بل يسخطها ، ويمقت أمها .

وهل تملك الأم المسكينة شيئًا ؟! لكن لا زالت بعض رواسب الجاهلية موجودة عند بعض الناس ، ولو يعلمون ما في الإناث من الثواب والخير والبركة لما سخطوهن ، ولو أيقنوا بأن إرادة الله هي المقسمةُ ، وهى الواهبة لما سخطوا هبة الله ، وكم من بنت أبر من أخيها ؟! وتمتاز بما أخبر به - صلى الله عليه وسلم - روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من عالَ جاريتين حتى يبلغا ؛ جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا ، وضم أصبعيه » ومن صحب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، دخل الجنة .

وروى الإمام البخاري - رحمه الله - في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : دَخَلتْ عليَّ امرأة معها ابنتانِ لَها تسأل ، فلم تجد عندى شيئًا غير تمرةٍ ، فأعطيتها إياها ، فقَسَمَتْها بين ابنتيها ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت فدخل النبي ، صلى الله عليه وسلم ، علينا فأخبرته فقال : « من ابتُلي من هذه البنات بشيء كن له سترًا من النار » ، وهذا مشروط بالإحسان والتقوى ، والأخوات ونحوهن ممن يعولهن الإنسان مثلُ البنات في الأجر والسَّتْر .

روى أبو سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا يكون لأحد ثلاثُ بنات ، أو ثلاث أخوات ، أو ابنتان ، أو أختان ، فيتقي الله فيهن ويحسنُ إليهن إلا دخل الجنة » .

قال يعقوبُ بن بُخْتان : وُلِدَ لي سبعُ بنات ، فكنت كلما ولد لي ابنة دخلت على أحمد بن حنبل فيقول لي : يا أبا يوسف ؛ الأنبياء أباء بنات فكان يُذهب قولُه همي .

وكان رجل من إخواننا المعاصرين ولد له خمس بنات متواليات ، فسخط ذلك ، فلما حملت امرأته البطن السادس ، وقع في نفسه أنه إن جاءت بابنة طلقها ،

---

(١) سورة النحل آية رقم (٥٨) .

فلما قربت ولادتها رأى في المنام كأنه مات وحملته الزبانية إلى النار، فلما جاء الباب الأول وجد عنده ابنته الأولى، فقالت: هذا أبي لا يدخل النار، فذهبوا به إلى الباب الثاني، فوجد ابنته الثانية فأبت دخوله هكذا خمسة أبواب فاستيقظ مذعورًا قد عرف حق البنات وأجرهن، وقال: يا رب اجعل حملها بنتًا وارزقنا سابعة ليكن عدد أبواب جهنم.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ واعلموا أن الخلق لله، وأن الرزق بيد الله.

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

---

(١) سورة الشورى آية رقم (٤٩، ٥٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، حَكم عدل ، أمر بالعدل .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، مُطّلع على خلقه ، يعْلم القاسطين من المقسطين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ ، وعلى آله وأصحابه ،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن القَسْم بين الزوجات لمن عنده أكثرُ من واحدة واجب ؛ لأن الله تعالى أمر بمعاشرة النساء بالمعروف ، وليس مع الميل معروف ، ويجب على الزوج أيضًا أن يُوفي لكل واحدة من أزواجه كسوتها ونفقتها ومسكنها .

وما زاد عن ذلك مثْلُ المودة فليس إليه . وكان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يَقْسم بين نسائه فيعدل ، ويقول : اللهم ؛ هذا قسمي فيما أملك ؛ فلا تلمني فيما تمْلِك ولا أملك . يعني : الجماع والمود وميل القلب .

وقوامُ القسم المبين فيبيتُ عند كل واحدة ليلة ، يدُور عليهن ، ويحرم عليه أن يُعطي إحداهن حق الأخرى إلا برضاها . فإن غمطها حقها فهوا متقوٌ عليها مستضعفًا لها ، فهو على خطر عظيم ووعيد شديد .

روى الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي ، والدارمي بسند صحيح عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إذا كان عند رجل امرأتان فلم يعدل بينهما ، جاء يوم القيامة وشقه ساقط » .

وقد شكا عددٌ من النساء أزواجهن بأنهم بعد أن تزوجوا عليهن جَفَوهن في

النفقة والكسوة والمبيت ، وقالت إحداهن : إن زوجها جفا أولاده منها فلم يقم بواجب النفقة والرعاية ، وقالت أخرى : إن زوجها جفاها في المبيت فإذا كانت ليلتها يسهر مع أصدقائه ، ولا يأتي إليها ، فلما كلَّمته قال : اللهم هذا قسمي فما أملك فلا تلمني فيما لا أملك .

فَنَقُول لأولئك الأزواج الجفاة : هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟! حينما كنت فقيرًا ناشئًا ، وأم أولادك تعاشرك على ما كان منك ، وعلى ما كان من العيش ، فلما نثرت لك بطنها ، وملأت لك حجرها ، وأغناك الله ؛ تكبرت عليها !! ونسيت حسن معاشرتها !! ليس هذا من خلق الرجال . إن القسم والتسوية بين الزوجات في المبيت والنفقة والكسوة في مقدور الإنسان ، وإنما لا يملك ميل القلب والمودة ، فاتقوا الله .

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

---

(١) سورة النساء جزء من الآية رقم (١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والثلاثون

٢١ / ٧ / ١٤٠٢

[لا يكون الخاطب مَحْرما للمرأة إلا بالعقد]

الحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله الذي جعل ولايتنا فمن يُقيم شريعة الله.

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1].

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام.

أما بعد.. فإن شريعة الإسلام حريصة على إصلاح المجتمع، وصيانة الدماء والأعراض والشرف والأموال، فوضعت قواعد للتشريع، وخصت نظام الأسرة بالتفصيل والتركيز، فهي تريد أن ترقى بالأمة المسلمة إلى المنزلة اللائقة بها عزًا وكرامةً وخلقًا وشرفًا وقربًا من الله تبارك وتعالى، فلا يستحق القرب من الله إلا المطهرون حسًا ومعنىً.

فالإنسان خلقت فيه دوافع وميولات إلى الغرائز التي خلقت فيه، ولم تخلق إلا لحكم ومصالح وأهداف سامية ومقاصد شريفة تعود على الإنسان نفسه.

والإسلام نظام سماوى تنزيل من حكيم عليم ينُظم حياة الإنسان ويوجه مسيرته إلى الهدف الذي من أجله خلق لإصلاح سلوكه، وتطهير أعماله وأخلاقه؛ ليستحق

---

(١) سورة التوبة آية رقم (١٢٨).

القرب من الله ومناجاته، والخلود في نعيمه ومرضاته.

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

فميول كل واحد من الذكر والأنثى إلى الآخر معروف وتبادل المودة والتعاطف، يحث على بناء الأسرة والولادة وإنتاج النسل لبقاء الإنسان على هذه الأرض لاستمرار عبادة الله فيها حتى منتهاها.

﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾[2].

والإسلام لا يصادم هذه الغريزة ولا يكبتها؛ وإنما ينظمها ويوجهها إلى الهدف الذي من أجله خلقت، وهو بناء الأسرة الطيبة الطاهرة التي تؤمن بالله وتَعبُدُ الله.

بل الإسلام يُنمي هذه الغريزة ويحث على استثمارها. في حقولها المخصصة لها.

﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[3].

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث معقل بن يسار رضي الله عنه عند أبي داود، والنسائي، والحاكم وصحَّحه: «تَزَوَّجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[4].

(١) سورة الأعراف آية رقم (٣٥،٣٦).

(٢) سورة الذاريات آية رقم (٥٦-٥٨).

(٣) سورة البقرة آية رقك (٢٢٣).

(٤) أخرجه أبو داود [٥٤٢/٢] حديث (٢٠٥٠)، والنسائي [٦٥٦٦/٦]، والحاكم [١٦٢/٢] وهو صحيح.

ومن أجل المحافظة على هذه الجبلة التي قد تسيطر على مشاعر الإنسان ، حث الإسلام على الزواج وبيَّن طرقه وصِلاته ابتداء من الخِطبة وممَّن تُطلب وإلى من توجه ؟ ، وأباح النظر إلى المخطوبة عند العزم في حدود ما يبيح الشرع النظر إليه : الوجه وأطراف اليدين والرجلين ، يحتال حتى يراها ، أو بحضور محرم المرأة أبيها أو أخيها أو وليها .

وإنما أبيح النظر ليكون بناء الأسرة على أساس القناعة والرغبة لتثبيت قواعدها ، لا للعبث والاستهتار وأوجب رضا الزوجين وموافقة الولي ، ونهى أن تزوج المرأة نفسها فقال ، صلى الله عليه وسلم : « لا نكاح إلا بولي » . وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أيما امرأة نَكَحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجرا فالسلطان ولي من لا ولي له » .

روى الحديثين الإمام أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجة والدارميُّ بإسنادين صحيحين[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تُزَوج المرأةُ المرأةَ ولا تزوج المرأةُ نفسها ؛ فإن الزَّانية هى التي تزوج نفسها »[٢] . رواه ابن ماجة .

كما أمر الإسلام بإعلان النكاح ، محافظة على كرامة المرأة والرجل ، وصيانة لعرضها ، وسدًّا لمداخل إبليس .

ومن أجل صيانة وحرمة الأسرة وحفظ الأنساب وطهارة المجتمع حرم الإسلام

---

(١) الحديث الأول أخرجه أحمد [٣٩٤/٤] ، وأبو داود [٥٦٨/٢] حديث (٢٠٨٥) ، وابن ماجة (١٨٨١) ، والدارمي [١٣٧/٢] ، والحديث الثاني أخرجه أحمد [١٦٥،٤٧/٦] ، وأبو داود [٥٦٦/٢] ، حديث (٢٠٨٣) ، وابن ماجة (١٨٧٩) ، والدارمي [١٣٧/٢] وهما صحيحان .

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٨٨٢) صحيح دون الجملة الأخيرة ، إرواء الغليل [٢٤٨/٦] .

الفحشاء بجميع أنواعها، حرم الزنا وعاقب عليه، وحرم اللواط ومقته ورتب عليه حدًا يليق بشناعته. وسدَّ الأبواب التي توصل إلى الفحشاء، وقطع أسباب الزنا والتحلل؛ فأمر بغض البصر والاستئذان عند دخول البيوت وحذر من النظرة بعد النظرة لأنها سهم من سهام إبليس يُصيب بها قلب المؤمن والمؤمنة فتجرحه وقد تَتْرك فيه علةً قاتلة تُسبب عارًا أسود يخرب الديار ويسفك الدماء.

أمر الإسلام المرأة بحفظ زينتها وجمالها وسترها عن غير محارمها، وحرم عليها الخلوة بأجنبي والخاطب الراغب في الزواج ليس بمحرم حتى يتم عقدة النكاح. فحرام على المرأة وحرام على الرجل أن يخلو بخطيبه قبل العقد فضلًا عن السفر بها أو الخروج معها إلى النزهة، قبل إجراء عقدة النكاح.

والرجل الذي يترك ابنته أو أخته أو موليته تذهب مع خطيبها لاخير فيه ولا غيرة عنده، والخاطب الذي يغرر بمخطوبته فيخرج بها ويخلو بها رجل سوء.

والمرأة التي توافق على ذلك إما مخدوعة أو لا تبالي بشرفها ودينها. فكل وصال قبل العقد صغيرًا كان أو كبيرًا محرم، وإنما أبيح النظر إلى المخطوبة على صفة معينة في وقت محدود، وبحضور المحرم. عباد الله؛ إنه لا يجوز للمرأة أن تصف لأخيها زميلتها أو صديقتها حتى كأنه يراها، ولا يجوز لها أن تصف أخاها لزميلتها كأنها تراه، ولا يجوز العمل على الوصال بين أخيها وزميلتها بدعوى الرغبة في الخطبة والزواج؛ إن ذلك نوع من الجراءة والدياثة يُعاقب عليه من يفعله.

والرجل الذي لا يسأل عن ابنته أين ذهبت؟ ولا مع من خرجت؟ ولا مع من كلمت في الهاتف؟ رجل مهمل مقصر.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تمسكوا بإسلامكم وأخلاقكم، واحذروا العادات المستوردة من الشرق والغرب؛ فإنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون بدين، لا يتصفون بخلق العفة والطهارة.

احذروا أخلاق اليهودية والماسونية فإنها ترسل عوائدها وأخلاقها إليكم بكميات كبيرة ومغلفة بغلاف منظره خادع لهدم الإسلام.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] .

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه المتوالية ، فهو أهل الحمد والثناء .

وأشهد ألا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز والنجاة .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه خليل الله وكليمه .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن النصوص الواردة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تدل على أن الولي شرط في النكاح .

فعن أبي موسى - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا نكاح إلا بولي » . رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والدارمي[2] وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ، فنكاحها باطل ؛ فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها ؛ فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له » . رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والدارمي[3] .

---

(١) التوبة (١٢٨) .

(٢) أخرجه أحمد [٣٩٤/٤] ، وأبو داود [٥٦٨/٢] حديث (٢٠٨٥) ، وابن ماجة (١٨٨١) ، والدارمي [١٣٧/٢] وهو صحيح .

(٣) أخرجه أحمد [٤٧/٦، ١٦٥] ، وأبو داود [٥٦٦/٢] حديث (٢٠٨٣) ، وابن ماجة (١٨٧٩) ، والدارمي [١٣٧/٢] وهو صحيح .

والأحاديث المتقدمة آنفًا في الصحيحين تدل على أن الولي هو الذي يزوج، لكن برضى المرأة وإذنها. فهي تدل على اشتراط الولي.

فالولي يختار ويستأمر المرأة إن كانت ثيبًا ويستأذنها إن كانت بكرًا. فإن وافقت وإلا فلا يجبرها.

وإذا خطب الكفُء الذي ترضاه، فلا يجوز للولي أن يمنع من تزويجها فإن عضل الولي الأقرب زوَّج الذي بعده، أو السلطان ونائبه قاضي البلد، وإلا حق بالولاية الآباء الأقرب فالأقرب، ثم ابن المرأة وأبناؤه الأقرب فالأقرب، ثم الأخوة كذلك، ثم أبناء الأخوة، ثم الأعمام، ثم أبناؤهم بحسب الأقدمية في الميراث، ثم السلطان فهو ولي من لا ولي له.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفحلون.

عباد الله.

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والثلاثون

٢١ / ٣ / ١٤٠٠

[من شروط النكاح رضى الزوجين]

الحمد لله لا نحصي ثناء عليه له الحمد في الآخرة والأولى .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له (وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون)[١] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾[٢] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فقد اعتنى الإسلام بتنظيم الحياة الزوجية ، وجعل لها قواعد تُبنى عليها ، وعالج الأحوال التي تطرأ عليها .

قال تباك وتعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣]

---

(١) سورة الروم آية رقم (١٨) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٤٥-٤٦) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

فالسكن إلى الزوج : هو الأنس والارتياح ، والاطمئنان ، والمودة . والرحمة من مقومات السكن وأسبابه ، وهذا هو أساس الحياة الزوجية .

فالحياة الزوجية هي المصدر للإنتاج البشري الذي من أجله خلق الذكر والأنثى . والأسرة هى المحضن الذي يُنشَّأ فيه الأولاد ، وتربي فيه الأجيال .

فالأخلاق التي تسود في الأسرة ينشأ عليها الأولاد ويتربَون عليها ؛ فوجب أن تكون صِلات الأسرة وأخلاقُها مبنيةً على المودة والرحمة ، والارتياح والاطمئنان والأنس ؛ لتستقيم الحال بعيدة عن الخلاف الشقاق والضغائن ، ولينشأ رجالُ المستقبل مُهيئين لتحمل مسئوليات الحياة ، وتفهم متطلباتها على أساس التعاطف ، والتراحم ، والتعاون والمودة .

ومن أجل المحافظة على هذه الأسس ؛ نظم الإسلام بناء الأسرة من أول تحركاتها ، وجعل لها شروطًا تضمن تحقيق الأهداف الزوجية ، وتوفر المصالح الزوجية ، وتطهرُ الأسرة من المنغصات ؛ فجعل للنكاح شروطًا ، وجعل للأسرة نظامًا ، وجعل للخلافات الطارئة علاجًا .

ومراعاة للمقام اقتصر على الشرط الذي قد أخل به كثير من الناس وحصل بسبب إهماله تنغيصُ الحياة الزوجية وهدمُ بنائها ، وتفريقُ أسرتها .

فمن شروط النكاح رضا الزوجين ، فكما أن الرجل لا يتزوج إلا بمن يرغب فيها ويرضاها ، فكذلك المرأة لا تزوج إلا برضاها ، وقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجوبَ رضا المرأة بالزواج ، وأنه يحرم إجبارها على من تكره الزواج منه .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تُنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تُنكح البكر حتى تستأذن ؛ قالوا يا رسول الله : وكيف إذنها ؟ قال أن تسكت »[1] متفق عليه .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « الأيم أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُستأذن ، وإذنها صُمَاتُها »[2] .

(١) صحيح البخاري [٢٣/٧] ، ومسلم [١٠٣٦/٢] حديث (١٤١٩) .
(٢) صحيح مسلم [١٠٣٧/٢] حديث (١٤٢١) ، وأصحاب السنن الأربعة .

فلو زوج الأب أو غيرُه من الأولياء موليته الثيب من دون رضاها رد نكاحها .

روى البخاري - رحمه الله - أن امرأة زوجها أبوها ، وهى ثيبٌ فكرهت ذلك فأتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فرد نكاحها[1] .

وفي رواية ابن ماجة : رد نكاح أبيها .

أما والبكر إذا زوجها أبوها من دون رضاها فلها الخيار في القبول والرد ؛ لحديث لابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن جارية بكرًا أتت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكرت أن أباها زوجها ، وهى كارهة ، فخيرها النبي - صلى الله عليه وسلم - رواه أبو داود[2] .

فإذا اختارت الفسخ فذلك حق لها ، ويجب إعطاؤها حقَها .

ومع الأسف الشديد ، لا زال بعض الناس يُكرهون بناتِهم على الزواج . مع أن العلم كثر ، والثقافة انتشرت ، وتعلمت النساء ، وأصبحن يعرفن حقوقهن ، ويصارحن آباءهن بالرفض ، وعدم القبول . فماذا نقول لهؤلاء ، أليسوا بمسلمين ؟! ألا يعرفون العدل ؟!

أم بأى شيء يفسر هذا الإكراه ؟! ولأي شيء يكره ابنته على زوج لا ترغب فيه إن موضوع الإجبار لا يتفق مع قواعد الزواج ؛ فلا تحصل به مودة ، ولا رحمة ، ولا سكن ، وأما تحيير الرجل ابنة عمه ، ومنعها من الزواج بغيره ، فذلك من أعمال الجاهلية التي أبطلها الإسلام .

فالإسلام حفظ حق المرأة كما حفظ حق الرجل ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[3] الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة : حفظها ، وحافظ عليها ، وأحاطها برعايته وعنايته .

---

(١) صحيح البخاري [٢٣/٧] ، ورواية ابن ماجة (١٨٧٣) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٩٦) ، وابن ماجة (١٨٧٥) ، وأحمد (٢٤٦٩) ، وقد صححه أحمد شاكر .

(٣) سورة البقرة آية (٢٢٨) .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ لا يجوز للرجل أن يُجبر ابنته على الزواج ممن لا ترغب فيه . لا يجوز للولي أن يصادق بها ، ولا أن يُرضي بها قريبًا ، ولا أن يجرُّ بها لنفسه ، أو لولده نفعًا .

وإنما اشترط الولي في النكاح ؛ لضبط الأمور ؛ ومحافظة على كرامة المرأة وسمعتها ؛ ومن أجل اختيار الكفُء الذي تتوفر فيه مقومات الحياة الزوجية ، وتتوفر فيه كفاءة الولاية على الأسرة . فإذا خطب من فيه الكفاءة فليقنعها بالتي هى أحسن ، وحينئذ يتوجه على المرأة إذا عرفت من وليها حسن الاختيار ، والسعي في مصلحتها ، ينبغي أن تقبل مشورته ، وأن ترضى باختياره ، فإن الأب في الغالب يحرص على ما يسعد ابنته ، وما ينير الطريق أمام مستقبلها ، وما يرى فيه راحتها وأنسها ، فإن رضيت فبها ، وإلا فلا يجبرها .

ويجب أن تعلم المرأة أن الرجال أعلم بأخلاق الرجال وكفاءتهم وسلوكهم ، ولا يخدع غالبًا بالمظاهر . وزخرف القول .

بخلاف المرأة فإنها لا تحتك بالرجال ، وقد تُخدع بأمر من الأمور . بمظهر خلاب ، أو بقول معسول .

جاءت إمرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - تستشيره في الزواج من أحد الخاطبين ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : « أما فلان فصعلوك لا مال له ، وأما فلان فلا يضع العصا عن عاتقه »[1] .

أي : أنه يكثر من ضرب نسائه .

وإذا تأملنا الخلافات الزوجية وجدنا أكثرها ناشئًا عن عدم الرضا ابتداء بالزواج ، إما أن تكون مكرهة ، أو مخدوعة فتجد خلاف ما تعتقد ، كما أن بعض الخلافات تنشأ من أمور طارئة ، أو بمؤثرات خارجية . وقد جعل الإسلام لكل حلًا وعلاجًا ، فيجب على المسلم أن يعرف ما يلزمه من أحكام الإسلام ، وأن يعمل بها ، وأن يحب

---

(١) صحيح مسلم [٢/١١١٤] حديث (١٤٨٠) .

لابنته ومولیته ما يحب لنفسه من الراحة والسعادة ، والمودة والرحمة ؛ فلا يجبرها على من لا ترغب فيه ، ويجب على الخاطب أن يعرف الحقوق الزوجية ، وشروط النكاح ، وأن يعرف ما للنساء من حقوق ، فلا يغضب إذا ردّت خِطبته ، ولا يجد في نفسه على قريبة إذا لم يجبر ابنته على الزواج منه فالحق في ذلك حقها ، هى التي ستعاشر وتضاجع ، وهى التي ستسعد بالزواج ، أو تشقى ، وليس للأب في ذلك شيء .

والعاقل لا يرضى أن يَدْخل على امرأة رفضت قبوله ، فضلًا عن أن يطلب من وليها إجبارها عليه .

فاتقوا الله عباد الله ؛

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . اللهم ؛ فهمنا سنة سيد المرسلين ، وعلمنا أحكام الدين ، واجعلنا من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزَنون ، واغفر لنا ولأمهاتنا وآبائنا ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النساء آية (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اللهم ، ارزقنا شكر نعمك كما تحب وترضى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن الإسلام حرَّم ثلاثة أنواع من الأنكحة لقيام وصف عارض بها ، وهى : نكاح الشغار ، ونكاح المتعة ، ونكاح المحلل .

فنكاح الشغار أن يزوج الرجل موليته على شرط أن يزوجه الآخر موليته : ابنته أو أخته .

روى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال نهى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن الشغار[1] .

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الشغار . والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الرجل الآخر ابنته وليس بينهما صداق[2] .

وأما نكاح المتعة فهو الزواج المحدود بأجل مثل أن يقول زوَّجتك ابنتي شهرًا ، فإذا تم الأجل ملكت المرأة نفسها ، وفارقها زوجها بلا طلاق ، وكانت المتعة أحلت في صدر الإسلام في حالات خاصة ، ثم نسخت وحرمت إلى الأبد ، وعامة الصحابة والفقهاء على تحريم المتعة ، وابن عباس - رضي الله عنهما - رجع عن فتواه بحلها ، وممن روى عنه تحريم متعة النساء علي - رضي الله عنه - وابن عمر ، وابن مسعود ، وابن الزبير - رضي الله عنهم - قال في المغني : قال ابن عبد البر : وعلى تحريم المتعة

---

(١) صحيح مسلم [١٠٣٥/٢] حديث (١٤١٦) .

(٢) صحيح البخاري [١٥/٧] ، ومسلم [١٠٣٤/٢] حديث (١٤١٥) .

مالكٌ وأهل المدينة، وأبو حنيفة وأهل الكوفة، والأوزاعي في أهل الشام، والليثُ في أهل مصر، والشافعي وسائر أصحاب الآثار.

روى البخاري، ومسلم - رحمهم الله - عن علي - رضي الله عنه - قال لعبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - أما علمت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن المتعة[١].

وأما نكاح المحلل فسببه أن يطلق رجل زوجته بالثلاث، فليس له عليها رجعة حتى تنكح زوجًا غيره؛ لقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ**﴾[٢].

فيتفق المطلق أو المطلقة مع رجل على أن يتزوجها؛ ليحللها لزوجها الأول فهذا زواج محرم، ملعون صاحبه. فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المحلِّل والمحلَّل له[٣].

وروى مثله عن أبي هريرة - رضي الله عنه[٤].

وعن عقبة بن عساكر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا: بلى يا رسول الله. قال: المحلِّل. لعن الله المحلِّل والمحلَّل له»[٤].

وقال عمر لا أوتَى بمحلل ومحلَّلٍ له إلا رجمتهما.

وذكر رجل لعثمان - رضي الله عنه - حال جار له طلق امرأة ثلاثًا ورق له فأراد أن يحللها له، فقال له أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه: «لا تنكحها إلا نكاح رغبة»[٤].

﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ...**﴾[٥].

---

(١) صحيح البخاري [١٦/٧]، ومسلم [١٠٢٨/١].

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٠).

(٣) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل [٣٠٧/٦-٣١١].

(٤) انظر إرواء الغليل [٣١١/٦-٣١٢].

(٥) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والثلاثون

٢٠ / ٢ / ٩٩٦

[الحفلات]

الحمد لله الذي جعل العزة والكرامة لمن أطاع الله ورسوله ، وجعل الذلة والهوان على من عصىٰ الله ورسوله .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا نبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واستن بسنته .

أما بعد .. فأوصيكم - أيها المؤمنون - وإياي بتقوى الله ؛ عباد الله إننا نشاهد من واقع الأحوال أن الأرض المجدبة إذا نزل عليها المطر أخصبت واخضرت[1] أشجارها ، وأزهرت أعشابها ، وكثرت خيراتها ؛ ثم إذا انقطع عنها المطر تقلص الماء ،وجفت الأشجار ، إلا منابع الماء ، ومصادر الأنهار ، فإنها تبقى خضرة محتفظة بروائها وخيراتها مدة أطول .

وهكذا دين الإسلام وقلوب العباد . فالإسلام غيث للقلوب يحييها ويكسبها جمالًا ورواء ، ويكسوها ثوب التقوى ، يظهر في الأقوال والأعمال ، فإذا ضعفت قوة الإسلام تقلصت أنواره إلى منابعها .

كما قال صلى الله عليه وسلم : « بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء »[2] .

إن لهذا الدين إقبالًا وإدبارًا ، فإن قوي أبناء الإسلام ؛ فحملوا مصابيح الهداية

(١) إشارة إلى قوله تعالى : بمعناه في سورة الحج آية رقم (٦٣) .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في الصحيح ، الإيمان ، حديث رقم خاص (٢٣٢) ، وعام (١٤٥) ، ولفظه « بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء » .

إلى القلوب المجدبة أحياها وأنقذها من الهلاك ، وإن تقاعس أبناء الإسلام عن حمل مشعله وتبليغ رسالته ، ضعفت قوته ونفوذه ، ودبَّ الجفاف إلى القلوب حتى تيبس فتعصف بها الرياح يمينًا وشمالًا .

إلا أنه مهما كان الأمر فإن منابع الخصب ومصادر النور يجب أن تكون محتفظة بنُضرتها وخُضرتها ، ثابتة على الحق لا يضرها من خذلها إلى يوم القيامة ، فواجب على أهل هذه البقاع المقدسة التي نبع منها الإسلام وشعت منها أنواره أن يكونوا قدوة في التمسك بالدين ، وأسوة حسنة في الفضائل ، صامدين أمام العواصف والزعازع ، ولكن مع الأسف الشديد نسمع عن بعض الناس من أبناء الإسلام ضد الإسلام .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾(١) .

تراهم يفتحون محلات السينما ، يعرضون فيها أخلاقًا قذرة ، لا تتفق مع الشيم ، ولا تتلائم مع الأخلاق ، ولا يرضاها أهل الغيرة والفضائل ، تحرك الغرائز ، وتفسد الأخلاق ، تدعو إلى الغرام ، وتعلم طريقة الوصال المحرم ، وأفلامًا تعلم التمرد والخروج عن الطاعة ، وتدعو إليه ، وأخرى تعلم السرقة وطرقها ، وأخرى تشوِّه رجال الإسلام ، وتستهزئ بهم ، وتُلَفِّق عليهم ما هم منه بُرآء ، وأظن هؤلاء لو فتح لهم باب الخراب ، وفسح لهم مجال الفساد لأتوا بأشنع من ذلك ، ولكن الحمد لله الذي حفظ هذه البلاد بإسلامها ودينها ، فمنها نبع الإسلام وجرت أنهاره ، وفيها نبتت شجرة الإيمان ، وامتدت أغصانها ، فاختار الله لها ولاية من خير أبنائها دينًا وعقلًا ونسبًا .

فهذه هيئات للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهذه لجان لمكافحة الفساد وأسبابه .

ومع هذا فإن بعض الناس يخالفون فضائل الإسلام ، ويكابرون ولاة الأمر ،

---

(١) سورة لقمان آية رقم (٦) .

ويعاندون المسئولين فلا يقفون عند حدٍّ، ولايوفون بعهدٍ، رَغبوا عن الخير والإصلاح إلى الشر والفساد، فهؤلاء ينطبق عليهم قول الباري جل جلاله في أول سورة لقمان، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال سبحانه:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

إنهم على خطر عظيم، فما هو الباعث لهم على هذا العمل السيء؟ أفأمنوا مكر الله؟! فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[2].

هل يريدون كسب المال بهذا العمل الشنيع؟ فإن طرق الكسب الحلال كثيرة ميسرة ناجحة، هل يريدون إرضاء الناس بسخط الله؟ فإن القلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء، من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس[3].

اتقوا الله أيها الناس؛ لا تسيئوا إلى الإسلام في عقر داره، ولا تعكروا صفو الفضائل في منابعها، ولا تشوهوا شجرة الإيمان في منبتها، يأبىٰ الله ذلك، ويأبى أهل الحق والعدل والفضائل أن يهان دينهم في كنفهم وفي حصنهم.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تعاونوا على البر والتقوى[4]، ولا تجعلوا أمركم بينكم تواكلًا وتلاومًا وانتقادات، ولكن اجعلوه تعاونًا على الإصلاح وتناصحًا لله،

---

(١) لقمان آية رقم (٦).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (٩٩).

(٣) الترمذي في الجامع برقم (٢٤١٦) في الزهد باب: من التمس رضا الله في إسناده رجل مبهم لم يسم، ولكن رواه من طريق القضاعي في مسند الشهاب [٤٢/٢]، وابن عساكر في تاريخ دمشق [٢٧٨/١٥/١] أقاله محقق شرح السنة [٤١١/١٤].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: في سورة المائدة آية رقم (٢).

ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم .

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات ، والذكر الحكيم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[2] .

ربنا ؛ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا . اللهم ؛ اهد ضال المسلمين ، وثبتنا على الصراط المستقيم ، واغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا . اللهم ؛ اغفر لنا ولآبائنا وإمهاتنا ؛ إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) الأنفال آية رقم (٢٥) .

(٢) البقرة آية رقم (٢٨٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله ؛

﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[1] .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن أحسن الحديث كلامُ الله ، وخير الهدي هديُ نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم[2] فاقرءوا كتاب الله ونذيرَه ، واعملوا به ، فإنه الصراط المستقيم ، وهو حبل الله المتين ﴿ **فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾[3] وعليكم بسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - عضوا عليها بالنواجذ[4] ففيها الخير والبركة ، والسعادة والكفاية عن كل ما سواها .

أيها المسلمون ؛ إن ما يفعله بعض الناس في الحفلات والمناسبات من استئجار سينما أو مغنيات تجمع عليها بعض الناس من المؤمنين - أمر خارج عن المباح ومصاريف تصل إلى حد التبذير والإسراف ، وفيه فتح باب على المسلمين ، وسنة في

---

(١) التوبة آية رقم (٣٣) .

(٢) من خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - أخرجه النسائي في الصغرى من حديث جابر ، رضي الله عنه ، بهذا اللفظ . انظر السنن للنسائي [٣/١٨٠-١٨٩] ، والفتح للحافظ [١٠/٥١١] .

(٣) الأنعام آية رقم (١٥٣) .

(٤) رواه أحمد في المسند [٤/١٢٦] من حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

الحفل سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها[١]

فاتقوا الله - أيها المسلمون - واكتفوا بما أحل الإسلام، فماذا يستفيد صاحب الحفل إذا جعل في حفله منكرات، لا يستفيد إلا وزرًا وإثمًا ومقتًا من أهل الخير، ودعاء عليه من الصالحين، وإنما المقصود المشروع من الحفل هو إشهار الزواج وإظهار السرور، وهذا يحصل بالأمر المباح المشروع.

فاتقوا الله عباد الله؛ وصلوا على البشير النذير، والسراج المنير، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز، فقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢].

---

(١) إشارة إلى معنى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مسلم في الصحيح برقم (١٠١٧) في الزكاة.

(٢) الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والثلاثون

١/ ٣/ ١٤٠٥

[المحافظة على عقدة النكاح]

الحمد لله رب العالمين . اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله واقتفى أثره .

أما بعد .. فإذا طلب إنسان من أخيه مزرعة لينتفع بها ويغرس فيها فأعطاه . وقال له : كل ما تغرسه فيها تثمره فهو لك ، لكن حافظ عليها من التيارات الهوائية ، والمجارف المائية ، وعن السَّبخ فإذا أعيتك أو طابت نفسك منها فردها إليّ فالتزم بذلك . ألا يجتهد في إصْلاحها ، وينفق عليها بطيب نفس كلَّ ما تحتاجه رغبة في نفعها . ونمو غرسها . حتى لو حصل فيها نقص في بعض النفع ، أو زيادة النفقة صبر وقارن بين الأمور . وحتى إنه لو طابَت نفسه منها ، وأراد إن يردها إلى صاحبها ، لأخذ يفكر في غرسه ماذا يفعل به ، ويفكر هل يجد مزرعة أحسن منها أو مثلها ، فأخذ يتأمل ماذا يقول لصاحبها إذا ردها إليه وقد ذبل ورقها ونقص إنتاجها . إذا كان هذا شأن الرجل العاقل في المزرعة الأرضية التي نفعها مادي فقط . فما بالكم بالمزرعة الإنسانية التي هي أُنس الرجل وشريكةُ حياته . تنتج له الأولاد ، وتربي الأطفال ، وتحفظ المال ، وتحرس البيت ، وتُعين على أمور الحياة ، وتحفظ دينه ، وتحصن فرجه .

وتغضِ بصَرَه ، وتشاركه في آلامه وآماله ، أليست هي أولى بالعناية وحُسْنِ الرعاية ، أليست أحق بمراعاة شعورها .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١) .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾(٢) . ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٣) .

فما بال بعض الرجال يُسيء معاشرة زوجه ، ويغمطها حقَّها ، ويتسلط عليها بلسانه ، وقد يُحرِّض عليها أولاده منها أو من غيرها . ما بال بعض الناس خَشِنُ الطبع مع ربة بيته ، وشريكة حياته ، يقابلها بالسباب ، ويكيل لها الاتهامات ، ويرهبها بالوعيد وتحطيم الحياة . ما بال بعض الناس ليس أمامه إلا الطلاق ، فهو دائمًا على لسانه لأي سبب تافه ومن دون سبب فإذا به يندم على عمله ، ويحاول التخلص من حصائد لسانه . هذه هَوَاتف العلماء دائمًا رنانة ومشغولة بالسائلين عن الطلاق من شباب وشيب ، مثقفين وعوام . والسبب في ذلك هو البعد عن نور الشريعة المحمدية وعن توجيهاتها وعن أحكامها . فكثير من الناس ثقافته غير إسلامية ، ويتعلم غير علوم الشريعة الإسلامية ، ولا يعرف عن الإسلام ، إلا أن أباه وأمه مسلمان ، وهو مسلم على أثرهما ، ما هذا الجفا ، لا يحضرون مجالس العلماء ، ولا حلق الذكر ، ولا يتدبرون كلام الله . فَوَجد منهم عدوهم المبين غفلة وجهاله فأراد أن يفسد عليهم دينهم ودنياهم .

إن علوم الشريعة المحمدية حياةٌ للقلوب ، وغذاء للارواح ، وطهارة للنفوس ، وحمايةٌ للأبدان ، ترقق الطباع ، وتهذب الأخلاق ، وتنمى المدارك ، وتصل العبد بربه ، فيشع في القلب نور الإيمان ، وتَعْلُو الجوارحَ آثارُ التقوى ، فيهرب عنه الشيطان وجنوده من الجن والإنس .

ما من بيت إلا ويحصل فيه بعض المشاكل الزوجية ، وليس الطلاق علاجًا لها ، وإنما تعالج بما تقتضيه المصلحة للإبقاء على الصلة الزوجية وعزة البيت وكرامة الأسرة .

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٩) .

إن استئصال أي عضو من أعضاء البدن ، لا يكون إلا بعد بذل كل الوسائل والمحاولات للعلاج ، فإذا لم ينفع العلاج وتحققت المصلحة في قطعه قطع ، فكذلك الطلاق لا ينبغي أن يقع إلا لإسباب تقتضيه ، إذا لم تنفع المحاولات والإصلاح .

وحيث توفرت أسباب الطلاق ، فإن له نظامًا لابد من اتباعه . فليست المسألة فوضى ولا ارتجالية ، إنما هو تنظيم العليم الخبير جلَّ جلاله .

فالطلاق المشروع أن يكون طلقة واحدة في طهر لم يحصل فيه جماع ، وتبقى الزوجة في بيت الزوجية ، وتتشرف للزوج لعل الله أن يُحدث بعد ذلك أمرًا ، فإذا وجد الزوج في نفسه رغبة في الإصلاح رَدَّها إليه فله ذلك . من دون الزوجة . قال سبحانه :

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ ﴾(١)

فهذه فرصة اختيار واختبار. أما إذا كان الحال على ما هي عليه فيتركها حتى تقضي عدتها ، فتذهب إلى أهلها ، فإذا خرجت من العدة فلا تحل له إلا بزواج جديد بعقد ومهر جديدين برضاها . وإذا راجعها في المرة الأولى . ثم بدا له فطلقها ، فأمامه فرصة ثانية ، وهي حق الرجعة في العدة . أما إذا طلقها الثالثة فهو دليل على فساد متأصل في الحياة الزوجية ، فليس له رجعة حتى تنكح زوجًا غيره ، وهذا من محاسن الإسلام وعنايته بحقوق المرأة ، وكانت الحال في أول الأمر يطلق الرجل امرأته ما شاء ثم يراجعها ولو مائة مرة ، حتى غضب رجل من الأنصار على امرأته ، فقال : لا أطلقك ولا آويك . قالت : وكيف . قال أطلقك فإذا دنت عدتك راجعتك ثم أطلقك وهكذا . فأخبرت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فنزلت هذه الآية بتنظيم الطلاق والرجعة .

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ،

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٩،٢٣٠) .

مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ
وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ
هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(١)

فاتقوا الله أيها المسلمون اتقوا الله أيها الأزواج.

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

فالطلاق إما رجعي وإما بائن فالرجعي ما كان بواحدة على غير عوض. والبائنة بثلاث أو بعوض. والسنة أن يطلق واحدة في طهر لم يجامع فيه.

وأما الطلاق حال الحيض فهو بدعة ومعصية الله ولكنه يقع عند أكثر العلماء؛

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي [٤٩٧/٣] حديث (١١٩٢)، والحاكم [٢٧٩/٢-٢٨٠] وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب قال عنه الذهبي: قد ضعفه غير واحد. والآيات في سورة البقرة آية (٢٢٩-٢٣١)، وانظر جامع الأصول [٤٦/٢].

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣١).

لحديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فغضب وقال: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن بدا له فليطلق في طهر لم يجامع فيه، فتلك العدة التي أمر الله تعالى»[1] في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ﴾[2].

والطلاق حال الحمل ليس ببدعة ويقع، وما شاع من أنه لا يقع لم أر أحدًا من العلماء قال به. والطلاق بالثلاث في كلمة واحدة بدعة، ويقع عند جمهور العلماء. والعدة المشروعة للمرأة التي دَخَل بها زوجها. والدخول هو إرخاء الأستار. ورد الباب عليهما منفردين والله أعلم بأمرهما. أما التي لم يُدخَل بها فليس عليها عدة.

والمعتدات من الطلاق ثلاثة أنواع:

ذات الأقراد - أي: الحيض - فعدتها ثلاثة قروء، وأما الصغيرة التي لم تُدْرك المحيض والكبيرة التي انقطع عنها الحيض وأيست منه فعدتهن ثلاثة أشهر. وأما الحامل فعدتها وضع حملها. وأما المتوفى عنها زوجها فتتربص أربعة أشهر وعشرًا، وكانت في الجاهلية تعتد سنة كاملة، فجاء الإسلام بسماحتة ويسره فجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرًا تخفيفًا على المرأة.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ اتقوا الله أيها الأزواج، إنهن عندكم عوارٍ وأمانات أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم منهن بكلمة الله فاحسنوا المعاشرة والصحبة.

﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[3] اللهم؛ إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) صحيح البخاري [٥٢/٧]، ومسلم [١٠٩٣/٢] حديث (١٤٧١).

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١).

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٣٧).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعَاقبة للمتقين ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع ملته .

أما بعد .. فإن جمال الرجل في طاعته لله ، وفي أخلاقه وسلوكه ، وحسن معاملتة . وليس في التشبه بالنساء في أزيائهن وتجميلاتهن وحليهن فهناك من الرجال وخاصة الشباب من يتشبه بالمرأة فَيلبس خاتم الذهب . وهذا محرم على ذكور هذه الأمة الإسلامية ؛ لأن الرجل له وظيفة غير وظيفة المرأة . فالرجل له صفات الرجولة من القوة والشجاعة والصلابة ؛ ليدافع عن دينه ومحارمه . أما التحلي بالذهب فتجمل وإغراء فهو محرم على ذكور هذه الأمة . عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « حُرم لباس الحرير والذهبُ على ذكور أمتي » رواه الترمذي[1] .

وروى البخاري رحمه الله بسنده عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - أنه قال : نهانا النبي -صلى الله عليه وسلم - عن سبع :

نَهىٰ عن خاتم الذهب - أو قال حلقة الذهب - وعن الحرير ، والإستبرق ، والديباج ، والميثرة الحمراء ،والقسيّ ، وآنية الفضة .

وأمرنا بسبع : بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، ورد الإسلام ، وإجابة الداعي ،وإبرار المقسم ، ونصر المظلوم[2] .

---

(١) سنن الترمذي (١٧٢٠) ، وهو صحيح .

(٢) صحيح البخاري [٣١٥/١٠] فتح .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «أنه نهى عن خاتم الذهب» رواه مسلم[١].

فاتقوا الله يا شباب المسلمين، ما هذه الخواتم التي في أيدي بعضهم انزعه أخي المسلم من يدك، وأعطه زوجك، وإذا كان ولابد فاتخذ خاتمًا من فضة، فإن خاتم خير البشر وسيد الأولين والأخرين - صلى الله عليه وسلم - كان من فضة. ولم يتخذه للزينة، وإنما نقش فيه اسمه (محمد رسول الله) ليختم به الرسائل التي يبعثها للدعوة إلى الله ولرسوله. ليس الذهب جمالًا للرجل، وإنما هو تشويه لأنه مخالفة لنهي النبي - صلى الله عليه وسلم - ومخالفة للفطرة:

فاتقوا الله وراقبوه، وكونوا رجالًا أهل شكيمة قوية، وأهل عزة وعزيمة، ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٢].

---

(١) صحيح مسلم [١٦٥٤/٣] حديث (٢٠٨٩) الميثرة الحمراء يتخذها الأعاجم لسرج لخيل.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والثلاثون

٣ / ١١ / ١٤٠٨

التذمم بين الزوجين

الحمد لله رب العالمين[١] اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، مِنَّتُه على المؤمنين ، ورحمته للخلق أجمعين .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الإسلام اعتنى ببناء الأسرة ورعايتها ، والمحافظة على تماسكها وترابطها ، لأنها هي مصدر إنجاب الإنسان ، وبقائه على هذه الأرض حتى يأتي وعدُ الله .

ولما كان الرجل والمرأة هما القاعدة الأساسية لبناء الأسرة وتكوين المجتمع ، جعل الخالق تبارك وتعالى أنظمة للأسرة من حين اتصال الرجل بالمرأة حتى الفراق والفصال .

هذه الأنظمة هي أساس بقاء الأسرة وتماسِكها : حسنُ المعاشرة ، واحترامُ الشخصية ، وحفظُ الحقوق ، وتبادلُ المشاعر ، والتفاهمُ بالحسنى لحل المشاكل ، وإزالةِ الخلافِ ، وتقوى الله هي القاعدة التي عليها مدار الأمر كلِّه .

والإسلام كما أنه ينظر إلى البيت على أنه سكن للزوجين ، وأمن وراحة واطمئنان ، وكما أنه أيضًا ينظر إلى العلاقة الزوجية على أنها مودةٌ ورحمةٌ وأنسٌ ،

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة - رضى الله عنها - مسلم في الصحيح ، الصلاة ،حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢٠) .

تقوم على الاختيار والرضا .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١] .

فالإسلام ينظر إلى البيت والعلاقة الزوجية على أنها تعاون على إنجاب النسل ، وإنشاء جيل على الفطرة ، يعبد الله ، ويُصلح في أرض الله ، يرثُ الإيمان والفضائل والتراث ، ويدعو بالرحمة والمغفرة للآباء والأمهات ، ويترحم عليهم ويَكونُ من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - يُكاثر بهم الأمم فقد تطرأ على الحياة الزوجية أمور أخرى ، فلابد من الصبر والتحمل ، والاحتساب وحسن المعاشرة . فلا ينبغي أن تكون الطوارئ الجانبية مؤثرة في البيت ، ولا مصدعة صرحه ، ولامشتتة شمله ..

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[٢] .

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقال : إنه يريد أن يطلق زوجته ؛ لأنه لا يحبها . فقال عمر : ويحك ألم تُبْنَ البيوت إلا على الحب ، فأين الرعاية وأين التذمم[٣] ؟! .

قال ابن كثير : فعسى أن يكون في صبركم في إمساكهن مع الكراهة - خير كثير لكم في الدنيا والآخرة[٤] .

وقال ابن عباس : هو أن يَعْطف عليها فَيُرزَقُ منها ولدٌ ، فيكون في ذلك الولدِ خير[٥] .

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٢) سورة النساء رقم (١٩) .

(٣) لم أقف على هذا الأثر الموقوف مسندًا ، والله أعلم به ، وإن معناه لصحيح .

(٤) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٢٢٩/٢] .

(٥) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٢٢٩/٢] من دون عزو إلى أحد من المخرِّجين .

وقد أوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - بالنساء، وحث على الصبر على ما يَبدر منهن في غير معصية، فَعَن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، - صلى الله عليه وسلم -: «استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن خُلِقْنَ من ضِلَع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرته، وإن تركته لم يزلْ أعوجَ، فاستوصوا بالنساء» متفق عليه[١] وفي رواية لمسلم وكسْرُها طلاقها[٢].

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يفرك مؤمن مؤمنةً، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر»[٣] أي لا يبْغضْها بل يغفر سيئتَها لحسَنَتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب. روى مكحول رحمه الله عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: إن الرجل ليستخير الله تعالى فَيخَار له، فيسخط، فلا يلبث أن ينظر في العاقبة، فإذا هو قد خِيرَ له[٤].

وقال القرطبي - رحمه الله - عند تفسير ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾. وذلك تَوْفِيَةُ حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها[٥]. بغير ذنب، وأن يكون منطلقًا في القول لا فظًّا ولا غليظًا، ولا مُظهرًا ميلًا إلى غيرها؛ فإنه أهدأ للنفس، وأهنأ للعيش، وأكمل للصحبة، وأكملُ المؤمنِين إيمانًا وأحسنُهم خُلقًا، وخيارهم خيارهم لنسائهم وألطفهم بأهلهم[٦] ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٧].

---

(١) خ برقم (٣٣٣١) الأنبياء: الباب الأول من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومسلم الرضاع برقم (٦١،٦٢) خاص. وعام (١٤٦٩).

(٢) مسلم في الصحيح، الرضاع، حديث رقم خاص (٥٩)، وعام (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) مسلم في الصحيح، الرضاع، حديث رقم خاص (٦١)، وعام (١٤٦٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) ذكره القرطبي في تفسيره [٥/٩٨] من عزو، ولم أقف عليه في مصادر الحديث التي بين يدي.

(٥) ذكره القرطبي في تفسيره [٥/٩٧].

(٦) من حديث عائشة - رضي الله عنها - أحمد في المسند [٦/٤٧-٩٩] إسناده صحيح.

(٧) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨).

وكما أمر الإسلام الرجلَ بأداء حق زوجه بالمعروف والإحسان أمر المرأة بأداء حق زوجها كذلك ؛ فقال تعالى .

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[١] ، ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانًا لعنتها الملائكة حتى تصبح » متفق عليه[٣] من حديث أبي هريرة ، وفي رواية : « ما من رجل يدعوا امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها »[٤] .

وعن عَمرو بن الأحوص - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « ألا إن لكم على نسائكم حقًّا ، ولنسائكم عليكم حقًا ، فحقكم عليهن ألا يوطئن فُرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون . ألَا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن » .[٥] رواه ابن ماجة والترمذي .

وعن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلَّتِ المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ؛ قيل لها : ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت »[٦] . رواه الإمام أحمد وغيره .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٤) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) .

(٣) خ : بدء الخلق [٢٢٦/٦] وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومسلم في الصحيح ، النكاح ، برقم خاص (١٢٢) وعام (١٤٣٦) .

(٤) هذا لفظ أحمد في المسند [٤٣٩/٢] من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

(٥) إشارة إلى حديث جابر الأنصاري ، مسلم في الصحيح ، الحج ، خطبته عليه السلام برقم (٢٤٧) ، وأحمد في المسند [٧٣/٥] وذلك من حديث عم أبي حرة الرقاشي - رضي الله عنه .

(٦) أورده العلامة أبو بكر الهيثمي في المجمع [٣٠٦/٤] وقال : رواه أحمد في المسند والطبراني في الأوسط ، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وهو من حديث عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه ، ونحو هذا الحديث دون اللفظ الآخر عن أنس بن مالك - رضي الله =

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يَسْنُون عليه، وإنه استَصْعب عليهم فمنعهم ظهره، وإن الأنصار جاءوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنه كان لنا جملٌ نَسْنِي عليه، وإنه استصْعَبَ علينا، ومنَعَنا ظهره، وقد عطش الزرع والنخل. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: «قوموا، فقاموا، فَدخل الحائطَ، والجملُ في ناحيته، فمشى النبي - صلى الله عليه وسلم - نحوه. فقالت الأنصار: يا رسول الله؛ قد صار مثل الكلْب نخاف عليك صولته. قال: ليس عليّ منه بأس. فلما نظر الجمل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أقبل نحوه حتى خَرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بناصيته أذل ما كانت قط حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا رسول الله؛ هذا بهيمة لا يعقلُ يسجد لك، ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك. فقال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يصْلَح لبشر، أن يسجد لبشر ولو صلَح لبشر أن يسجد لبشر لأَمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لِعظِم حقه عليها». رواه أحمد والنسائي، وابن حبان في صحيحه[1].

وفي حديث معاذ عند الحاكم ولا تَجدُ امرأةٌ حلاوةِ الإيمان حتى تؤدي حق زوجها، ولو سألها نفَسها وهي على ظهر قتب[2].

ومن حق الرجل على زوجته، ووجوب طاعته ولا تصوم النفل إلا بإذنه، ولا تخرج إلّا بإذنه[3]، وأن تَظْهر أمامه بالمظهر الذي يحبُّ من غير معصية.

ومن تمام الصُّحبة بين الزوجين وكمال الخلق التلطفُ في البيت، ولينُ الجانب،

= عنه، أورده الهيثمي في المجمع [٣٠٥/٤] وقال: رواه البزار، وفيه داود بن الجراح، وثقه أحمد وجماعة، وضعفه جماعة .ا.هـ قلت: إسناده حسن مع الشواهد.

(١) أحمد في المسند [١٥٨/٣-١٥٩] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وإسناده جيد.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك [١٧٢/٤] وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه، وأورده السيوطي في الدر المنثور [٥١٩/٢] وذلك من حديث معاذ بن جبل بسياق طويل.

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح برقم (١٠٢٦) الصيام. والترمذي في جامعه برقم (٧٨٢).

وطيبُ الكلام، وتبادلُ الحديث الحسن، وتجنب التهكم والاحتقار والاستنقاص.

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة[١]. فإنه صاحب الخلق الكريم سَابَقَ زوجه عائشة، فسبقته، ثم سابقها أخرى لما ثقلت، فسبقها. فقال: هذه بتلك[٢].

وقال لها يومًا: «إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت علي غضبي». قالت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: «إذا كنت عني راضية، فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى قلت: لا ورب إبراهيم» رواه البخاري ومسلم[٣].

ورأى لُعَبًا لعائشة - رضي الله عنها - وفي وسطها فرس له جناحان من رقاع. فقال: فرس له جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلًا لها أجنحة؟ قالت عائشة: فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى رأيت نواجذه» رواه أبو داود بإسناد صحيح[٤].

وكان - صلى الله عليه وسلم - يمازح أصحابه ويداعبهم. فقال لجابر بن عبد الله: هلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك. وقال للصبي: ماذا فعل النّغير يا أبا عمير[٥]. كان خليقًا لطيفًا مع أهله وأبنائه، ركب الحسن على ظهره، وهو ساجد، فما زال ساجدًا حتى نزل[٦]، وركب على بطنه، وأخذ يلعب بنقرة السرة. ورأى الحسن والحسين يتعثران، وهو يخطب فنزل وحملهما وأكمل الخطية[٧]. وكان يعمل في بيته مع

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية: (٢١).

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها الإمام أحمد في المسند [٣٩/٦]، وإسناده صحيح.

(٣) خ: برقم (٥٢٢٨) النكاح من حديث عائشة - رضي الله عنها - ومسلم، فضائل الصحابة حديث خاص (٨٠) وأحمد في المسند [٦١/٦]، [٢١٣/٦].

(٤) أبو داود في السنن كتاب الأدب: باب في اللعب بالبنات حديث رقم (٤٩٣٢) بهذا اللفظ بسياق طويل، وإسناده صحيح، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - خ الأدب [٤٣٦/١٠] الفتح، ومسلم في الصحيح، الآداب برقم (٢١٥٠).

(٦) إشارة إلى حديث شداد بن الهاد - رضي الله عنه - أحمد في المسند [٤٦٧/٦]، وإسناده صحيح.

(٧) إشارة إلى حديث بريدة - رضي الله عنه، الإمام أحمد في المسند [٣٥٤/٥] =

أهله ، فَرَقّع ثوبه ودَلوه ، وحصف نعله ، وحلب شاته ، وخدَم أهله بنفسه ، وذلك من عظيم خلقه وكمال تواضعه ولتعليم أمته - صلى الله عليه وسلم -[1] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ اعرفوا الحقوق لأهلها ، وأدوها بطيب نفس واحتساب ، اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت . اللهم ؛ ارنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ... إلخ .

= وإسناده صحيح .

(١) إشارة إلى حديث أبي بصرة الغفاري - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [٦/ ٣٩٧] ، وإسناده جيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والثلاثون

١٩ / ٦ / ١٣٩٨

[عناية الإسلام بالأسرة]

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين . وميَّزه بالعقل ، وفضله على العالمين . وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، إله الأولين والآخرين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الإسلام قد اعتنى كل العناية بتنظيم الأسرة المسلمة ، جعل لها نظامًا تسير عليه ، وقاعدة ترتكز عليها ، وأعطاها جهدًا كبيرًا لتنظيمها وتطهيرها من أرجاس الجاهلية الأولى ، ومن أدناس الجاهلية المعاصرة ، وحماها من فوضى التحلل والإباحية ، وصانها من غوغاء الطيش والشهوات الدنية ، ذلكم لأن الأسرة هي أساس المجتمع ، وهى معمل الإنتاج لرجال المستقبل ، فبصلاحها يصلح الإنتاج ، ويتهيا لتحمل مسئولياته في الحياة ، ويستعد لأداء وظيفته على هذه الأرض ، ويتفهمُ ما سيلاقيه بعد هذه الحياة . « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يُنَصرانه »[١] .

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾[٢] .

إن النظام الاجتماعي للأسرة في الإسلام قد لوحظت فيه جميعُ خصائص الفطرة الأساسية ومقوِّماتها ، ولوحظ فيه أساس التكوين الأول .

فنظام الأسرة في الإسلام هو النظام الطبيعي الذي يتلائم مع غرائز وخصائص الإنسان ، ويتلائم مع صفاته الخلقية والخُلقيه ، لأن الذي شرع هذا النظام هو الذي

---

(١) هذا لفظ مسلم في الصحيح كتاب القدر حديث رقم (٢٦٥٨) باب كل مولود يولد على الفطرة وللبخاري في الصحيح بمعناه [٤٣٢/١١] فتح ، كلاهما من حديث أبي هريرة .

(٢) سورة الروم آية رقم (٣٠) .

خلق الإنسان ، وأودع فيه غرائزه وطبائعه ، فهو أعلم بما يتلائم معه ويتفق مع مصالحه ، ولهذا فإن نظام الأسرة في الإسلام هو الذي ترتاح له النفوس السليمة ، والأسر المستقيمة ، وهو الذي يُصلح النشأ ويهيئه لتحمل مسئولياته ، ويكونه لتقبل أعماله في الحياة .

وقد أثبتت التجارب أن أي نظام في الحياة غير نظام الأسرة في الإسلام لو استعمل لتربية الطفل لم يكن صالحاً ، ولا معوضًا عن جهاز الأسرة . ولا يقوم مقامه ، وإنما هو نظام فاشل ، يصطدم بفطرة الطفل وتكوينه النفسي ، فيحصل له من الأضرار والتعقيد النفسي ، والاضطراب الصحي ، والانفصام الشخصي ، والشذوذ الاجتماعي ، والانحراف الديني - ما يضر بحياته وسلوكه ويحطم مستقبله .

ولو تتبعنا أسباب الجرائم في العالم ، لوجدنا أغلب القائمين بها من هذا النوع آلَ بهم الحالُ إلى السآمة من الحياة ، والسخط على العالم ، فوجدوا في الجريمة متنفَّسًا لهم ، وإشباعًا لنزعة الشذوذ فيهم . أما نظام الإسلام بالأسرة وتقويمها ، فإنه ينبني على قواعد أساسية ثابتة تربط بين أفرادها وبين أصلها وفرعها ينبني على أساس الزوجية الصحيحة ، وعلى وفق دين الله ، وعلى وفق النظام الفطري العام ، تسوده الرحمة والمودة والشفقة والتعاون على أداء الواجب من كل فرد من أفرادها فيما يخصه بأصل الفطرة وبالنظام العام للإسرة . مثل المعاشرة والنفقة والحضانة ، والرضاعة والتوجيه ، والتربية والتعليم ، ومعالجة كل ما يطرأ على الأسرة من أحوال ومنغصات ومفسدات ، كالنشوز والشقاق

ولنظام الأسرة في الإسلام قاعدة يعتمد عليها ، وركيزة يرتكز عليها في جميع أحوالها ومقوماتها ، وهي تقوى الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[١] .

فأعمال الأسرة ليست مجرد غرائز فطرية ، ولا مجرد شهوات نفسانية ، ولا مجرد واجب يُمليه المجتمع كما تقوله بعض العناصر الشيوعية واللادينية ، وإنما هي أعمال تقرب إلى الله ، وذخيرة عنده لمن أحسن فيها ، وفي بضع أحدكم صدقة ، واللقمة تجعلها في فيّ امرأتك صدقة ، وابدأ بمن تعول . فهي نظامٌ سماويٌّ عالٍ في تنظيمه ، رفيعٌ في مقاصده ، طموحٌ في أهدافه ، مرتبط بقدرة الله وإرادته ، ومتصل بفضله وعنايته .

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[٢] .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] .

فالفرق بين نظام الأسرة وغيره شاسع ، كما بين المشرق والمغرب ، وبينهما فروق واضحة جلية . فالأبوان قد جُبلا على حب طفلهما ، والشفقة عليه ، والاستئناس به ، والارتياح لخدمته ، والعملِ على ما يصلحه ويغذي مداركه وينمي فيه روح الإحساس بالمسئولية ، ويهيئه لشق طريقه في الحياة . ويبذلان في ذلك كل غال ونفيس .

كما أن الولد مجبول أيضًا على حب أبويه ، والانقياد لهما ، والتشوق إلى عطفهما ، والتلذذ بالعيش معهما ، والارتياح لمشاهدتهما ومناجاتهما . فباجتماع هذه الأحاسيس الفطرية من الأبوين والولد ، ينشأ الطفل نشأة صالحة على سلوك مستقيم .

---

(١) سورة الملك الآية رقم (١٤) .

(٢) سورة النحل الآية رقم (٧٢) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

أما غير هذا النظام أيًّا كان نوعه سواء كان عند مربية ، أو في دار حضانة - وهى أشد وأمر - فإن الطفل يُحرم من حنان الأبَوين ، ويفقد المشاعر التي جبل على تلقيها ، ويفقد العناية الخاصة به التي يتشوق إليها ، ويستشعر في نفسه إما بفقد الأمومة والأبوة ، أو بإهمالهما لحقه . فلا يرى إلا أوامر تصدر من غير ذي شفقة ، وغير ذي حنان .

ومن هذا فعلم أن كل نظام إجتماعي يخالف نظام الإسلام فهو نظام فاشل ، وكلَّ نظام يخالف تنظيم الإسلام للإسرة فهو نظام فاشل سافل .

وعلى هذا فإن المرأة التي تهمل أولادها وأسرتها وتودعهم في دور الحضانة ، أو عند المربية لتحصل إما على رغبة نفسية ، أو على السياحة بعيدة عن أولادها وأسرتها المسئولة عن رعايتها ، أو لتحصل على كسب مادي تستكثر به في حياتها ، وتترفه به في ملذاتها وشهواتها . لقد أخطأت في تصرفها ، وخرجت على نظام فطرتها ، ونظام الأسرة في دينها ، وأساءت إلى طفلها ، وتحملت مسئوليته أمام الله تعالى : لأنها ليست في ضرورة إلى هذا ، فقد كفل لها نظام الأسرة كل ما تحتاجه إما من زوجها ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1]، أو ممن تلزمه نفقتها أو نفقة ولدها .

﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾[2] .

أو من بيت المال كما هو المتبع في هذه البلاد التي من الله عليها بقيادة رشيدة تحكم بدين الله وتسير على منهج الإسلام .

وأما الذين يدعون المرأة إلى الخروج على نظام الإسرة ، وهتك سترها ، ورفع حجاب الحياء والإيمان عنها ؛ للعمل في الحقل العام بجانب الرجال ، تحتك بمختلفي

---

(١) سورة النساء جزء من آية (٣٤) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣) .

الطبائع والنزعات تحت شعار التقدم والانطلاق ، وباسم الواجب الاقتصادي ؛ فإنما هي دعوة إلى التبرج كما كان في الجاهلية الأولى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[1] .

إنها دعوة إلى النظام الإفرنجي الساقط السافل ، إنها مكيدة من أعداء الإسلام وأعداء الإنسانية للقضاء على الإسلام وعلى كيان الإنسانية ؛ لأن الإسلام يقْلقهم ، ويقُضُّ مضاجعهم ، يخشون أن يهدم سلطانهم فهو دائمًا له الغلبة ، والعزة والسيادة إذا قدم في أي ميدان ، وأقرب دليل لم تعف آثاره هو حرب العاشر من رمضان على القناة قناة السويس .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتقوا الله أيها الأقوام ؛ ارجعوا إلى دينكم ، فإن عهدكم به قريب ، وتوبوا إلى ربكم فإن الباب مفتوح للتائبين .

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٣٣) .

(٢) سورة النور آية رقم (٣١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمة الإسلام، وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الملك العلام، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الأنام.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان واستقام.

أما بعد.. فإن الشيطان أعاذنا الله منه - حريص على إفساد بني آدم، وهو يجري منه مجرى الدم، فيجعل خرطومه عند قلب الإنسان يوسوس إليه، فإذا هواستعاذ بالله منه خنس، وإذا هو استرسل معه ذهب به كل مذهب إلى الهلاك.

ويستعين إبليس بجنوده من الإنس على أداء مهمته، وإن من وساوسه أن يأتي إلى الشاب أو الشابة ويكره إليه الزواج المبكر، ويوسوس إليه أن الزواج سيعثر دراسته وسيثْقِلُ عاتقه، ويحبس حريته، ويفْصله عن زملائه وأصدقائه، وهذا تصور غير مسلَّم به. بل الزواج حسب التجارب يساعد على الدراسة؛ لأن الزوجة ستكفيه بعض شئونه، وتوفر له وقته، وقد تكون عونًا له في البحث والمذاكرة، أضف إلى ذلك راحة النفس، وغض البصر، وإحصان الفرج، وراحة البال والبدن، ولَوْ وجدت هناك حالة تخالف ما ذكر فهي نادرة لا حكم لها.

هناك تكاليف يفرضها الزوج على نفسه بلا ضرورة تجعله يحجم عن الزواج مثل نوعيَّة المسكن وتأثيثه، وحفلة الزواج، لا يريد أن يتغص عن فلان، وليس فلان بأطيب منه ولا أشرف، فلابد أن يفعل، كما فعل. فإما أن يحجم إذًا عن الزواج، أو يثقل عاتقه بالديون، وهذا تصرف خاطئ، والعاقل من عرف نفسه ومدَّ رجله على قد فراشه، ليس الشرف في تبذير المال، وإنما الشرف في العقل وتقوى الله.

فاتقوا الله أيها الناس؛ لا تسيطر عليكم التقاليد المستوردة، ولا تُطاوعوا النساء

في كل شيء؛ فإن الأمور تخفى عليهن، وهُن يحرصن على المظاهر أكثر من الحرص على الحقائق، ولا يُقدرن العواقب ولا النتائج.

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٤).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والثلاثون

٢٢ / ٥ / ١٤٠٩

[نظام البيت الإسلامي]

الحمد لله رب العالمين ، والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، خلق الإنسان وكرَّمه ، وفضَّله وعلَّمه ، واصطفاه وطهَّرَه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أفضل الخلق أجمعين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، قائد الغرِّ المحجلين .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع سبيله واستقام .

أما بعد .. فإن الإسلام كما أنه نظام عقيدة وتوحيد ، ونظام اقتصاد وسياسة ، ونظام دعوة وجهاد ، فهو أيضًا نظام اجتماعي ، أعطى الأسرة اهتمامًا كبيرًا ، فوضع لها نظامًا يحث على بنائها ، ويحافظ على ترابطها ، وعلى إصلاح إنتاجها ، ويعالج جميع جوانب حياتها وما يطرأ عليها ، ووضع الضمانات والاحتياطات التي ترعى كرامتها ، وتحفظ حقوقها ، وتربط بين أطراف الأسرة ، برابطة المودة والرحمة والعطف والبر والصلة .

ونظام الأسرة في الإسلام ، واضح في سور من القرآن الكريم ، في سور البقرة ، والنساء ، والمائدة ، والنور ، والأحزاب ، والمجادلة ، والممتحنة ، والطلاق . كما هو واضح في سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بغض البصر وحفظ الفرج عن المحرمات ، وكف اللسان عن الأعراض ، وحث على الزواج ، ورغَّب فيه ، وأمر باختيار الزوج الصالح ، وبين حق كل واحد من الزوجين على الآخر ، وحق المرأة في ملكية مالها وصَداقها ، وأوجب المعاشرة بالمعروف ، وعالج حالات النشوز والإيلاء والظهار ، ووضع نظامًا للفراق ، إما بالخلع أو الطلاق ، ورغَّب في الرجعة ، وبيَّن أحكام العدد ، كما وضع نظامًا لكفالة الطفل ورضاعته وتربيته ،وأوجب النفقة

بالمعروف وأوضح أحكام الوصية والإرث، وغير ذلك من التعليمات السماوية التي تحافظ على تماسك البيت، وطهارته، وإصلاح النشء وسعادته.

وإذا تأمل العاقل المنصف نظام البيت في الإسلام علم حقًّا أنه هو النظام الذي يتلائم مع فطرة الإنسان، ويتفق مع أصل تكوينه. فهو ينمي العقول، ويزكيّ الأرواح، ويهذب النفوس، ويطهر السلوك. وهو الذي تلتقي فيه مشاعر المودة والشفقة والرحمة، والتكافل والتكافؤ، ويطبع الأسرة بالطابع الخيِّر، ولا غرابة، فالذي خلق الإنسان هو الذي أنزل القرآن، وأرسل سيد الأنام، صلى الله عليه وسلم.

وقد أثبتت التجارب العملية أن أي جهاز آخر غير الأسرة لا يعوض عنها، ولايقوم مقامها، ولايخْلو من أضرار مفسدة لتربية الطفل ونشأته، وخاصة نظام المحاضن الجماعية.

ونحن - ولله الحمد - في هذه المملكة العربية السعودية الشعب والحكومة - مؤمنون. نظامنا الإسلام، ودستورنا القرآن وسنة سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - نربي أبناءَنا في بيوتنا، وعلى نهج الإسلام عقيدة ومنهجًا وسلوكًا.

ولو وجد طفل فقد أبويه تولَّته الدولة برعايتها وعنايتها، فتختار له اسمًا حسنًا، وتجعله في بيت صالح في عقيدته، وخلقه، وتنفق الدولة عليه، وتتابع أحواله، وتتفقد أموره من كل جوانبها، حتى يكبر ويتعلم ويسير في طريق حياته ويستقل بنفسه.

ولكن بعض الناس في هذا الزمن اعتمد في تربية أطفاله على الخادمات، فيسلم الطفل الناشيء البريء إلى الخادمة ليل نهار، وقد تكون تلك الخادمة لا تعرف من الإسلام إلا مجرد النسبة، وقد تكون غير مسلمة، فتُعلم الطفل عقيدتها وسلوكها، وأخلاقها، وتصْبغه بالصبغة التي تعرفها، فينشأ الطفل لا يعرف ربه ولا البر ولا الصلة. فمن هو المسئول عن هذا الناشئ البريء. المسئول أبوه وأمه، فهو أمانة عندهما وتحت رعايتهما، ومسئولية الأم أكثر فهي راعية البيت، ومسئولة عن رعيتها. والواجب أن تعلم الخدم دين الإسلام، والسلوك الحسن، والخلق الكريم.

إن كثرة الخدم في المنزل ليس مَفْخرة، وليس دليل التقدم، ولا دليل الرفعة، بل هو دليل الكسل والترف.

لا ينبغي أن يتكاسل الإنسان عن خدمة بيته ونفسه وأولاده، وأبويه وأخواته ،ولا تحضر الخادمة إلا لضرورة، وليست الدراسة مانعة من القيام بالواجب، فكثير من الناس يدرسون ويخدمون في بيوتهم، ولكن المعوق هو الاشتغال بالمسليات والملهيات، وإضاعة الوقت، بما لا فائدة فيه، سهر في الليل ونوم في النهار.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ اتقوا الله في أولادكم، فإنهم أمانة عندكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

وإذا احتاج المسلم إلى خادمة فليتخير مسلمة أمينة عاقلة، ولو كلفه الأمر مالًا ليخرج من المسئولية أمام الله، ولتكن أعمالها فرعية لا أساسية.

وما من مسلم يتأمل نظام الإسلام في التربية والتعليم، ويقارن بينه وبين النظام الجاهلي الماضي، وبين النظام الجاهلي المعاصر، إلا ويجد الفرق شاسعًا كما بين الشمس النيرة، وبين قعر الأرض المظلمة، فسيدرك مدى كرامة الخالق تبارك وتعالى للإنسان.

وما من امرأة سوية تُدْرك رعاية الإسلام للمرأة وعنايته بها، ورفع مستواها وحفظ حقوقها وكرامتها، إلا ويمتلئ قلبها حبًا لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - وللإسلام وأهله. ربنا؛ لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب. اللهم؛ ألهمنا رشدنا، وقنا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل ما أعطيتنا عونًا لنا على طاعتك وطاعة رسولك - صلى الله عليه وسلم - وأَعِذنا من فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال[2]. اللهم؛ اغفر لنا ولجميع المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) الأنفال آية رقم (٢٧،٢٨).

(٢) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - خ ص [٢/٢٦٣-٢٦٤]، ومسلم في الصحيح المساجد حديث رقم (٥٨٩) باب ما يستعاذ منه في الصلاة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد في الأولى والآخرة ، وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله ،

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾(١) .

هناك حالة نفسية تصيب بعض الناس لسبب من الأسباب تدفعهم إلى الحلف على ترك واجب ، أو على فعل محرم ، أو على ترك مستحب ، أو فعل مكروه .

فالاستمرار على هذه اليمين آثم لصاحبها من الخروج منها بالكفارة ،فإذا حلف على ترك واجب كفر عن يمينه وفعل ، وإذا حلف على فعل محرم كفر عن يمينه وترك ، ومن هذا القبيل إذا حلف رجل ألا يجامع زوجته .

فإن في هذا هجرانًا يضر بالزوجة نفسيًّا وعصبيًّا ، وفيه جفوة قد تؤثر في جو الأسرة وتصدع بناءها ، لكن قد يراها الزوج علاجًا لبعض الحالات الزوجية الطارئة من المرأة .

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٣) .

وقد أذن الله له في هجرها في المضجع ﴿ **وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ** ﴾[١] . ولكن الخالق تبارك وتعالى وهو اللطيف بعباده العادل في أحكامه - لم يترك للرجل مطلق الإرادة يفْعل كيف يشاء، بل وقَّت له زمنًا محدودًا في حالة الحلف على تجنب الفراش.

﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢] .

فجعل حَدًا أقصى للإيلاء وهو أربعة أشهر فقط، فإذا حلف الرجل ألا يجامع زوجته مدة أقل من أربعة أشهر فالخير له أن يكفر ويأتي أهله، وإذا كان يرى أن هناك حالة تستدعي التأخير فله أن يبقى على يمينه حتى تنحل بانتهاء المدة.

أما إذا كانت المدة التي حلف عليها أكثر من أربعة أشهر، فإذا تمت أربعة أشهر ولم يرْجع إلى حَل اليمين، فإن الشريعة تجبره إما بحل اليمين بالكفارة، أو بالطلاق وإعْطاء المرأة حريتها.

وليس للمرأة مطالبة الزوج بالفيء أو الطلاق قبل أربعة أشهر، وبعدها يحق لها أن تطالبه بأحدهما. ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٣] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٤).

(٢) البقرة: آية (٢٢٦).

(٣) الأحزاب: آية (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والثلاثون

١٤٠٩/٦/٦

[المرأة غير الدَّينة خطر على الأسرة]

الحمد لله رب العالمين[١] ؛ خلقكم من نفس واحدة ،وجعَل منها زوجها ليسكن إليها[٢] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، حُبب له النِّساء والطيب[٤] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإنَّا نجد في القرآن الكريم تنظيمات للقواعد والأسس التي يقوم عليها نظام العائلة ، وقد أشار هذا النظام إلى النفس الأولى التي كان منها الزوجان لربط هذا النظام بالذي خلق الإنسان ، ولينتبه الإنسان إلى أصله ومنشئه .

---

(١) الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) الأعراف آية رقم (١٨٩) .

(٣) الروم آية رقم (٢١) .

(٤) الإمام أحمد في المسند [١٢٨/٣] من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١) .

فنظام الأسرة ليس مجرد تنظيم لإصلاح حالات فردية من حالات الناس ، وإنما هو نظام . يشد القلب إلى خالقه ، ويُحرِّك المشاعر لتعرف واجبها ، ويوقظ النفس لتدرك أنها تواجه أمرًا عظيمًا له خطره وله وزنه في ميزان الله . فنظام العائلة قاعدة من قواعد المنهج الإسلامي ، وأصل من أُصول العقيدة ، فهو نظام موصول بالخالق تعالى وبإرادته ، وبحكمته ومشيئته ، يترتب على تطبيقه رضوان الله وثوابه ، ويترتب على إهماله غضب الله وعقابه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢) .

وأول قواعد بناء البيت الإنساني الذكر والأنثى ، ومن أجل إقامة عائلة طاهرة نظيفة مؤهلة لأداء رسالتها في هذه الحياة ؛ حثَّ الإسلام على الزواج ، ونَظَّم الغريزةَ الجنسية ، ومنع الفوضى والتلاعب بها . فالزواج مشروع بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

قال تعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣) .

وقال – صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الشباب ؛ من استطاع منكم الباءة

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٣) .

(٣) سورة النور آية رقم (٣٢) .

فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» متفقه عليه[١].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ثلاثةٌ حق على الله عونُهم: المكاتبُ الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»[٢] رواه الترمذي وغيره.

ومن أجل إقامة أُسرة متوازنة متراحمة متعاطفة، حثَّ الإسلام على اختيار الودود الولود ذات الدين.

روى أبو داود، والنسائي عن معقل بن يسار رضي الله عنه؛ قال: قال رسول - صلى الله عليه وسلم -: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[٣].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها؛ فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٤].

وجاء في حديث أبي أمامة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا من زوجة صالحة: إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نَصَحته في نفْسها وماله» رواه ابن

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب النكاح [٩/٩٢-٩٥] باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم: «من استطاع الباءة فليتزوج». ومسلم في الصحيح، النكاح، حديث رقم (١٤٠٠)، وهو من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) الترمذي في جامعه الجهاد برقم (١٦٥٥)، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وإسناده حسن، والنسائي [٦/١٦] النكاح، وابن ماجة في العتق (٢٥١٨)، والحاكم في المستدرك، [٢/١٦٠] وصححه ووافقه الذهبي على تصحيحه.

(٣) د: برقم (٢٠٥٠) النكاح باب تزويج الأبكار، وهو من حديث معقل بن يسار - رضي الله عنه - وله شاهد من حديث أنس بن مالك، وأحمد في المسند [٣/١٥٨]، [٣/٢٤٥]، وإسناده حسن.

(٤) في الصحيح، النكاح، باب الأكفاء [٩/١١٥]، الفتح، ومسلم في الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦)، وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ماجة[١] .

وأجمع المسلمون على أن النكاح مشروع ، وإنما اختلفوا هل هو واجب أو مستحب .

ولما كان النكاح أعمقَ وأقوى الروابط ، وأدوم الصلات بين الزوجين ، فلابد من توافق القلوب في عقدة النكاح .

ولكي تتوحَّد القلوب يجب أن يتوحد ما تنعقد عليه وما تتجه إليه ، ولذلك حرم الإسلام زواج المسلم بالمشركة[٢] وحرم زواج المسلمة بالكافر[٢] .

قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣] .

فالإعجاب المستمد من الغريزة الجنسية الخالية من المشاعر الإنسانية العليا - لا يَصْلح لبناء البيت وتكوين الأُسره . وجمالُ الإيمان أعلى وأفضل من جمال الجسم الملوث بالشرك ، فطريق المسلم لا يلتقي مع طريق المشركة ، ودعوة عباد الله لا تلتقى مع دعوة أعداء الله . فكيف يلتقي الزوجان المختلفان في العقيدة والمنهج ، وكيف يتكون منهما أسرة مسلمة . فحرام أن يربط الزواج بين قلبين لا يجتمعان في عقيدة ،

(١) ابن ماجة في السنن ، النكاح باب رقم (٥) باب أفضل النساء حديث رقم (١٨٥٧) من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - وقال صاحب الزوائد : في إسناده علي بن زيد ، قال البخاري : منكر الحديث وله شاهد من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه النسائي وكذا له شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قاله صاحب الزوائد على ابن ماجة .

(٢) إشارة إلى آية البقرة رقم (٢٢١) .

(٣) آية البقرة رقم (٢٢١) .

ولا يلتقيان في الله ، ولا تقوم حالهما على منهج الله .

فأي زواج لا يَرْتَبط بالله ، ولا بكلمة الله ، ولايسير على منهج الله ، فهو شهوة حيوانية ، وميْل شهْواني . والله تعالى رفع الإنسان وربط بينه وبين مشيئته ومنهجه .

ومن المعلوم بنص القرآن الكريم أن الله أحلَّ للمسلم نكاح الحرائر العفيفات من الكتابيات كما في سورة المائدة .

﴿ اليوم أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[1] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره ما ملخصه : من أدخل أهل الكتاب في عموم آية البقرة ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ ﴾ جعل آية المائدة هذه مخصصةً لها . ومن أخرج أهل الكتاب من عموم آية البقرة فلا تعارض بينهما[2] .

والآية الكريمة تبيح نكاح المسلم الكتابيةَ من أهل التوراة والإنجيل إذا كانت حرة عفيفة ، بشرط الإحصان والتعفف . فأهل الكتاب يؤمنون بالله ، ولهم كتاب تشريع يُوضح الحلال والحرام والحدود ، بخلاف غيرهم من أهل الديانات الأخرى .

وكره أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه -[3] وطائفة من العلماء

(١) المائدة آية رقم (٥) .

(٢) إشارة إلى سورة البقرة آية رقم (٢٢١) وأما قول الإمام ابن كثير في تفسيره ، فقد ذكره [٢/ ٥٠١-٥٠٥] .

(٣) أشار إليه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى - في التفسير [٢/٥٠٤] جزمًا منه على حجة النسبة إلى الشافعي رحمه الله تعالى عنه ، ثم قال الإمام ابن كثير في تفسيره [٢/٥٠٣٥] : وقد كان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - لا يرى التزويج بالنصرانية ، ويقول : لا أعلم شركًا أعظم من أن تقول : إن ربها عيسى ثم ذكر الآية .

زواج المسلم مِنْ كتابية كراهة تنزيه خشية أن يتعاطوا المومسات منهن، وأن تتعطل المسلمات.

وذكر البيهقي رحمه الله في السنن أن الأمام الشافعي - رحمه الله - قال: أُبيحَ نكاحُ حرائر أهل الكتاب، قال: وأحبُّ إليّ لو لم يَنْكِحْهُن مسلم. وقال في كشاف القناع: والأولى ألَّا يتزوج من نسائهم، قال في الاختيارات: قاله القاضي وأكثر العلماء.

ولا يخفى أن الكتابيات كن تحت ظل الإسلام بالعهد والذمة طائعات منقادات خاضعات لأحكام الإسلام. أما اليوم فكما لا يخفى. فيخشى على الذي يتزوج من اليهودية أو النصرانيّة أن يميل إليها فتفْتِنَه عن دينه، ولربما يحصل بينهما ولد فتُغَيِّرَ فطرته.

ولو تأملنا أَحْوال الذين تزوجوا من الكتابيات في الوقت المعاصر، لعرفنا أن تلك الزيجات شرٌّ على البيت المسلم. فالمرأة غير المسلمة تَصْبَغُ البيت بصْبغتها وتربي الأطفال على دينها، وتُخرجُ جيلًا بعيدًا عن الإسلام، بعيدًا عن البر والصلة والتراحم.

أما زواج المرأة المسلمة من غير المسلم أيًّا كانت عقيدته وديانته، فهو حرام بنص الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ﴾(١)

وقال في شأن المؤمنات:

﴿ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾(٢).

وروى البخاري - رحمه الله - في قصة صلح الحديبية أنه من جاء منهم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رده إليهم وإن كان مسلمًا، فلما جاء نساءٌ

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢١).

(٢) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

مسلمات مهاجرات إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنزل الله تعالى فيهن:

﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[1].

وقال القرطبي: أجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه؛ لما في ذلك من الغضاضة على الإسلام.

إن الإسلام لا يرضى أن يكون الكافر قوامًا على المسلمة وله عليها درجة، ولا أن تكون تحت إرادته وإمرته. روي عن حبر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: إن الله عز وجل بعث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالحق ليظهره على الدين كله. فَدِيْنُنا خيرُ الأديان، وملتُنا فوق الملل ورجالنا فوق نسائهم، ولا يكون رجالهم فوق نسائنا[2].

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تعرفوا على نظام إسلامكم واتبعوه، وخذوا بأسباب النجاة، واحذروا أسباب العطب، فإن الأجل محدود، والكتاب دقيق، والحساب سريع، والمآل إما إلى الجنة أو إلى النار.

اللهم؛ إنا نسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم؛ خذ بأيدينا لما يرضيك عنا، وخذ بنواصينا إلى ما فيه عزنا وقوتنا، اللهم؛ لا تكلنا إلى أنفسنا فنهلك، ولا تكلنا إلى سواك فنضيع، وبارك لنا في القرآن العظيم.... إلخ

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم (١٠) والحديث في خ عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور [١/١٣٢] وهو من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٦/١٦٥]، وإسناده يحتج به، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور [٤/١٧٥]، إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيريهما، والبيهقي في السنن الكبرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم ذكر الحديث.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدًا كثيرًا كما أمر، وأشكره فقد وعد بالزيادة لمن شكر، خلقنا من العدم، وربانا بجميع النعم.

اللهم؛ لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1].

وأشهد إلّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، منه المبتدى وإليه المنتهى.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد.. فكثيرًا ما يحصل خلافٌ بين الأبوين على حضانة الطفل إذا كان بينهما نشوز أو فراق. والإسلام قد وضع للحضانة قواعد ونظامًا، محافظة على مصلحة الطفل وراحته وتربيته وخدمته. فالأم أحق بحضانة طفلها ما لم تتزوج؛ لأنها أشفق عليه وأكثر حنانًا؛ لماروى الإمام أحمد، وأبو داود وغيرُهما عن عبد الله بن عَمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن امرأة قالت: يا رسولَ الله؛ إن ابني هذا كان بَطني له وعاء.،وثديي له سقاء، وحِجري له حواء، وإن أباه طلقني، وأراد أن ينتزعه مني. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أنت أحق به مالم تنكحي»[2] أما إذا نكحت توجهت لحقوق الزوج وخدمته عن الطفل، وعلى الأب نفقة الولد، وأجرة الحضانة إذا طَلبت بالمعروف. فإذا تزوجت الأم سقط حقها؛ لأنها

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - مسلم في الصحيح حديث رقم (٢٢٢).

(٢) أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الطلاق، باب من أحق بالولد، حديث رقم (٢٢٧٦) وهو من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - [٢٨٣/٢]، وأخرجه أحمد في المسند برقم (٦٧٠٧) نسخة أحمد شاكر، وإسناده حسن، وقال المعلق على البغوي: انظر ما قاله الإمام ابن القيم في زاد الميعاد [٢٣٩/٤] عن هذا الحديث.

قد تشتغل بالزوج وشئونه عن الطفل فتهمله .

فتنتقل إذًا الحضانة إلى أم الأم ؛ لأنها أشفق من غيرها .

ولما رُي أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قضى بحضانة طفل لجدته بعد أن تزوجت أمُّه[١] .

فإذا بلغ الصبي سبعَ سنين خُير بين أبويه فإن اختار أمه كان عندها ليلًا ، ويذهب إلى أبيه في النهار ليعلمه الأخلاق والرجولة وأمور الحياة والعلم ، وإن اختار أباه كان عنده ليلًا ونهارًا . ويَزُور أمَّه . وأما البنت فإذا بلغت سبعَ سنين فتكون عند أبيها لأنه يحفظها حتى تخطب ولا تُمنع الأم من زيارتها[٢] ، وإذا كان أحد الأبوين غير كفء للحضانة لسبب من الأسباب سقط حقه .

بعض الناس قد تخفى عليه الأحكام الشرعية فيستغل قوَّته وضعف الأم فيأخذ الولد منها قهرًا وهي أحق بحضانته ، وهذا تعد على حق الأم ، وعلى مصلحة الطفل . والواجب على الأب إذا نازعته الأم أو الجدة في الحضانة ، ورأى أنه أحقُ - أن يَرْفع أمره إلى الحاكم الشرعي يقضي بينهما بالعدل .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ إن لكم نظامًا سماويًّا عادلًا فاتبعوه ، وعليكم حقوق الأخوة والقرابة ، فأدوها بالمعروف ، حافظوا على مصالح أولادكم وتربيتهم ، وتعليمهمُ الفضائل والمكارم والعلم النافع ، ولا توقعوهم في دائرة الخلاف والشقاق والعناد والتشفي . اتركوهم بعيدين عن هذا كله ، واحتسبوا الأجر من الله في حُسن الصحبة والتربية والصلة .

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه البغوي في شرح السنة برقم (٢٤٠٠) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ما أخرجه مالك في موطئه [٧٦٧/٢] ومن أحق بالولد ، ورجاله ثقات ، ولكنه منقطع ، وقال مالك عقب روايته : وهذا الأمر آخذ به في ذلك . قاله المعلق على شرح السنة .

(٢) الترمذي في جامعه برقم (١٢٥٧) باب ما جاء في تخيير الغلام بين أبويه ، وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وأخرجه ابن حبان في الصحيح كما في الموارد (١٢٠٠) وقال الترمذي : حسن صحيح .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[1] .

وصلوا على البشير النذير[2] .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١٦٠) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأربعون

٢٤ / ٢ / ١٤١٣

[فوارق بين الذكر والأنثى]

الحمد لله رب العالمين . ﴿ خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[١] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، يخلق ما يشاء ، يُعطى ، ويمنع ، ويخفض ، ويرفع .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ؛ بينٍ لأمته بيانًا شافيًا .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه .

أما بعد .. فإن القرآن الكريم نوَّه عن الذكر والأنثى في مجالات مختلفةٍ بحسب ما يقتضيه المقام والسياق ، مثل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾[٢]

وقوله : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾[٣]

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾[٤]

---

(١) سورة الفرقان آية رقم (٥٤) .

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٣) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٢٤) .

(٤) سورة آل عمران آية رقم (١٩٥) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[١] .

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[٢] .

فَبَنُو آدم خُلقوا من ذكر وأنثى ، والمجتمع البشري يتكون من الذكر والأنثى ، وكل من الصنفين محتاج للآخر ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣] .

وإذا تأملنا التشريع الإسلامي وجدناه يخاطب الأنثى كما يخاطب الذكر ، ويكلفها بما كلف به الرجل ، فهي داخلة في المنادىٰ بقوله تعالى : **﴿ يا يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾**[٤] **﴿ يَا بَنِي آدَمَ ﴾**[٥] **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾**[٦] فالأنثى يجب عليها الإيمان بوحدانية الله وبرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم- وتجب عليها الصلاة والزكاة ، والصيام والحج إذا كان لها محرمًا يسافر معها ، والبر والصلة ، والقنوت والخشوع ، والصبر والعفة ، وحسن المعاملة والمعاشرة ، وبذل القرى ، وكف الأذى ، ولها حقُها من الكسب والميراث .

ولا تختلف الأنثى عن الذكر في التكليف إلا في مسائل يقتضيها اختلافهما في أصل التكوين ، فلا تكلف الأنثى إلا بما في وسعها وخفف عنها ما يشق عليها ، ويتضح ذلك في فَوارق ، أذكر بعضها .

---

(١) سورة آل عمران آية رقم (٣٦) .

(٢) سورة النساء آية رقم (١١) .

(٣) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٤) سورة النساء آية رقم (١) ، الحج (١) .

(٥) سورة الأعراف آية رقم (٢٦،٢٧،٣١،٣٥) وسورة يس آية رقم (٦٠) .

(٦) سورة البقرة آية رقم (١٠٤- ١٥٣- ٢٠٨- ٢٦٤- ٢٦٧- ٢٧٨) وآل عمران آية رقم (١٠٠-١٠٢-١١٨-١٣٠) إلخ .

فقوةُ الإرادة عند الذكر، وصلابةُ العود، والقدرةُ على التحمل ومواجهة الحوادث والمصائب لا توجد عند الأنثى. وترتب على هذا، شَرْعُ الجهاد والقتال والكر والفر على الرجال، وأعفيت منه الأنثى، وكُلِّف الرجل بالأعمال الصعبة مثل الزراعة والتجارة وسائر الحرف، وطلب الكسب، ولم تكلف بها المرأة. ومن الفوارق قوة الحفظ، والذاكرة عند الرجل، وقوة الشخصية، فجعلت شهادة المرأة نِصفَ شهادة الرجل.

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾(١).

ولا تُقبل شهادة الأنثى في الحدود، ولا دَخْل لها في أيمان القسامة على القاتل، ولا تصح إمَامتُها الرجال في الصلاة، ولا ولايتها في الأمور مثل رئيسة وزراء لقوله - صلى الله عليه وسلم - لا يفلح قوم ولو أمرهم أمرأة.

وجعلت القوامة، وعقدة النكاح بيد الرجل، لأنه أقوى وأبعد نظرًا في العواقب، فلا يخدع بالشهوة والرغبة، وعنده من الروية والتأمل في الجملة ما ليس عند الأنثى، فلا تغلبه الانفعالات الطائشة والتصورات الطارئة.

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾(٢).

ومن الفوارق أن الرجل زارع يبتغي هِبَةَ الله وفضلَه، والمرأة مزرعة ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ** ﴾(٣) فهي محل الرغبة والشهوة، فجعل في أصل خلقها فوارق تستميل الرجل وتجلبه، من ذلك الجمال والترف والتجمل، ولما كان شعر اللحية والشارب

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٨٢).

(٢) سورة النساء الآية رقم (٣٤).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٣).

دليل القوة ، والصلابة ، والرجولة ، وعنوان الهيبة ، والمرأةُ محل الرقة ، والنعومة ، والشُهوة فمن حكمة الله لَم يَنْبتُ لها لحية ولا شارب ، ولا شعور لها ظاهرة ، فاللحية جمال للرجال كما قالت عائشة - رضي الله عنها - والذي جمل الرجال باللحا ، وعدمها جمال في المرأة ، فيجب إعفاؤها للرجل ، وإن وجدت في المرأة فهي نادرة تستحب إزالتها .

ومن الفوارق بين الجنسين أن الأنثى اختصت بالحمل والرضاعة ، وهي ترغب هذا وتميل إليه بأصل خلقتها ، وتلك صِفَة تمتاز بها فالمرأة هي المنتجة وهي المربية ، في أطوار الطفل الصعبة ؛ فلا يعبر عن حاجته وتألمه إلا وتفهم منه حاجته .

وتُشكر على أداء واجبها الإنساني وواجبها الشرعي ، لذلك أوجبت الشريعة لها النفقة ، والكسوة ، والمسكن ، وتهيئة ما يلزم لحملها ، وولادتها ، وإرضاعها .

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ ﴾[1] .

وجُعلت العادةُ الشهريةُ دليلًا على خلوها من الحمل ، وأمدَا العدة . الفراق في الحياة ، وجعلت المرأة مؤتمنة على ما فيها من حمل ، فيجب عليها تقوى الله .

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ ﴾[2] .

ومراعاةً لحالها خفف عنها فوُضعت عَنْها الصلاة أيام عادتها ونفاسها ، فلا تُصَلى ولا تقضي ، أما الصيام فلا يصح من المرأة أيامَ عادتها ونفاسها ، وتقضي

---

(١) سورة البقرة (٢٣٣) .

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٨) .

الواجب منه إذا طهرت لأنه لا مشقة عليها في قضائه لأنه مره واحده في السنة وأبيح لها الفطر في رمضان إذا خافت على نفسها، أو على ولدها.

ومن الفوارق بين الذكر والأنثى، أن المرأة محل أطماع الرجال، وتلحقها مذمةٌ ودنسٌ، إذا هي خلت برجل أجنبي، فأوجب الشارع على وليها وزوجها رعايتَها والمحافظة على قيمتها الإنسانية وشرفِها، ومُنِعت من الخروج من البيت إلا بإذنه، ومنعت من السفر إلا بمحرم. فالمرأة كلها عورة حتى صوتها، فلَمْ يشرع في حقها الأذان ولا الإقامة، ولا رفع الصوت بالقراءة، وأسقطت عنها الجمعة والجماعة؛ لأنه مطلوب منها أن تقر في بيتها.

ومراعاة لتلك الحالات وجب عليها الحجاب وتغطيةُ وجهها عن الرجال الأجانب، وحرم عليها إبداء شيء من زينتها إلا ما يتعذر ستره مثل العباءة وما تغطي به رجليها، ولهذا تُحرم في ثيابها، وتغطي في الإحرام رأسها، وإذا كان عندها رجال أجانب حجبت وجهها، فإذا جاوزوا كشفته، كما قالت عائشة - رضي الله عنها.

هذه بعض الفوارق بين الجنسين، وهي لا تؤثر في المنزلة الاجتماعية، ولا في المكانة الإسلامية، وما عدا تلك المسائل المعدودة، فالكل خلق الله، والكل عبيد الله، والكل مخاطب بتكاليف الشريعة، وموعود بالجنة؛ من أطاع فله الجنة، ومن عصى فله النار، والكل يرجو رحمة الله ويطمع في عفوه، والكل يرجو الولد، ويتشوق للحياة الزوجية السعيدة.

وما خرجت المرأة من بيت أهلها إلى بيت لم تألفه إلا لتجد فيه العزة والكرامة، وحسن الصحبة والمعاشرة، فيجب على كلٍّ من الزوجين معاشرةُ الآخر بالمعروف، والصحبة الجميلة، وكفُّ الأذى، وأداء الحق الذي عليه للآخر بلا مطل ولا معاندة. ينبغي إظهار السماحة والارتياح والبشر والطلاقة، ولا يُتْبع إحسانه منًّا ولا أذىً، والحقوق الزوجية واجبة في شرع الله، ولازمة بنظام الإسلام، قال تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] .

وقال جلت عظمته :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

فواجب على كل واحد من الزوجين أن يتقي الله في الآخر . قال ابن عباس : إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ** ﴾ فكل ما يُحب الرجلُ أن تعمله زوجه من أجله يَعْملُه هو من أجلها ، لكن بعض الأزواج ينسىٰ الذي عليه ، وخاصة إذا كان مرهقًا من عمله ، أو ثائرًا شعوره فيتحوَّل وحشًا يصُب شره على زوجه ، يشتم ويَسُب ، ويصيح ويَنقد ، ويستهزئ ويتهكم ، ويتوعد ويهدد ، وما ذنب زوجه المسكينة ، إن هذا العمل محرم في دين الله ، وسوء عشرة ممنوع بنص كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فاتقوا الله أيها المسلمون .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٩) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، من أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، من يطع الرسول فقد أطاع الله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن بعض الأزوج يأخذ من قوله تعالى : ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴾[1] ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾[2] أن له مطلق الإرادة يفعل ما يشاء ويتكلم بما يشاء ، وأن ما يَفْعلُه عدل ؛ فيؤذى المرأة بلسانه ويده ، ويذلُها ويهينها إذا لم تنقد لإرادته ، ويغمطها حقها ، وليس الأمر كذلك ، فله السمع والطاعة في المعروف ، وله درجة في الفضيلة والخلقة ، إذا كان كفئًا ، وله الرئاسة وسيادة البيت إذا قام بواجباته ، وله الوقار والاحترام إذا فعل أسبابه ، أما إذا كان عاصيًا لله يترك الصلاة ويعمل المحرمات ولا يعمل الطاعات ، بخيلًا شرسًا بذيًّا سليطًا عنجهيًّا لا يرى لبيته حقًّا ولا لزوجة حُرمة ، فليست له درجة ولا قوامة ، بل المرأة المعتدلة خير منه وأكرم .

فاتقوا الله عباد ؛ إن الله وملائكته يصلون على النبي .

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢٢٨) .

(٢) سورة النساء آية رقم (٣٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والأربعون

٨ / ١٠ / ١٤١٢

[المرأة مكلفة مثل الرجل]

الحمد لله رب العالمين . رفع مستوى المرأة وأكرمها وأعطاها حقها وافرًا .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلاالله ، وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الظلم والطغيان .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أمر بأداء الحقوق بلا من ولا عضل ولا هجران .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الإسلام كرَّم المرأة ، وأعزها ، وحفظ لهآ حقوقها ، وبين أن المرأة شقيقة الرجل لها مثل الذي عليها بالمعروف .

وكانت المرأة قبل الإسلام مهانة مبتذلة ، مركزها هابط عن مستوى الإنسان ، ليس لها حق الاختيار ولا الدفاع ، وإنما تورث كما يورث المتاع .

فلما جاء الإسلام أنقذ المرأة من تلك التصورات الهابطة إلى تصور الواقع والحقيقة . فالمرأة إنسان مخلوق لله مُتَعَبَّدةٌ مأمورةٌ منهيةٌ تؤمن بربها ، وتناجيه ، وتدعوه وتتضرع إليه مباشرة ، يَقْبل إيمانَها ، ويستجيب دعاءها ، ويسمع تضرعها ، فهى مخاطبة بالتكاليف كما خوطب الرجل وداخلة تحت خطاب الأمر والنهي كالرجل : ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ . ﴿ **يا بني آدم** ﴾ . ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ . ومع هذا لما جاء

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٨) .

نسوةٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقُلن : ما بال الرجال يذكرون في القرآن ولا تذكر النساء ؟ ، وقال بعضهن لنساء النبي - صلى الله عليه وسلم : ما بالكن تذكرن في القرآن ولم يذكر نساء المؤمنين سمع الله قولهن ، فأنزل الله - تعالى - قرآنا ذكر فيه النساء مع الرجال تطيبًا لخاطرهن ، ورفعًا لقدرهن ، فقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1] .

وهذه الصفات العشر لكل صفة دورٌ كبير في بناء الشخصية المسلمة ؛ لأنها تربط المسلم والمسلمةَ بخالقهما ، وتوقظ الحس والهمم ؛ لتلقى أوامر الله بالقبول واحتساب ما عند الله من الرحمة والرضوان ، والعفو والغفران ، ورفع الدرجات في الجنان ، والترفع عن وصَمَات الجاهلية والجحود والنكران .

وأما في تَقرير المصير ، فكما أن الإسلام أعطى الرجل حق اختيار الزوجة الصالحة الدينة ؛ تَرْعى بيته ، وتُنجب ذريته ، وتربي أولاده . كذلك أعطى المرأة حق اختيار الزوج الصالح ، الدين ، العاقل ، فهى صاحبة الشأن تعيش مع بعلها في بيت واحد ، وفي لحاف واحد ، فتختار بعلم وليها ومشورته ، فلابد من الولي ؛ لأن المرأة لا تعرف الرجال وسلوكهم ، وإنما يعرفَ الرجالَ أمثالُهم .

فقد ترغب المرأة في غير كفء ، وقد ترغب في قبيح الأخلاق والسلوك ، فالولي هو الذي يختار لها من يرى فيه الكفاءة والصلاح وحسنَ المعاشرة . فَرِضا المرأة ، ووجود الولي شرطان لصحة النكاح فلابد من اجتماعهما ، ولا يصلح أحدهما

---

(١) الأحزاب آية رقم (٣٥) .

دون الآخر، فإذا حصل خلاف بين المرأة ووليها، فَيَرْفَعَان أمرهما إلى القاضي الشرعي، وهو يتدخل بالأصلح.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن. قالوا: يا رسول الله: وكيف إذنُها؟ قال: أن تسكت؛ لأن الحياء يغلبها. وفي حديث ابن عباس عند مسلم: الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر يستأذنها، فالحديثان يُفَسر أحدهما الآخر.

وأما اشتراط الولي فلما روى الإمام أحمد، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجة، والدارمي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهم - عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «لا نكاح إلا بولي».

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرأة نَكَحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر؛ بما استحل من فرجها؛ فإن اشتجروا فالسلطان وليُّ من لا ولَّى له» فتنقل الولاية إلى الذي بعده.

إن الشريعة الإسلامية تعمل لِضَبط الأمور وإصلاح المجتمع، ولسد أبواب الفساد والمكر والخداع، فلو جُعل للمرأة الحق في تزويج نفسها بغير علم وليها لفتح باب الفساد فكل خَدِين يضْبط مع خدينته يدعي بأنه تزوجها، وتدعي هى بأنها زوجته نفسها؛ فاشتراط الولي في النكاح يسد أبواب الفساد والفوضى، ويحفظ للمرأة قيمتَها وكرامتَها.

وإذا امتنع الولي من التزويج، فلها أن تخبر القاضي وهو يتصرف بالأصلح.

أما ما يفعله بعض الناس، إذا خطب امرأة وامتنع أبوها أغراها وغرر بها، وخدعها وسافر بها إلى جهة ما، وتزوجها زواجًا سريًا بلا ولي ومن دون علم الأب. فهذه خيانة وجريمة لها خطرها على المرأة وعلى المجتمع، ومع هذا فلها أن تتقدم إلى القاضي، والقاضي أب حنون يعمل الأصلح ويدل على الخير.

والأَوْلَى بتزويج المرأة أبوها، ثم جدها، ثم ابنها وأبناؤه الأعلى فالأعلى، ثم

الأخ الشقيق، ثم الأخ لأب، ثم أولاد الإخوة ثم الأعمام، ثم أبناءُ الأعمام الأقرب فالأقرب كالميراث، ثم السُلطان، ووكيل الولي يقوم مقامه.

وللمرأة في الإسلام حق الملكية سواء بالكسب أو بالإرث، أو بالصداق، قال تعالى ﴿وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1] وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[4] فلا يحل للولي ولا للزوج أن يأخذ من صداق المرأة ولا من مالها شيئًا، إلا بطيب نفس منها: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾[1].

ولو أراد الزوج أن يستبدل امرأة مكان زوجه فلا يحل له أن يأخذ من صداقها شيئًا، ولا أن يُضايقها لتفتدي منه، فإن ذلك ظلم لها.

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾[5].

لكن إن كان سببُ الفرقة في المرأة أو هى طلبت الانفصال فعليها أن تفتدي ولزوجها أخذ الفداء قال تعالى:

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ

---

(١) سورة النساء آية رقم (٤).

(٢) سورة النساء آية رقم (٢٠).

(٣) سورة النساء آية رقم (١١).

(٤) سورة النساء آية رقم (٣٢).

(٥) سورة النساء آية رقم (٢٠-٢١).

وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[١] .

وروى البخاري - رحمه الله - عن عبد الله ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت يا رسول الله : ثابتُ ابنُ قيس ما أعيب عليه في خُلق ولا دين ، ولكن أكره الكفر في الإسلام . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أتردين عليه حديقته قالت : نعم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

وأما إن كان الطلاق قبل الدخول ، فللزوج نصفُ المهر المسمى ، إلا أن تعطيه المرأة كل الصداق أو هو يسامحها به كلّه ؛ قال تعالى :

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢] .

وتيسير الصداق وتقليل الكلفة خَيْر للزوجين وأكثر بركة . روى البيهقي في شعب الإيمان عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن أعْظم النكاح بركةً أيسره مؤنة »[٣] .

وروى الإمام أحمد وجماعة من المحدثين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لا تُغالوا في صدقات النساء ؛ فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا ، وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم - ما علمت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نكح شيئًا من نسائه ، ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من اثنتى عشرة أوقية ، وفي رواية أم سلمة عن عائشة - رضي الله عنهما - أنها خمسمائة درهم .

---

(١) سورة البقرة الآية رقم (٢٢٩) .

(٢) سورة البقرة الآية رقم (٢٣٧) .

(٣) أبو داود كتاب النكاح (٣١) ، أحمد [٨٢/٦] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان .

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن ... إلخ

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، بين حق كل زوج على الآخر وحث على النصح في الأداء .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، ربط الأعمال بالنيات .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله سيد الناس وخيرهم لأهله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الحياة الزوجية لا تستقيم إلا بالتوازن في أداء الحقوق ، ولا تدوم العشرة إلا بالاعتدال في القيام بالواجبات ، وبالصبر والتحمل والتسامح ، قال تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[1] .

وروى مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقًا رضى منها آخر » ، والحياة الزوجية مرتبطة بالله كسائر الطاعات[2] .

فيجب على كل واحد من الزوجين ، أداء الحقوق التي عليه للآخر بصدق وإخلاص ، واحتساب الأجر على الله .

كما يجب تركُ ما يسيء إلى الآخر خوفًا من عقاب الله .

فاتقوا اللّه أيها المسلمون ؛ والعاقل ينصف من نفسه ، ويحاسب نفسه ، وينظر في عواقب أعماله وتصرفاته .

---

(١) سورة النساء الآية رقم (١٩) .

(٢) مسلم رضاع (٦٣) ، أحمد [٣٢٩/٢] .

ثم اعلموا رحمني الله وإياكم أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يا أيهاالذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والأربعون

٢٦ / ٢ / ١٤٠١

[البيت معمل الإنتاج]

الحمد لله رب العالمين . اللهم ، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، خلق فسوى ، وقدر فهدى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين - صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن سعادة الفرد والجماعة ، وراحة الحكومات والشعوب ، لا تتحقق ، ولا تستقيم إلا إذا بُنيت على أصلين : إحدهما - الإيمان ، وهو صلة الإنسان بخالقه ، والثاني - الأخوة في الله ، وهى صلة المخلوق بالمخلوق ، فالإيمان : نور يهتدى به الإنسان في مسيرته فَتَكون تصرفاتُه مُعْتَدلة وأعمالُه موفقةً ، وأقواله مسددةٌ ، والأخوة في الله قوة تربط بين القلوب ، وتجمع بين الأبدان ،فيحصل التعاطف والتكاتف .

فإذا اجتمع الإيمان والأخوة تكونت أمة متماسكة متعاطفةٌ ، قوية صلبة قادرةٌ على تحمل مسئولياتها ، والمحافظة على حقوقها وكراماتها ، قادرة على تطهير مجتمعها ، ونشر العدل بين الناس .

فالإيمان والأخوة في الله متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ومعلوم أن الإيمان : قول واعتقاد وعمل ، وأن الأخوة مودة ورحمة ، وتكافؤ وإيثار . « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[١] .

المسلم أخو المسلم ؛ لا يظلمه ، ولا يسلمه ولا يخذله[٢] .

---

(١) خ : الفتح [١/٥٣] ، وم حديث رقم (٤٥) الإيمان كلاهما من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه .

(٢) مسلم البر والصلة برقم (٢٥٨٠) ، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشّد بعضه بعضًا.[١]

مثلُ المؤمنين في توادهم وتعاطُفهم وتراحمهم كمثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٢].

وبهذا كون النبي - صلى الله عليه وسلم - أمة قوية، صلبة متعاطفة متناصحة، فلم يستطع أحد أن يتخلل صفوفها، ولا أن يثنى قناتها، ولم يستطع أحد أن يقف أمامها، وبقيت كذلك قرونًا من الزمن.

فلما فُتحت الدنيا على المسلمين تنافسوا فيها، وجد الأعداء فجوة دخلوا منها، وكانوا يتحينون الفرص، ويتربصون الدوائر بالمسلمين، فعمدوا إلى القاعدتين؛ لتعطيل الإيمان والأخوة، لتحطيمهما فألبسوا أناسًا ثياب الإسلام فأخذوا يصنعون الخلافات العقائدية، ويلقون الشبه، والتشكيك، وبلبلة الأفكار، وفتحوا بابًا وصرفوهم عن الله إلى خلق الله ودسوا للناس التمسح بالحيطان والشبابيك، والغلوُ في الصالحين، والعكوفُ عند قبور الأولياء وإثارة الخلافات، والنعرات القبائلية، والإقليمية بين المسلمين مع السعي بالوشاية والأكاذيب، حتى تصدعَت الإخوة في الله، وتفرقت أجزاؤها، واختلت العقيدة الإسلامية وصفاء الإيمان، وما زال أعداؤنا كذلك، ولن يزالوا يبذلون جهدهم بالعمل المستمر الجاد، والتعاون مع جميع القوى المعادية للإسلام، بطول النفس، والتخطيط يأخذه الأخير منهم عن الأول.

ولله تعالى له في قَدَره ومشيئته حكم وأسرار ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾[٣].

وقد أدرك المسلمون واقعهم، وأحسوا بما يحيط بهم، وعرفوا ما يراد بهم، وكأنهم استيقظوا من رقدة أهل الكهف، فإذا المعالم قد تغيرت، والطرقات قد

---

(١) م: برقم (٢٥٨٦) عام وخاص (٦٦) من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه.

(٢) خ [٣٦٧/١٠]، الأدب ومسلم برقم (٢٥٨٦) البر والصلة من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) سورة الشورى آية رقم (٣٠).

خُرِّبَت ، والعوائق قد وضعت ، والقوة نهكت ، وقدرة الله تحول من حال إلى حال ، فالانتباهة يبشر بالخير .

طريق الله واضح ، نَير مستقيم ، لا تخفيه الحواجز ، وإنما الأمر يحتاج إلى ضوء ينير طريق العودة إلى الله ، وإلى دليل ماهر يسلك أقرب الطرق .

يقتدي بنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في دعوته وصبره وجهاده ، ولا يهتم بالدنيا وما فيها . فالإيمان : هو النور الذي يجب أن تهْتدي الأمة بنوره والإسلام هو الدليل الذي لا يضل تابعه ولا يشقى وواجب على علماء المسلمين وطلاب العلم أن يبينوا للناس حقيقة الإسلام .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1] .

والداعي : هم علماء الإسلام ، وأبناء الإسلام قوة ، فالأمر يحتاج إلى عزيمة وجلد ، وعمل مستمر ، وتخطيط ، وتعاون وتأسيس الأمور من القواعد الثابتة ، ويحتاج إلى تنظيم المناهج الدراسية في جميع البلدان الإسلامية ، على نظام الإسلام وإبعاد النظم الوضعية عنها ؛ من أجل تكوين جيل مؤمن مسلم يتحمل مسئولياته ، فاهم ما له وما عليه ، والبيت هو معمل الإنتاج ، فتطهير المعامل من الفساد يُصلح الإنتاج ، والمدرسة هي معمل التصنيع فأصلحوها فتصلح الصناعة ، والإعلام هو واسطة التبليغ والتوجيه فيجب أن يكون أعلامنا إسلاميًا حقيقيًا .

إن الشعوب غير المسلمة قد سئمت حالها ، فعملت على نشر الأمن ، وحفظ الحقوق ، والعالم في شوق إلى نظام تتوفر فيه أُمنيَّاتُهم ليقيم الأمن ويحفظ الكرامات وليس ذلك إلا في نظام الإسلام . والمسئولية تقع على المسلمين ، فيجب تبليغ الإسلام بالعمل والقول إلى تلك الشعوب .

---

(١) طه : (١٢٣) .

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1] .

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[2] .

والمسلمون في أشد الوله إلى العودة إلى نظام الإسلام وتطبيقه في الحقل الخاص والعام ، على الفرد والمجموعة ، على الدولة والرعية ، والمسئولية تقع على قيادة الأمة المسلمة الزعماء والرؤساء .

فقد جعل الله ولاية عبادة في أيديهم ، لينظر كيف يعملون ، فحرام على القادة المسلمين أن يعزلوا شعوبهم عن نظام الإسلام ، حرام على زعماء المسلمين أن يتركوا نظام إسلامهم السماوي ، ويأخذوا بنظام البشر ، حرام على المسلم أن يكون غريبًا بعيدًا عن تعاليم دينه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اتقوا الله أيها الناس .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[3] .

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[4] .

إن المسلمين في كل مكان يشكرون الحكومة المسلمة التي قفزت قفزة إسلامية حية شجاعة ، وحطمت جميع العوائق حتى وصلت إلى صراط الله المستقيم ، وحكمت بما أنزل الله وأقامته الحدود .

---

(١) آل عمران آية رقم (١٨٧) .

(٢) سورة يوسف آية رقم (١٠٨) .

(٣) سورة هود آية رقم (١٠٢) .

(٤) سورة الإسراء آية رقم (١٦) .

فنسأل الله أن يثبتها على الحق ، وأن يديم توفيقها ، وأن يفتح الطريق أمامها ، وأن يهدي قادة المسلمين جميعًا إلى تحكيم كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

اللهم ؛ بارك في القرآن العظيم .... إلخ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله ولا يحمد أحد سواه .

وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن الأمة الإسلامية مستبشرة مُتَفائلة بمؤتمر القمة الإسلامي الذي سيُعقد قريبًا إن شاء الله تعالى عِنْد البيت الحرام ، عند أول بيت وضع للناس ، عند القبلة التي يؤُمها المسلمون ، وتهوى إليها أرواحهم ، وتحن إليها أبدانهم .

الفرحة تغمر القلوب ، والسرور ينير الوجوه بهذاْ المؤتمر فهو في ذاته انتصار ، بتألف القلوب ، وتوحيد الرأى ، والاحساس بالمسئولية ، والقائمون عليه يعرفون واقع المسلمين ومشكلاتهم ، ويعرفون طرق السلامة ، وشواطئ النجاة ، والوافدون إليه يعرفون أنهم يمثلون أممًا مسلمة ، وشعوبًا مؤمنة ، لها شوق إلى نظامها ، والسير على منهاج ربها قد سئمت شتات أمرها ، وتفرق أجزائها .

فنرجوا الله أن يجعله مؤتمر خير وعز للإسلام والمسلمين ، وأن يحققق للأمة الإسلامية آمالها .

ونسأل الله تعالى أن يكلله بالوفاق والنجاح ، وأن يجزي قادة المسلمين المخلصين عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وأن يخزي الظالم المعاند المفسد ، وأن يسلط عليه أضعف جنده الذي لا يهزم ولا يرد ، مثل البعوضة التي أرسلها على النمرود ، فكان الناس يضربون رأسه بمطرقة والبعوضة تمخرُ في دماغه .

عباد الله ؛ **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾**[1] ..... إلخ الدعاء .

(١) سورة الإحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والأربعون

١٤٠٣/٢/٢٥

[حقوق الوالدين]

الحمد لله رب العالمين[١] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢].

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وهو الغني الحميد.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم[٣].

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه صلاةً وسلامًا دائمين إلى يوم الجمع والتغابن.

أما بعد؛ فأذكرك أيها الإنسان؛ أذكرك أيها المسلم أمرًا عظيمًا قد تغفلُ عنه أو تلهوْ عنه، وهو عظيم عند الله، وعظيم في شرع الله، وعظيم عند خلق الله، عظيم في الدنيا والآخرة، فاسمح لي أولا أن ألقي عليك سؤالًا ستعجب منه لبساطته، ولكون جوابه بديهيًّا لكني أريد الجواب منك في نفسك مَنْ أنت؟ ومن أين خلقت؟ الجواب: فلان، خلقني الله من أبي وأمي. فأنت تعرف بأن الله أوجدك من العدم، ووالداك هما السبب في وجودك، وأن الله هو الذي رباك ورزقك، ووالداك هما السبب في هذه التربية وهذا الرزق.

إذًا أذكرك بأنك بقيت في ظلمات ثلاث[٤].

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (١).

(٢) سورة هود آية رقم (٦).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة التوبة آية رقم (١٢٨).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سروة الزمر آية رقم (٦).

تسعة أشهر غالبًا بطن أمك بين قلبها وكبدها وأحشائها، فما ظَنك بما تلاقي أمك في مدة الحمل من الآلام والأمراض والمتاعب، لا يعلمها إلا عالم الغيب والشهادة - فالولاده التي تُحس بها وَهْنًا على وهن[١] وكرها على كره فإذا آن وقت خروجك، وحضرتْ آلام الوضع، فإنه الموت الأحمر المشاهد، ولولا لطف الله ورحمته وعنايته ما حييت أنت ولا أمك، وأبوك يشارك أمَّك في آلامها، ويتألم لما يرى بها، يا رب سلم، سلم.

وهل تقف المتاعب عند هذا الحد؟، لا بل تتوسع وتتنوع، صِيَاح في الليل يُحرَم أبواك لذة المنام، وصَراخ في النهار تُنغِّص عليهما العيش، أضف إلى ذلك خدمتك ونظافتك، أما إن ألَّم، بك مرض؛ فالخوف والقلق يعصر قلوبهما، والرحمة والشفقة تجُري الدموعَ من عينيهما.

وهل يكفي لذلك أيام أو شهور أو عام؟ بل أعوام عديدة بلياليها ونهارها، وأبَوَاك في تعب بدني ونفسي ونفقات ورعاية وقلق عليك.

إنِ حقوق الوالدين واجبة على الأولاد، واجبة بالعقل وواجبة بالشرع، وواجبة في المجتمع الطاهر النقي. إن بر الوالدين فريضة في ديننا وفي الشرائع قبله.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٢].

والإسلام أمر ببر الوالدين والإحسان إليهما، وهو دين الرحمة، ودين الجزاء والإحسان، وهو نظام العدل والتعاون ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[٣].

ولذلك نجد القرآن العظيم يُوْلي بر الوالدين اهتمامًا بالغًا كما في سورة البقرة[٤]، وفي سورة النساء[٥]، وفي سورة الأنعام[٦]، وفي سورة الإسراء[٧]، وفي

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة لقمان آية رقم (١٤).
(٢) سورة البقرة آية رقم (٨٣).
(٣) سورة الرحمن آية رقم (٦٠).
(٤) سورة البقرة آية رقم (٨٣).
(٥) سورة النساء آية رقم (٣٦).
(٦) سورة الأنعام آية رقم (١٥١).
(٧) سورة الإسراء آية (٢٣).

سورة مريم[١] ، وفي سورة العنكبوت[٢] ، وفي سورة لقمان[٣] ، وفي سورة الأحقاف[٤] .

وقد بينت سورة الإسراء قواعد بر الوالدين وأسسه ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[٥] .

أما سنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد أوضحت فوائد البر وحُكمه في الشريعة ، وبينت مضار العقوق ، في دين الله[٦] .

الإحسان إلى الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله[٧] ، ومن الحج والعمرة .[٨] الوالدان هما جنة الولد أو ناره ، هما بابان إلى الجنة ، أو بابان إلى النار . الجنة تحت أرجل الوالدين[٩] رضاهما من رضا الله وسُخْطهما من سُخطه[١٠] البار بوالديه الدين قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس يوسع له في رزقه وينسأله في أجله[١١] ويشرح

---

(١) سورة مريم آية رقم (١٤) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٨) .

(٣) سورة لقمان آية رقم (١٤) .

(٤) سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

(٥) سورة الإسراء آية رقم (٢٣،٢٤) .

(٦) إشارة إلى حديث أنس - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧٧) وفيه هذا المعنى وإنه من الكبائر .

(٧) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - خ برقم (٣٠٠٤) الجهاد باب (١٣٨) ، وم : في الصحيح البر والصلة من هذا الوجه واللفظ حديث رقم خاص (٥) .

(٨) وردت الروايات الكثيرة في هذا المعنى ، ذكرها الحافظ في الفتح [٦/١٤٠-١٤٢] .

(٩) جه برقم (٣٦٦٢) ، وبرقم (٣٦٦٣) بمعناه الأول من حديث أبي أمامة والثاني من حديث أبي الدرداء ، وإسنادهما حسن لغيره .

(١٠) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - ابن حبان في صحيحه كما في الموارد برقم (٢٠٢٦) وإسناده صحيح .

(١١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه خ في الأدب ص [١٠٣٤٨] الفتح ، ومسلم في البر برقم (٢٥٥٧) .

له صدره ، وتيسر له أموره ، ويُصلح له ذريته ، وتكون خاتمته حسنة ، والعاق بوالديه ضد ذلك كله ، وكما أن البر قُرن بالتوحيد[١] ، فالعقوق مقرونٌ بالشرك[٢] فاقبح بالعقوق من خلق !! وأعظم به من إثم !! لا يصدر إلا من نفس خبيثة ، لئيمة ، لا دين لها ، ولا خلق ولا مروءة ولا حياء لا يصدر العقوق إلا ممن يجحد المعروف .

بهذا أذكرك أيها الإنسان ؛ وأذكرك أيها المسلم ؛ تذكر الدَّوْر الذي قام به أبواك جعلًا سببًا في وجودك فلولاهما ما خُلقت ولولاهما ما خرجت إلى هذا الوجود .

فاتقوا الله ، اعرفوا للبر حقه ، واعرفوا لأمهاتكم وآبائكم حقوقهم ، وأدّوها موفورة غير منقوصة .

اللهم ؛ إنا نسألك بر الوالدين ، والإحسان إليهما ، كما أحسنا إلينا ، واغفر لآبائنا وأمهاتنا وجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٢٣) .

(٢) إشارة إلى أيتي لقمان : (١٣،١٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الرخاء، والأمان.

وأشهد ألّا إله إلا الله، وحده لا شريك له، صاحب الفضل والإحسان.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد..فقد جاء رجل إلى أبي الدَّرْداء، رضي الله عنه؛ فقال: إن أبي لم يزل بي حتى زوجني، وإنه الآن يأمرني بطلاقها فقال له: ما أنا بالذي آمرك أن تعُق، ولا بالذي آمرك أن تطلق امرأتك، غير أنني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الوالد أوسط أبوابِ الجنة، فحافظ على ذلك إن شئت أودع»[(١)].

وكان تحت عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - امرأةٌ يُحبها، ويكرهها أبوه، فأمره فامتنع فذكر عمر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - «فأمره بطلاقها»[(٢)].

وجاء رجل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم -: يستعدي على والده أيْ يشتكيه: فقال: إن أبي أخذ مالي، فقال له عليه الصلاة والسلام «أما علمت أنك ومالك من كسب أبيك»[(٣)]، وفي لفظ لابن ماجة «أنت ومالك لأبيك»[(٤)].

(١) جه برقم (٢٠٨٩) كتاب الطلاق باب (٢٠) باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته، وإسناده حسن لغيره وهو من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) جه برقم (٢٠٨٨)، من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - وإسناده جيد، وأخرجه الترمذي أيضًا في الجامع: ص [٤٩٤/٣] من هذا الوجه واللفظ، وقال: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في المسند [٢١٤/٢] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنهما - وإسناده حسن.

(٤) جه: التجارات باب (٦٤)، باب ما للرجل من مال ولده حديث رقم (٢٢٩١). =

وكان رجل يحمل أمه على كتفيه يطوف بها الكعبة المشرفة، فمر بأحد العلماء، فقال: هل قمتُ بحقِ أمي؟ فقال له: أنت تحملها، وتتمنى أن تموت، وهي كانت تحملك، وتتمنى أن تعيش.

ومر أحد التابعين برجل يحمل أمه على ظهره يطوف بها فقال له: أتُراني كافأتها، قال: لا، ولا بطلق واحد من طَلْقِ الولادة.

اتقوا الله أيها الناس؛ كلكم أولادٌ لآمهاتكم وآبائكم، بعض الناس إذا أغضبه أحد والديه يخرج عن شعوره وينسىٰ واجباته.

ومعلوم أن التضجر لا يكون في حالة إحسان، وإنما يكون في حالة إساءة من أحد الوالدين.

وقد نهيت عن التضجر، وعن تَقْطيب الحاجب، وعن التأفف أذا أغضبك أحد والديك. وأمرت بالصبر، والتحمل، والقول الطيب اللين، والخضوع. مع الدعاء بالرحمة والرضوان.

إن الله وملائكته يصلون على النبي[1].

= وهو من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - وقال المعلق: وفي الزوائد. إسناده صحيح، ورجاله ثقات على شرط البخاري.

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والأربعون

٢٣ / ٢ / ١٤٠٥

[البيت مدرسة]

الحمد لله رب العالمين . ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته ، واحد في ربوبيته ، واحد في أسمائه وصفاته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صاحب الخُلق العظيم ، والرسولُ الأمين . اللهم ؛ صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الله تباركَ وتعالى خلق الإنسان لرسالة عظيمة ، وخلق منه زوجه لمهمة كبيرة ؛ ذلك لتكوين الأسرة البشرية التي تكون مؤمنة بربها ، مؤمنة برسولها ، صلى الله عليه وسلم ، تعبد الله وتربط شئونها كلها مباشرة بالله ؛ ولذلك اعتنى الإسلام بشأن الأسرة الإنسانية ، وأحاطها بكل رعاية وبكل الضمانات ، لإصلاح شئونها مع هذه الحياة وفيما بعدها ؛ ليرفع الإنسان من مشابهة الطبائع البهيمية إلى مستوى الكرامة والقداسة الإنسانية التي فُضل بها الإنسان على سائر المخلوقات .

ليكون الإنسان إنسانًا حقًّا كما أراد له خالقه تبارك وتعالى ؛ ليكون طاهر الروح ، طيب النفس ، سليم التصور والشعور ، نقيَّ العقيدة ، منقادًا لأوامر الله ، مستعدًا للقاء ربه ، يقيم العدل ، وينشر الأمن .

جرت قدرة الله تعالى أن تكون الحياة الإنسانية تنشأ من الأسرة مبتدأة بالزوجين ، ثم الأولاد ، ثم المجتمع المتعاطف المتعاون المتكافئ .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

والله تعالى قادر على أن يخلق الملايين من البشر دفعة واحدة، وقادر على أن يهدي الناس جميعًا، ولكن هناك حكم، ومصالح وإرادة الهيه اقتضت أن ينشأ الإنسان من فرد، ثم من اثنين، ثم الذرية. والله تبارك وتعالى أعطى الإنسان العقل، والإدراك، وحرية الاختيار، ومطلق التصرف في هذه الحياة، وبين له طرق الخير والسعادة، وأمره باتباعها، وحذره من مسالك الفساد والهلاك، وبين له مآل كل مسلك ونتائج كل عمل ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[1] فمن أجل استعمال المواهب الإنسانية كلفت الأسرة بتنظيم شئونها وتربية أولادها، وكلف المجتمع بإصلاح أفراده. فالأسرة المسلمة هي التي تُربي الشخصية، وتغرس فيها الفضائل وتُقَوِّم أخلاقها، وتصحح تصوراتها، وتنمي الفطرة التي فُطر عليها المولود.

فمسئولية الأب والأم في الأسرة كبيرة وشاقة، ومسئولية لا يستهان بها.

ولذلك نظم الإسلام واجبات الأسرة بحسب القدرة والطاقات، وبحسب ما تقتضيه المصلحة. فالأب عليه واجبات والأم عليها واجبات، والأولاد الأكبر فالأكبر عليهم واجبات، فلا يجوز لأحد منهم أن يتساهل في واجباته، ولا أن يهملها. كلكم راعٍ وكلٌّ مسئولٌ عن رعيته؛ فلابد من النهوض بالواجب سواء كان مختصًّا أو مشتركًا، ولابد من ربطها بنظام الإسلام، ولابد من ربط الأسرة بخالقها الذي خلقها ورزقها وحفظها وإليه معادها.

فالواجب على الأب والأم وكبار الأولاد والعقلاء أن يُتابعو حركات النشء في البيت، وفي المدرسة، وفي السوق، يمرنونهم على الكلام الطيب، والسلوك الحسن، والتعاطف والتراحم، والتأخي والتعاون، وطاعة ولاة الأمر، وتمرينهم على شرائع الدين ومتطلبات الحياة، لابد من معرفة الجلساء، والأتجاهات لتدارك الأخطاء في أول أمرها، قبل استفحالها.

«مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[2].

---

(١) سورة التكوير آية (٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده [١٨٧/٢]، وأبو داود في السنن برقم (٤٩٥،٤٩٦)، والدارقطني [٨٥/١]، والحاكم [١٩٧/١]، وإسناده حسن.

وليس في التَّعرف على سلوك الأولاد عدم ثقة بهم، وليس فيها اتهام، وإنما هو واجب الرعاية، واجب التربية، بل واجب الشفقة والرحمة، وواجب الإنسانية الطاهرة للإبقاء على طهارتها ونظافتها. إنما هو واجب إسلامي وتربية إسلامية، وحماية للنشء من الوقوع فيما لا يعرفون عواقبه ونتائجه.

كيف يليق بالمرأة المسلمة أم كيف يرضى وليها والمسئولون في بيتها أن تخرج كاشفة وجهها أمام الرجال الأجانب تؤذي أهل العفة ويستشرف إليها من في قلبه مرض ؟!

إن الوجه هو مصدر المحاسن وهو مصدر الفتنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾[1].

﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ﴾[2] اقرءوا الآية.

أم كيف يسوغ للمسلم أن يترك ابنه أو ابنته يقضي معظم الليل خارج البيت دون أن يعرف أين هو، وكيف يعمل، ومن هم الجلساء.

حرام على المسلم أن يسترسل مع شهواته في معصية الله، وحرام عليه أن ينقاد لنفسه الأمارة بالسوء فيترك ما أوجب الله عليه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).

(٢) سورة النور آية رقم (٣١).

(٣) سورة الحشر آية (١٨،١٩).

ولا تنس مسئوليات المسلم في سوقه، وجيرانه، ومحل عمله، ومكان تجارته. ولا مسئوليات المدرسة ومعلميها، ولا مسئوليات السلطة الرسمية. «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

لابد أن تكون التربية على نظام الإسلام بالترغيب والترهيب، والثواب والعقاب، ولا نلتفت إلى ما تقوله الفلسفات البشرية عن علم النفس، فالله تعالى أعرف بنفوس خلقه، وأعلم بطبائعهم، وأعرف بما يصلحهم، فلا يجوز للمسلم أن يترك النظام السماوي الذي أنزله الله وأتم به علينا نعمته، إلى فلسفات بشرية صادرة من نفوس، إما كافرة أو فاسقة، أو مقلدًا لأولئك تقليدًا أعمى، فاتقوا الله أيها المسلمون.

اللهم؛ اهدنا صراطك المستقيم، واهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصلح نياتنا وذرياتنا، وألِّف بين قُلوبنا، واجمع شملنا، ووحد صفوفنا. اللهم؛ ألهمنا رشدنا، وقنا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا. اللهم؛ إنا نستغفرك يا غافر الذنب ويا قابل التوب. فاغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩) في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأبو داود برقم (١١٤٠) في الصلاة، وأخرجه أحمد في المسند [٣/١٠-٢٠-٩٢] كلهم من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله لا نحصي ثناء على الله ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الواجب على الإنسان أن يعمل بأسباب السعادة ، وأن يتمسك بعروة النجاة لإصلاح نفسه ، وإصلاح أسرته ؛ فإذا بذل جهده . فباقي الأمور على الله ، ولا يضره من خالف بعد ذلك .

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾(١) .

وإنما المرء مؤاخذ ومسئول عن الإهمال والتقصير . وأعظم وسيلة إلى النجاة هى التوبة إلى الله تعالى توبةً نصوحًا . فإنها تكفر الذنوب وتجُبُّ ما قبلها ، وتجعل المسلم الناصح في توبته قريبًا من الله يتلقى الكرامة يوم العرض الأكبر على الله ، ويجعل الله له نورًا يهتدي به يوم تطفأ الأنوار في ذلك المجمع العظيم ، ويسعى به إلى جنات النعيم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) .

(١) سورة القصص آية رقم (٥٦) .

(٢) سورة التحريم آية رقم (٨) .

التوبة النصوح تبدأ بالندم على فعل المعصية ، والإقلاع عنها ، والعزم على ألَّا يعود إليها أبدًا ، ويعمل الصالح الذي يغسل آثارها عن القلب والنفس والبدن ، فيكون طاهرًا نقيًّا ، يستحق أن يكون قريبًا من الله في ذلك اليوم الذي لا يقبل فيه اعتذار الكافرين .

ومن وسائل النجاة أن يختار المسلم لبِنَاء أسرته زوجةً ، صالحة ، مسلمة فإنها تؤثر في الأسرة تأثيرًا بالغًا بإسلامها وصلاحها ، أو بكفرها وفسادها . إن البيت المسلم قلعة إسلامية ، والمرأة حارسة في هذه القلعة فيجب على من أراد أن ينشىء بيتًا إسلاميًّا أن يختار حارسًا مسلمًا أمينًا .

ولا ينبغي أن يغتر بالمظاهر البراقة ، والمنظر الخلاب ، ولا ينبغي أن يميل إلى خضراء الدمن التي تفسد ما أصلح ، وتهدم ما بنى . وإنما عليه أن يختار ذات الدين التي تعينه على البناء ، وتحرس القلعة إذا غاب قائدها . ولا ننسىما للمربية والخادمة من تأثير على الأسرة ، وتأثير على الأطفال . فيجب على المسلم إذا احتاج إلى خادم أو خادمة أن يختار المسلم ؛ فإنه مهما كان فإنه أقرب للتقوى وأقرب للانقياد ، وعلى الأقل يؤمن بالله ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ويعبد الله وحده .

أما الكافر الذي ينكر وجود الله ، أو ينكر رسالة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، فكيف ترضى نفس المسلم أن يدخله بيته ، أم كيف ينام المسلم ، وفي بيته عدو لله ولرسوله ؟! .

كيف تجتمع عبادة الله ، وعبادة الصنم في بيت مسلم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، نستغفر الله ونتوب إليه . كيف يعبد الشيطان في جزيرة العرب بعد أن أيس أن يعبد فيها نستغفر الله ونتوب إليه .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .... إلخ الدعاء .

اللهم ؛ اسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والأربعون

٥ / ٥ / ١٤٠٣

[اختيار الأسماء الحسنة]

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم[١] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوز والنجاة يوم نلقاه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله . إن الأسماء قوالب للمعاني تدل عليها فلابد أن يكون بينهما ارتباط وتناسب . بل للإسماء تأثير غالبًا في المسميات ، وللمسميات تأثر بأسمائها في الحُسْن والقُبح ، والخِفَّة والثقل ، واللطافة والكثافة . فكان - صلى الله عليه وسلم - يَسْتَحبُ الاسمَ الحسن الذي يبعث على الفأل[٢] ، ويكره الاسم الخبيث الذي قد يسبب لأحدٍ تَشَاؤُمًا أو طيرة ، أو يكون منها إثم ، كل ذلك رحمة بأمته صلى الله عليه وسلم ، وشفقة عليهم .

فمن رحمته بهم منع عنهم الأسباب التي توجب لهم سماع المكروه ، أو تكون سببًا في وقوع مكروه ؛ فإذا سمع اسمًا قبيحًا غيره إلى حَسَن .

فمن ذلك ما رواه مسلم - رحمه الله - عن ابن عُمر أن بنتًا يقال لها : عاصية . سماها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جميلة[٣] .

(١) سورة الفاتحة : آية (٢-٣) .

(٢) إشارة إلى معنى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٧٥٥) كتاب الطب ، ومسلم نحوه كتاب السلام حديث رقم خاص (١١٠) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) مسلم في الصحيح ، كتاب الآداب ، حديث رقم خاص (١٤) وعام (٢١٣٩) من =

وروى أبو داود ، عن بشير بن ميمون ، عن عمه أُسامةَ بن أخدريّ : أن رجلًا يقال له أصرم . كان في النفر الذين أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ما اسمك ؟ قال : (أصرم) قال : « أنت زُرْعة »[١] .

وروى البُخاري - رحمه الله - عن عبد الحُميد بن جُبير بن شُعْبة ، قال : جلست إلى سعيد بن المسيب ، فحدثني أن جده (حَزْنًا) قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « ما اسمك ؟ » قال : اسمي (حَزْنٌ) قال : « بل أنت (سَهْل) » قال : ما أنا بمغير اسمًا سمانيه أبي . قال ابن المسيب : فما زالت فينا الحزونة بعد[٢] .

وكان إذا سمع اسمًا أو كنية لا تصلح للمسمَّى ؛ إما لكونها تسامي اسمًا من أسماء الله أو صفاته . أو تدل على الكمال[٣] .

كما روى أبو داود والنسائي بسند جيد عن شريح بن هانئ عن أبيه ؛ أنه لما وفد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع قومه سمعهم يُكنونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : « إن الله هو الحكم وإليه الحكم فَلِمَ تُكنى أبا الحكم » قال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين بحكمي فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أحسنَ هذا فمالك من الولد : قال : شريح ، ومسلم ، وعبد الله . قال : « فمَن أكبرُهم ؟ قال : قلت : شريح . قال : « فأنت أبو شريح »[٤] .

= حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه أحمد في المسند [١٨/٢] من هذا الوجه واللفظ . وأخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٩٥٢) كتاب الأدب من هذا الوجه واللفظ .

(١) أبو داود في السنن كتاب الأدب حديث رقم (٤٩٥٤) من حديث أسامة بن أخدري رضي الله عنه . إسناده جيد .

(٢) خ برقم (٦١٩٣) كتاب الأدب من جامعه الصحيح ، وهو من حديث سعيد بن المسيب عن جده ثم ذكر الحديث، وأخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٩٥٦) من غير هذا الوجه عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده [٢٨٩/٤] بهذا اللفظ .

(٣) ذكر ذلك الإمام أبو داود تعليقًا من ذكر الإسناد حديث رقم (٤٩٥٦) ، ثم قال : تركت أسانيدها للاختصار [٢٨٩/٤] .

(٤) د : برقم (٤٩٥٥) كتاب الأدب من حديث شريح بن هانئ عن أبيه رضي الله عنه =

وكما غيرَّ - صلى الله عليه وسلم - كُنْية أبي الحكم بن هشام فكناه بأبي جهل[١] ؛ لأنها هي التي تليق به ؛ لفرط جهله ومعاداته لرسول الهدى ونبي الرحمة ، ووقوفه ضد دعوة الإسلام .

وكنى الخالق تبارك وتعالى عبد العزى (بأبي لهب) ؛ لأنه سيصلى نارًا ذات لهب ، فهذه الكنية أَلْيقُ به[٢] .

ولما كان الاسم مقتضيًا لمسماه ومؤثرًا فيه كان أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى ما اقتضى أحبَّ الأوصاف إليه كعبد الله وعبد الرحمن[٣] .

روى مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبدُ الرحمن »[٤] وكذلك أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد وأحمد ، ومن أفضل الأسماء أسماء الأنبياء ؛ لأن الاسم يُذكر بمسماه ، ويقتضى التعلق بمعناه ، وفيه حفظه أسماء عباد الله الصالحين ، وحفظُ أوصافِهم وأحوالهم ، وإذا نظرنا إلى استعمال الأسماء وجدناها تدور على أحكام أربعة ، فمنها ما هو مستحب ، ومنها ما هو محرم . ومنها مكروه ، ومنها ما هو مباح :

فأما المستحب فأفضله ، عبد وحمد مثلُ عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، وأحمد ، وأسماء الأنبياء[٥] .

= وإسناده جيد .

(١) لم أقف على نص ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كنَّاه بهذه الكنية ، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل [٧٣/٢] أن المسلمين قد كنوه بهذه الكنية إذ قال ابن الأثير : وكنيته أبو الحكم ، وأما أبو جهل فالمسلمون كنوه بها والله أعلم .

(٢) إشارة إلى سورة المسد آية رقم (١) .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - مسلم في الصحيح ، الأدب ، حديث رقم خاص (٢) ، وعام (٢١٣٢) ، والبخاري معلقًا في الأدب عاقدًا به الباب رقم (١٠٥) ثم قال الحافظ في الفتح [٥٧٠/١٠] ، أخرجه مسلم متصلًا موصولًا ثم ذكره .

(٤) إشارة إلى هذا الحديث بالذات مسلم في الصحيح ، الأدب ، خاص (٢) ، وعام (٢١٣٢) وأحمد في المسند ص [٢٤/٢] ، [١٢٨/٢] من هذا الوجه واللفظ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) إشارة إلى ما عقد به البخاري الباب في كتابه الجامع الصحيح ، كتاب الأدب =

ثم ما دلَّ على معنى حَسَن.

وأما المحرم فهو ما يوازي أسماء الله تعالى وصفاته، مثل: ملك الملوك، وشاه شاه، ومحيي، وخالق.

ونسبة العبودية لغير الله، مثلُ: عبد الرسول، وعبد النبي، وعبد عمر، وعبد علي، وعبد الحسن، وعبد الحسين، وعبد الكعبة، وعبد الحارث، وما أشبه هذا؛ هذه أسماء محرمة، ومثل: هذا غلام رسُول، وغلام علي، وغلام الحسن، ومن المحرم الصِّفات الخاصة بنبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، مثل سيد ولد آدم، وسيد الناس، وكذلك نَبِي ورسول، فلا يجوز أن يسمى بها أحد إلا رسل الله وأنبياؤه؛ لأن الاسم يدل على معناه في صاحبه.

وأما المكروه؛ فما دلَّ على التعظيم المطلق، واستغراق المعنى الحسن الذي يدل عليه الاسم، كما يكره كل اسم قبيح، مثلُ: حرب، وحزن، وصَرْم، وعضره، والعاصي، ويثرب؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - سماها طيبة، فهى طيبة أبدًا[1].

وتكره التسمية بأسماء الجبابرة، وأعداء الله وأعداء رُسُله سواء من الأولين؛ مثل: فرعون، وهامان، وقارون[2].

أو من الآخرين، مثل أعلام اليهود والنصارى والمجوس، لكن إن كان اختيار الاسم منهم ناتجًا عن محبتهم وموالاتهم، ورغبة في إحياء ذكر من أخذ مسماه فهو محرم، ويُستحب تغيير الأسماء المكروهة.

= باب رقم (١٠٩) إذ قال: باب من سمى بأسماء الأنبياء. ثم أورد تحته عدة أحاديث، ثم شرحها وفسرها الحافظ في الفتح [١٠/٥٧٧-٥٨٠] الفتح.

(١) إشارة إلى ما ثبت من حديث جابر بن سمرة - رضي الله عنه - أحمد في المسند [٥/٩٦]، وإسناده جيد.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة العنكبوت آية رقم (٣٩)، وقد وردت هذه الأسماء الخبيثة في آية واحدة هنا، وقد وردت أسماء هؤلاء الكفار المعاندين متفرقة في عدة مواضع من كتاب الله تعالى.

وما عدا ما ذكر من الأسماء فهو مباح وخيرها ما دلَّ على معنى جميل، ما لم يقترن بها وصفُ أو سبب يجعلها محرمةً أو مكروهةً.

فاتقوا الله عباد الله؛ إن في أسماء الإسلام ما يغني عن استيراد الأسماء من أعداء ديننا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن، وانفعنا بما فيه من الآيات والبيان، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين. إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأعراف من آية رقم (١٨٩) إلى (١٩٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله لا نحصى ثناء على الله[١] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن آمن به واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن تسمية المولود مستحبة في اليوم السابع[٢] ، ولا تكره قبله ولا بعده .

والعقيقة حق للمولود على أبيه ؛ لما روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي ، عن الحسن ، عن سمرة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الغلام مرتهن بعقيقته تُذْبح عنه يوم السابع ، ويسمَّى ويُحْلقُ رأسه »[٣] .

والسنة أن يُنسك عن الذكر شاتان متكافأتان ، وعن الأنثى شاة وتكون[٤] مثل الأضحية إلا أن العقيقة لا تصح سُبع بدنة في جزئ مما للأضحية والعقيقة أفضل من الصدقة بثمنها ، والسنة أن تقطع العقيقة أشلاء مع المفاصل فلا يكسر عظمها تفاؤلا بالسلامة ، لما روي عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : السنة شاتان

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

(٢) أحمد في المسند [٧/٥] من حديث سمرة بن جندب - رضي الله عنه - و [١٧/٥] ، [٥/ ٢٢] ، د : برقم (٢٨٣٨) ، والنسائي [١٦٦/٧] وإسناده صحيح .

(٣) هذا هو نفس هذا الحديث أخرجه الترمذي في الجامع برقم (١٥٢٢) في الأضاحي .

(٤) إشارة إلى حديث أم كرز رضي الله عنها ، أبو داود في السنن برقم (٢٨٣٥) ، (٢٨٣٦) ، وأحمد في المسند [٣٨١/٦] ، [٤٢٢/٦] وإسناده صحيح .

متكافأتان (أي متشابهتان) عن الغلام، وعن الجارية شاة تطبح جدولا ولا يكسر لها عظم، ويأكل، ويطعم، ويتصدق، وذلك يومُ السابع[١].

وإذا أعسر الأب بالعقيقة، أو أهمل استَحبَّ بعض العلماء للابن أن يذبح عن نفسه إذا قدر.

والتهنئة بالمولود كسائر ما يُسرُّ به المسلم، وتشتمل على الدعاء الصالح، كما روي عن الحسن؛ أن رجلًا هنأه في مولود فقال: ليهنك الفارس، قال: ما يدريك أنه فارس، أو حِمَار، قال: وما أقول، قال: قل: بورك في الموهوب، وشكرت الواهب، وبَلَغَ أشده، ورُزقت بره.

وأي دعاء صالح ينفع[٢] مثلُ: بارك الله لكم في المولود، وجعله من عباده الصالحين، ومن طلبة العلم، وحفظة القرآن، وألحقكم بره.

كما أن التهنئة بالزواج تشتمل على الدعاء الصالح، مثل: بارك الله فيكما وعليكما، وجَمعَ بينكما في خير وعافية[٣]. ولا يقال: (بالرفا والبنين) لأنها من أعمال الجاهلية.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ تخيروا لأولادكم من الأسماء أحسنها مما يدل على خير، ويحث على خير، ويبعث بالفأل والسرور.

وصلوا على البشير النذير[٤] .... إلخ الصلاة على النبي والدعاء.

---

(١) هو نفس حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه - روى عنه الحسن البصري رحمه الله تعالى وقد سمع منه حديثه عند الإمام أحمد [٥/٧]، [٥/٢٢]، وأبو داود في السنن برقم (٢٨٣٨) وإسناده صحيح.

(٢) ذكر ذلك الإمام ابن القيم في كتابه تحفة المودود وذكره بعدة طرق.

(٣) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - خ برقم (٥١٥٥)، باب رقم (٥٦)، وعنوانه: كيف يدعي للمتزوج، ومسلم في الصحيح، النكاح، برقم (١٤٢٧).

(٤) إشارة إلى سورة الأحزاب: آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والأربعون

١٤٠١/٤/٩

[عاقبة التربية السيئة]

الحمد لله الهادي إلى سواء الصراط .

وأشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له .

من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا[١] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه واتبع سبيله .

أما بعد .. فيقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] .

بعض الناس يظن أن العدو هو الذي يحب أن يضره في بدنه أو ماله أو سمعته ، ولا يتصور أن يكون الزوج أو الولد عدوًّا له ، لوجود القرابة والمودة والرحمة ، ولكن الآية الكريمة تؤكد وجود حقيقة واقعية يتصف بها بعضُ أزواج المؤمنين وبعضُ أولادهم .

والآية الكريمة تشير إلى الروابط المتصلة بالتركيب العاطفي بين أفراد الأسرة ، وهي الزوجية والبنوة .

وهذه الروابط قد تكون سببًا للغفلة والرضا بالصفات التي تعتبر في حقيقتها من صفات العداء .

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١٧) .

(٢) سورة التغابن آية رقم (١٤) .

فالمودة والرحمة بين الزوجين قد تحمل على التغافل عن الأخطاء واستحسان ما يصدر من أحدهما وهو غير حسن، والعطف والشفقة على الأولاد قد يحمل على الإهمال والتغافل عما لا ينبغي التغافل عنه.

والقرآن الكريم، يعالج مشاكل المجتمع، ويُنظم شئون الأسرة، كما يعالج قضايا الجماعة والفرد، فهو تنزيل من حكيم حميد[1] يعلم صفات خلقه وطبائعهم واتجاهاتِهم، ويعالجها بما يناسبها.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[2].

فالقرآن الكريم، وهو نظام الإسلام، وهو دستور المسلمين - قد عالج هذه الناحية بأنفع علاج وأسهله؛ فأمر باتخاذ الحذر، وحث على العفو والصفح والمغفرة. والآية عامة مطلقة، فتشمل جميع أنواع العداء الديني والدنيوي، فمن أراد بالإنسان سوءًا في بدنه، أو ماله، أو عرضه من دون حق فهو عدو.

ومن أشغل عن أداء واجب، أو حث على فعل محرم فهو عدو، إلا أن العداوة الدينية أشدُ خطرًا، وأبقى أثرًا؛ فالعداوة في أمور الدنيا لها أجل تنتهي إليه، وأقصاه موت أحد المتعاديين.

أما العداوة الدينية فآثارها في هذه الحياة الدنيا أخطر على الفرد والجماعة، وتمتد آثارها إلى الدار الآخرة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[3].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة فصلت آية رقم (٤٢).

(٢) سورة ق آية رقم (١٦).

(٣) سورة المنافقون آية رقم (٩).

وقال مجاهد في تفسير هذه الآية : إن الولد يحمل الرجلَ على قطيعة الرحم أو معصية ربه ، فلا يستطيع مع حبه إلا أن يطيعه[١] .

ورُوي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - في سبب نزول هذه الآية ، قال : فهؤلاء رجال أسلموا في مكة ، فأرادوا أن يأتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يَدَعُوهم ، فلما آتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رأوا الناس قد فقهوا في الدين ، فهَمُّوا أن يعاقبوهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢] .

﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] .

والعبرة بعموم اللفظة لا بخصوص السبب[٤] ، فنصوصُ القرآن تمتاز بالعموم والشمول وسعةِ الدائرة لمعالجته كل القضايا في كل العصور .

والقرآن الكريم حينما ينبه المؤمنين إلى هذه الحقيقة ، ويأمر بأخذ الحذر ، ثم يحث على العفو والصفح والمغفرة . يريد من المؤمن أنه يكون يقضا حكيمًا يأخذ بأسباب الإصلاح لنفسه وأسرته ، يريد منه أن يكون مرابطًا في بيته في سبيل الله مجاهدًا من أجل الله ، لا يرضى للمسلم أن يكون غافلًا خاملًا ضعيفًا أمام العواطف والغرائز ، إنما يريد منه أن يكون حازمًا في تربيته ، رحيمًا في أسرته قويًّا في جانب دينه وطاعة ربه .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اقرءوا كتاب الله ، وتفهموا معانيه ، وخذوا بتوجيهاته

---

(١) ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٧/٣٠] .

(٢) نقل ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره [٧/٣٠،٣١] ، عن تفسير ابن أبي حاتم عن ابن عباس ثم قال : رواه الترمذي أيضًا وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه ابن جرير ، والطبراني من حديث إسرائيل به .

(٣) سورة التغابن آية رقم (١٤) .

(٤) قاعدة معروفة لدى أهل أصول التفسير ، راجع الإنفال للإمام السيوطي ، رحمه الله .

واعملوا بأحكامه، وسيروا على نظامه. في جميع المواقف، وفي جميع شئونكم الخاصة والعامة.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٢٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم[١]، وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لاشريك له.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله.

اللهم، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد.. فأوصيكم وإياي بتقوى الله، فإن التقوى هي التي ترفع الإنسان، وترفع اهتماماته عن النزوة البهيمية، وعن الخلق الذميم، وما أقبح من خبب امرأة على زوجها باسم الحب، وإنما الحب عاطفة متقلبة لا ثبات لها ولا قرار ما، أخبث من حرَّض امرأة على زوجها بدعوى أن الزوج لا يحبها أو أنها لا تحبه، وأقبح من ذلك الرجل الذي يترك زوجه في البيت تَنْتظِرُه وهو هامل فيما حرم الله من الزنا واللواط بدعوى أنه لا يحبها، وما أعظم جرم امرأة تضطر زوجها إلى ما حرم الله.

روى الإمام أحمد - رحمه الله - بسند صحيح، والبزار، وابن حِبَّان في صحيحه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ليس منا من حلف بالأمانة ومن خبَّب على امرئ زوجته أو مملوكه فليس منا»[٢].

وروى مسلم في صحيحه عن جابر عن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي،

---

(١) سورة الفاتحة (٢-٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند [٣٥٢/٥] من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي - رضي الله عنه - بإسناد صحيح، وأورد هذا الحديث العلامة الهيثمي في المجمع [٣٣٢/٤]، وقال: رواه أحمد، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا الوليد بن ثعلبة وهو ثقة. اهـ. قلت: الوليد ابن ثعلبة الطائي قال الحافظ عنه في التقريب رقم الترجمة (٤٤) [٣٣٢/٢]، العبدي البصري ثقة من السادسة/ د،س ق. اهـ. قلت: إسناده صحيح.

صلى الله عليه وسلم، قال: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيئ أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه ويقول نعم أنت فيلتزمه[1].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2] .... إلخ الصلاة والدعاء.

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح صفة المنافقين برقم خاص (٦٦،٦٧) وعام (٢٨١٣) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه، وأحمد في المسند [٣/٣١٤،٣١٥]، من هذا الوجه واللفظ.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والأربعون

١٦ / ١ / ١٤٠١

[وصية الأولاد بالوالدين]

الحمد لله الذي هدانا[1] ، وأشكره على ما أعطانا .

وأشهد ألّا لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، هو ناصرنا ومولانا .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، إلى سبيل الله دعانا ، ومن طريق الجهالة ، حذَّرنا ونهانا .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فيقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه العزيز في سورة الإسراء :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2] .

وفي سورة العنكبوت :

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3] .

---

(١) إشارة إلى آية الأعراف رقم (٤٣) .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٢٤) .

(٣) سورة العنكبوت آية رقم (٨) .

وفي سورة لقمان :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وفي سورة الأحقاف :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] .

وقال - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيحي البخاري ومسلم ، رحمهما الله عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألتُ النبي ، صلى الله عليه وسلم : أي العمل أحب إلى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة لوقتها » . قلت : ثم أي ؟ قال : « برُّ الوالدين » . قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله »[3] .

وفي صحيح مسلم ؛ عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « رَغِمَ أنفُ ثم رَغِمَ أنفُ ثم رَغِمَ أنفُ من أدرك أبويه عند الكبر أحدَهما أو

---

(١) سورة لقمان آية رقم (١٤،١٥) .

(٢) سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

(٣) خ برقم (٢٧٨٢) الجهاد ، الباب الأول ، باب فضل الجهاد والسير ونحوه .
مسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم خاص (١٣٥-١٣٧-١٣٩) كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - .

كليهما فلم يَدْخل الجنة »[١]

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : أقبل رجل إلى نبي الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : أبايعك على الهجرة والجهاد ، أبتغي الأجر من الله تعالى . فقال : « هل لك من والديك أحَدٌ حيٌّ » . قال : نعم . بل كلاهما : قال فتبتغي الأجر من الله تعالى . قال : نعم . قال : « فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما » متفق عليه[٢] .

اتقوا الله عباد الله ؛ واعرفوا حقوق الوالدين ، وجهودهما وتعبهما .

الصلة بين الولد وأبويه صلة فرع بأصل ، فالأصل يتحمل ثِقَلَ الفرع ويُمِدُّه بالماء والقوة والنماء ، والولد جزءٌ من أبويه وبَضْعة منهما ، ومعلوم أن الإنسان يحرص كلَّ الحرص على أجزائه ، ويعمل على إصلاحها ، ويحافظ عليها ، فهو يتألم لألم أي جزء من جسده .

فالأبوان بِدافع الرغبة والرحمة والشفقة - يبذلان كلَّ الجهودِ لراحة الولد وإسعاده وتنظيم حياته ، وتربيته ، والحرص على حسن مستقبله . والأم تتحمل أتعابًا على أتعاب، وثِقَلًا مع ثقل : أعراضُ الحمل الأولى ، ثم حملٌ تسعةَ شهور أو أكثر ، تحافظ عليه وتحرص على ما ينفعه ، ثم الولاده وأخطارها وأتعابها ، وآلامها ثم رضاع وخِدمةٌ ، سهرٌ في الليل وتعبٌ في النهار . فهذه ثلاثون شهرًا[٣] ؛ رضاعة ثم التربية ،

---

(١) مسلم في الصحيح كتاب البر والصلة حديث رقم خاص (٩،١٠) وعام (٢٥٥١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي بهذا المعنى برقم (٣٥٣٩) الدعوات من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وفيه ثلاثة أشياء ١ - رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك أبويه الكبر فلم يدخلاه الجنة ، وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .اهـ . قلت : صححه ابن حبان كما في الموارد برقم (٢٣٨٧) .

(٢) هذا لفظ مسلم أخرجه في كتاب البر والصلة حديث رقم خاص (٦) وعام (٢٥٤٩) وهو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - ولم أقف عليه في البخاري ، والله أعلم وفيه أحاديث أخرى بغير هذا اللفظ ، والله أعلم .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

والحضانة والكفالة كلها أثقال ومتاعب وهمٌّ وخوفٌ ، وكلمّا كبر الولد زادت الرحمة به والشفقة عليه ، ويتعلق الأمل في نفعه وبرّه .

والأب يشارك الأم في أحوالها ويقوم بما يجب لها ولطفلها .

جهود تبذل من أجل الأولاد ، الجَهْد البدني ، والجهد النفساني والجهدُ المالي ، لذلك أوجب الخالق - تبارك وتعالى - حق الوالدين على الأولاد وقرن حقهما بحقه .

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[1] .

فيجب على الولد أن يُحْسن إلى والديه ، وأن يبرَّهما ، وأن يُظهر لهما الارتياح لوجودهما ، وأن يَخْفِضَ الصوت عند خطابهما ، وأن يخاطبهما خطابًا حسنًا وكلامًا جميلًا .

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[2] .

يجب على الولد أن يكون متأدِّبًا مع أبويه ، يُلين لهما الجانب ، ويحفظُ لهما معروفهما ، يدعو لهما بالرحمة والمغفرة والرضوان من الله[3] .

يجب عليه أن يلتمس رضاهما فإن رضاهما من رضا الله[4] .

الولد قد تغلب عليه نشوة الشباب ووساوس الجلساء فيقصر في واجب الله

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٦) .

(٢) سورة الإسراء آية رقم (٢٣) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة إبراهيم آية رقم (٤٠) .

(٤) إشارة إلى حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أخرجه ابن حبان في الصحيح كما في الموارد برقم (٢٠٢٦) من حديث الحسن بن سفيان وله شاهد بمعناه أخرجه الإمام أبو داود الطيالسي كما في مسنده [٣٤/٢] من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه : « الوالد أوسط باب الجنة فإن شئت فحافظ على الباب أوضيع » ، وأخرجه أحمد في المسند [١٩٦/٥] .

وابن ماجة برقم (٢٠٨٩) وأخرجه الحاكم وصححه في المستدرك [١٥٢/٤] ، ووافقه الذهبي على تصحيحه .

عليه ، ويقصر في واجب أبويه وهو آثم مؤآخذ .

لكن إذا رزق أولادًا تأكد الوجوب عليه ؛ لأنه عرف حق الأبوين ، وإذا بلغ من العمر أربعين سنة وبلغ أشدَّه وجب عليه أن يصحو وأن يقلع عن طيش الشباب فإنه قد أخذ في الانحدار والنقص .

فالإثم أكبرُ إن تمادى في الغي والعقوق ، يجب على المقصر أن يندم وأن يقلع وأن يتوب إلى الله ؛ يجب عليه أن يتوجه إلى الله ، وأن يشكر نعمته عليه ، وأن يشكر نعمة والديه ، وأن يدرك أهمية تربية الأولاد على البر والصلة والفضائل ، فيحرصُ على تربية أولاده ويسأل الله لهم الهداية والصلاح .

قد يجد الولد من أحد أبويه ما يكدر خاطره ويخالف رغبته فما يجب أن يتبعه في هذه الحالة ؟ ينظر فإن كان ما طلبه أحد الأبوين ليس معصية لله ؛ وجب على الولد أن يَنزِل على رغبتهما .

وإن كان فيه معصيةٌ لله فليس شيء أعظم ذنبًا ولا أكبرَ إثمًا ولا أخطرَ من الشرك ، ومع هذا فلو كان أحد الأبوين كافرًا والولد مسلمًا . فألح عليه بطلب الرجوع عن الإسلام إلى الكفر ، لم يكن هذا مبيحًا للعقوق ولا مبرِّرًا لمعاملتهما بغير إحسان ، بل يصاحِبُهما في هذه الدنيا بالمعروف ولا يطيعهما في معصية الله .

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾[1] .

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[2] .

وإذا حصل خلاف بين الأب والأم لِسَبب من الأسباب أو تفارقا ، فيجب على الولد أن يعطي كلَّ واحد من أبويه حقه من البرِّ والصلة ، ولا يجوز أن تحمله الشفقة

---

(١) سورة لقمان آية رقم (١٥) .

(٢) في الأحكام [١٦٧/١٣] الفتح من حديث النواس بن سمعان - رضي الله عنه ، ومسلم في الإمارة حديث رقم (١٨٦٧) ، باب البيعة على السمع والطاعة .

على أحدهما على عقوق الآخر. فإن العقوق من أكبر الكبائر[١].

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر - الإشراكُ بالله، وعقوق الوالدين، وقتلُ النفس، واليمين الغموس» رواه البخاري.[٢].

«بروا آباءكم تبرّكم أبناؤُكم»[٣] فكُل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلّا عقوق الوالدين فإنه يعجِّل لصاحبه. وإن من أشنع العقوق أن يطيع الرجل زوجته ويعصي أمَّه، أو يعصي أباه ويطيع زوجته.

أخبرني من أثق به أن ولدًا لطم أباه فأراد من حضر أن يوبخ الولد، فقال أبوه: اتركوه؛ فق لطمت أبي في هذا المكان، وقال: الحمد لله الذي عجل له العقوبة في الدنيا. إن أسرعَ الخير ثوابًا البرُّ والصلة، وأسرعَ الإثم عقابًا العقوق وقطيعة الرحم وصدق صلى الله عليه وسلم[٤].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتوبوا إليه واستغفروه.

اللهم أوزِعنا أن نشكر نعمتك التي أنعمت علينا وعلى والدينا، وأن نعمل صالحًا ترضاه[٥] وأصلح لنا في ذرياتنا. اللهم؛ وفقنا للبر والإحسان وصلة أرحامنا، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(١) إشارة إلى حديث أبي بكرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧٦) [١٠/٤٠٥]، الفتح وفيه: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثم ذكره... ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان حديث رقم خاص (١٤٤،١٤٣).

(٢) خ برقم (٦٦٧٥) كتاب الأيمان والنذور باب رقم (١٦) اليمين الغموس، وهو من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط، كما أورده الهيثمي في المجمع [٨/١٣٨] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) تحقق ذلك وقال البخاري معلقًا في تفسير سورة الفاتحة: [كما تدين تدان] [٨/١٠٦].

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل آية رقم (١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[١] . اللهم لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] . وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله ، والاعتصام بحبل الله[٣] والتماس أسباب النجاة ، والاستقامة على صراط الله .

روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : صلَّى بنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، يومًا صلاة العصر بنهَار ، ثم قام خَطيْبًا فلم يدع شيئًا يكون إلى قيام الساعة إلّا أخبرنا به حفِظه من حَفِظه ونسيه مِن نسيه ، وكان فيما قال : إن الدنيا حُلوة خضِرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء[٤] ، وكان فيما قال : ألا لا يمنعَنَّ رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه ، فكان فيما قال : ألا إنه يُنْصب لكل غادرٍ لواءٌ بقدرِ غدرته ، ولا أعظمُ من غدرة إمام عامةٍ ، يُركز لواؤه عند استه . فكان فيما حفظنا يومئذ ألا وإن بني آدم خُلقوا على طبقات شتَّى ، فمنهم من يولد مؤمنًا ، ويحيى مؤمنًا ، ويموت مؤمنًا ، ومنهم من يولد كافرًا ويحيى كافرًا ويموت كافرًا ، ومنهم من يولد مؤمنًا ، ويحيى

---

(١) سورة الفاتحة (٢) .

(٢) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، مسلم في الصحيح ، الصلاة ، حديث رقم (٢٢٢) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية رقم (١٠٣) .

(٤) إشارة إلى حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في الصحيح برقم (٢٧٤٢) .

مؤمنًا ويموت كافرًا ، ومنهم من يولد كافرًا ويحيى كافرًا ويموت مؤمنًا ، ألا وإن منهم البطيء الغضب سريع الفئ ألا وإن منهم سريع الغضب سريع الفئ فتلك بتلك ، ألاوإن منهم سريع الغضب بطيء الغيء ألا وخيرهم بطيء الغضب سريعُ الفئ ألا وشرُّهم سريع الغضب بطيء الفئ ، ألا وإن منهم حسن القضاء حسن الطلب ، ومنهم سيىء القضاء حسنُ الطلب ، ومنهم حسنُ القضاء سيىء الطلب فتلك بتلك ، ألا وإن منهم السيىء القضاء السيىء الطلب ، ألا وخيرهم الحسنُ القضاء الحسنُ الطلب ، ألا وشرُّهم سيىء القضاء سيىء الطلب ، ألا وإن الغضب جمرة في قلب بني آدم ، أما رأيتم إلى حمُرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه ، فمن أحسَّ بشيء من ذلك فليلصق بالأرض .

قال : وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بَقِيَ من يومكم هذا فيما مضى فيه » . وقال الترمذي : هذا حديث حسنٌ صحيح[1] .

إخوتي في الإسلام ؛ أكثرا من الصلاة والتسليم على نبينا محمد بن عبد الله ، فقد أمرنا الله بذلك في كتابه العزيز ، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[2] .

وقال ، صلى الله عليه وسلم « من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا »[3] . اللهم ؛ صلِّ وسلم .

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه كتاب الفتن حديث رقم (٢١٩١) بسياق طويل ، وهو من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وقال عقبه : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الأحزاب آية : (٥٦) .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه ، مسلم في الصلاة برقم (٤٠٨) والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥) باب فضل الصلاة على النبي ، صلى الله عليه وسلم - .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والأربعون

٨ / ٤ / ١٤٠٦

[الأسرة الصالحة]

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم[١] أرحم بالعباد من أنفسهم ، وأرأف بالإنسان من أمه وأبيه[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ليسكن إليها[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤] .

اللهم ؛ صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ أوصيكم وإياي بتقوى الله .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[٥] .

---

(١) سورة الفاتحة (٢،٣) .

(٢) إشارة إلى حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه خ برقم (٥٩٩٩) الأدب باب (٣١) باب رحمة الوالد .. وم : كتاب التوبة حديث رقم خاص (٢٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (١٨٩) .

(٤) سورة التوبة : آية رقم (١٢٨) .

(٥) الطلاق : آية رقم (٣) .

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(١) .

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾(٢) .

أيها الإخوة في الإسلام ؛ إن ديننا كما أنه نظام روحاني رباني ، فهو أيضًا نظام سياسي وعسكري ، وكما أنه نظام اقتصادي ، فهو نظام اجتماعي أخلاقي ، أعطى الإنسان كامل العناية ، وأحاطه بضمانات الحفظ والرعاية ، بنى مجتمعًا إسلاميًّا ثابت القواعد شامخ الصرح ، لم تُزعزعه الأهواء ، ولم تحركه الأعاصير ، ولكن بعض المسلمين خُدعوا ، وأخرجوا من هذا الحصن الحصين ، وصاروا إلى ما نرىٰ ، الإسلام ينادي يا أبنائي ؛ هلموا ، يا أحبابي ؛ أقبلوا ، ولكن كثيرًا من المسلمين يولّونه الأدبار مسرعين إلى الأهواء ، ومنقادين للتيارات المعادية للإسلام ولأبناء الإسلام .

يجب على المسلمين الجد في الإصلاح ، وفي التعاون والكفاح ، ولنبدأ بالأسرة فهي المعمل الذي ينتج أفراد المجتمع ، يُنتج رجال المستقبل وأمهاته ، فلنصلح الأفراد لتَصْلح المجموعة ، لِنُصلح البيوت لتصلح الأسواق . إن مشاعر كل جنس من الذكر والأنثى تجاه الآخر معلوم لا ينساه إلّا متجاهل ، ولا ينكره إلّا مكابر ، وهذه المشاعر تُحرك خطاهم وتُقوّي نشاطهم لتحقيق الصلة والتواصل .

والإسلام ينظم هذه الصلة على مبادئ العدل والكرامة بالمحافظة على كِيان المرأة وعزتِها ، وحفظ كرامتها ومستقبلها ، وعلى أساسٍ طاهرٍ نظيفٍ ينظِّم الإنتاج ، ويصلح النشيء إن جاذبية الفطرة بين الجنسين لا تصلح أن تكون فوضى ، ولا تصلح أن تكون لمجرد قضاء الوطر وتحقيق اللذّة من دون نظام ، بل لابد من نظام ، فلابد من ربط هذه العواطف بين الجنسين بنظام الإسلام ، الذي أنزله ربُّ الإنسان وخالقُ الإنسان .

فإذا اجتمعت العواطف الغريزية مع نظام السماء تكوَّنتْ الأُسرة المسلمة الصحيحة

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٣) .

(٢) سورة الطلاق آية رقم (٥) .

التي تنتج ، وتربي أبناء الإسلام ، وإذا نظرنا إلى طفولة الإنسان وجدناها أطول طفولة من جميع المخلوقات الحية ، ذلكم لحكمةٍ عظيمةٍ وهدفٍ سامٍ ؛ فمسئولية الإنسان في هذه الحياة كبيرة وشاقة . تحتاج إلى تمرين وتدريب . فمدة الطفولة فترة إعداد ، وتمرين للنُّهوض بالوظيفة الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان يرافق فيها أبويه ؛ يتعلم منهما كيفية التحمل والتطبيق ، قبل الوجوب والتكليف ، فالطفل يقلد ما يرى ، ويحاكي ما يسمع ، ويتأثر بالبيئة التي يعيش فيها .

قال نبينا محمد ، صلى الله عليه وسلم : « ما من مولود إلّا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه »(١) .

ولقد اعتنى الإسلام بتكوين الأسرة الصالحة التي تصلح الإنتاج ، ووضع لها نظامًا دقيقًا مفصَّلًا شاملًا .

فهو يبدأ باختيار الزوجة التي يُرجى أن تدوم عشرتها ، ويرجى فيها المودَّة والرحمة والإنجاب قال عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا الودود الولود ؛ فإني مكاثرٌ بكم الأمم »(٢) .

وحث على اختيار ذات الدين ؛ لأنها قدوة في بيتها ؛ ولكي تحافظ على نفسها ومال بعلها . قال عليه الصلاة والسلام : « تنكح المرأة لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ونسبها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »(٣) .

كما نهى عن نكاح المشركات والكوافر ، ونهى عن تزويج المشركين ؛ قال تعالى :

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ

---

(١) مسلم في الصحيح في القدير برقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) إشارة إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أحمد في المسند [١٥٨/٣] وإسناده جيد .
(٣) خ النكاح ص [١١٥/٩] الفتح من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومسلم برقم (١٤٦٦) الرضاع .

أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1] ﴿ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾[2] .

كما وضع الإسلام نظامًا للمعاشرة، وتوزيع الواجبات في البيت، كل ذلك محافظة على فطرة المولود، وطريقة حل المشاكل والنشوز، كما فصل نظام الطلاق والإيلاء والظهار، والرجعة والعدد، والنفقات والرضاع والحضانة، والوصية والولاية وبسط نظام المواريث؛ كل ذلك من أجل العناية بالأسرة، والمحافظة على حقوقها، وعلى مقومات تماسكها ونبذ الخلاف عنها، وهذه الأنظمة توضِّح أن الخالق - تبارك وتعالى - يتولى بذاته تنظيم حياة هذا المخلوق البشري، ويتولى رعايته؛ ليقوم بواجبه في هذه الحياة.

كما حث الإسلام على اختيار الزوج الدين، الصالح، العاقل القوي الأمين؛ قال، صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترض دينه وأمانته، فزوجوه»[3].

إلا أن بعض الناس لا يدرك هذه المعاني فلا يُطَبِّقها على نفسه، ولا على أهل بيته ونسله، ولا يعرف من التربية والتوجيه إلا ما يحصل به مساعدته في طلب الدنيا.

أما الصلة بالله، والأخلاقُ، والسلوك الحسن، والعفة، وحسنُ الأخوة، والمخالقة، وبذل المعروف، وكف الأذى فإنه لا يبالي به.

فاتقوا أيها المؤمنون، إن الأولاد أمانة عندكم مسئولون عنهم، فأحسنوا ولا يَتَكم، وحافظوا على أماناتكم وأنتم تعلمون

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢١).

(٢) سورة الممتحنة آية رقم (١٠).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه برقم (١٠٨٥) في النكاح برقم (١٠٨٤) وهو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وابن ماجة في السنن برقم (١٩٦٧)، والحاكم في المستدرك (١٦٤)، [١٦٥/٢].

﴿ واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أَجْرٌ عظيم ﴾[١] .

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وفي سنة نبينا الكريم . اللهم ؛ اهدنا لأحسن الأعمال والأخلاق لا يهدي لأحسنها إلّا أنت[٤] .

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[٥] .

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[٦] .

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٧] .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم (٢٨) .

(٢) البخاري الأحكام [١٣/١٠٠] الفتح من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما ومسلم برقم (١٨٢٩) في الإمارة باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر .

(٣) سورة الأنفال آية رقم (٢٧) .

(٤) إشارة إلى دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بسياق طويل مسلم في الصحيح حديث رقم خاص (٢٠١) وعام (٧٧١) .

(٥) سورة الفرقان آية رقم (٧٤) .

(٦) سورة الكهف آية رقم (١٠) .

(٧) سورة الحشر آية رقم (١٠) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الكريم المنان واسعِ الفضل والإحسان ، وأشهد ألّا إله الله ، وحده لا شريك له ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلىآله وأصحابه ، ومن آمن به ، وسار على منهاجه .

أما بعد .. فإنما جُعل الطلاق بيد الرجل ؛ لأنه أكثرُ صبرًا وتحملًا ، فلا يستعجل الأمور ، وأبعد نظرًا في العواقب فلا يطيش في التصرفات ، فيجب على الأزواج أن يلاحظوا هذه المقاصد الشرعية .

وهل للمرأة أن تطلب الطلاق من زوجها ؟ .

قد روى بعض أهل السنن والمسانيد ، عن ثوبان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقها في غير ما بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة »[1] ، فلا يجوز لها طلب الطلاق أو الخلع إلا لسبب موجب ، ولا يجوز لها أن تمتنع عن فراش زوجها من دون سبب ، فإن الملائكة تلعنها كما في الحديث المتفق عليه[2] .

لكن إذا كان هناك أمرٌ موجب لطلب الطلاق ، أو الفسخ فلها ذلك ؛ لما روى

---

(١) أحمد في المسند [٢٧٧/٥] [٢٨٣/٥] من حديث ثوبان مولى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وإسناده قوي ، وأخرجه الترمذي في جامعه برقم (١١٨٧) في الطلاق ، وابن ماجة برقم (٢٠٥٥) وحسنه الترمذي .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥١٩٣) النكاح باب (٨٥) وعنوانه : باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها ، ونحوه مسلم في الصحيح ، النكاح ، حديث رقم خاص (١٢١) .

البخاري وغيره - رحمهم الله - أن جسة بنتَ سهل زوجة ثابت بن قيس - رضي الله عنهما - أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - وذكرتْ كراهيتها لزوجها، وقالت: يا رسول الله؛ ما أعيب عليه في خلقٍ ولا دينٍ، ولكن أكره الكفر في الإسلام. فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «أتَرُدِّين عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة»[1].

وهل للزوج أن يطلب أكثر مما أعطاها؟ قال بعض العلماء: ليس له أن يطلب أكثر منه، وبعضهم قال: له أن يأخذ أكثر منه إذا هي بذْلته؛ لقوله تعالى:

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾[2].

هذا إذا كان النشوز من قبل المرأة، أما إذا كان الانصراف من الرجل؛ فإنه لا يحل له أن يأخذ مما أعطاها شيئًا.

﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[3].

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم: «**من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرًا**».

---

(١) البخاري في الصحيح كتاب الطلاق [٣٤٨/٩] الفتح من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - ومن حديث عائشة - رضي الله عنها - أخرجه أبو داود برقم (٢٢٢٨)، في الطلاق هذا لفظه الذي أورده فضيلة الخطيب، وإسناده حسن.

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٩).

(٣) سورة النساء آية رقم (١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والأربعون

٢٧ / ٤ / ١٤١٣

[يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب]

الحمد لله رب العالمين .

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾(١) .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له خلق فقدر وشرع فيسر .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، آتاه القرآن ومثلَه معه ، يبينه ويفسره ويؤكِّده .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن القرآن الكريم اعتنى بالأسرة البشرية فنظم شئونها تنظيمًا وافيًا شاملًا ، ومن هذا التنظيم بيان المحارم من النسب ، وما يتبعه من الرضاعة والمصاهرة ، كما في سورة النساء فذكر الخالق تعالى أنواع المحرمات من النسب والمصاهرة ، أمَّا الرضاعة فذكر الأم والأخت فقال سبحانه :

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١) .

(٢) سورة آل عمران آية رقم (١٨) .

وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

وهذا دليل على أن الخالق تعالى أجرى الرضاعة مجرى النسب .

فذِكرُ الأم إشارة إلى محرمية الولادة ، وذكر الأخت إشارة إلى بقية المحارم ، وقد أكد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا البيان بصريح قوله عليه الصلاة والسلام : « الرضاعة تُحرم ما تحُرم الولادة »(٢) عن عائشة رضي الله عنها .

تأمَّلُوا عناية الله بنظام الأسرة ، وتأملوا تكريم الخالق تعالى لبني آدم فلا يُحرم إلا لبن الأدمية ، أما بقية الألبان فلا تحرم ، فلو أن رضيعًا من قبيلة وآخر من قبيلة ثانية ارتضعا من امرأة من قبيلة ثالثة صارا أخوين من الرضاعة تثبت بها المحرمية كالنسب .

روى البخاري - رحمه الله - عن أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان أنها قالت لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم : إنا نُحدَّث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة قال صلى الله عليه وسلم : « بنتُ أم سلمة » قالت : نعم . قال عليه الصلاة والسلام : « لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، إنها لإبنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة » .

والحُرمة بالرضاع مثلُ الحرمة من النسب من حيث التحريمُ والمحرميةُ ، أما بقية

---

(١) سورة النساء آية رقم (٢٣) .

(٢) صحيح البخاري ج [١٢/٧] عن عائشة - رضي الله عنها - ورواه مسلم عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مشكاة المصابيح ج [١٧٦/٢] .

الأحكام ؛ كالإرث والنفقة فلا .

وقد تكررت الأسئلة عن مسائل في الرضاع ، فبعض الناس يظن أن التحريم يقتصر على المرضعة والمرتضع وابنها للنسب الذي حصل اللبن بسببه ، ولكن النصوص الشرعية صريحة في أن الصبي المرتضع صار ابنًا لمرضعته فاخوتُها أخواله وآباؤها وأمهاتها أجداده . وأولادها إخوته ، سواء الذي ارتضع معه أو الذي ولد قبله أو الذي ولد بعده ، وصار المرتضع ابنًا لزوجها كذلك .

والأخوة من الرضاعة كالأخوة من النسب فالأنواع أخ شقيق ، وأخ لأب ، وأخ لأم من الرضاعة وأما ... إخوة المرتضع من أبويه أو من أحدهما فلا دخل لهم في الرضاعة ، وإنما يختص التحريم بالطفل الذي ارتضع يكون ابنًا للمرضعة وابنًا لزوجها ؛ لما روى البخاري - رحمه الله - عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : إن أفلح أخا أبي القيْس استأذن عليها فأبت . فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم : إنه عمك من الرضاع . فقالت : إنما ارضعتني المرأة ولم يرضعني الرجل . فقال صلى الله عليه وسلم : « إنه عمك فليلج عليك » . وذلك أن الفحل له تأثير في اللبن وسببٌ في وجوده ، فصار المرتضع ابنًا له ، وعلى هذا فلو طلق رجل امرأته طلاقًا بائنًا وهى ترضع ولده ، فأرضعت صبيًّا صار المرتضع ابنًا لها وابنًا لمُطلقها ؛ لأن اللبن لها وللفحل .

ولا تنتشر الحرمة بغير لبن الآدمية ، فلوا ارتضع اثنان من لبن بهيمة لم يصيرا أخوين .

ونَقْلُ الدم من رجل إلى امرأة أو بالعكس لا يثبت به تحريم ؛ لأن التحريم إنما هو بالنسب ، أو الرضاعة أو المصاهرة ، ولا يسمى نقل الدمْ رضاعة فلا تثبت له أحكامه .

ويشترط في الرضاع المحرِّم ثلاثةُ شروط :

١ - أن يكون المرتضع في سن الرضاعة ؛ لقوله تعالى :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾(١)

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣) .

قال ابن كثير رحمه الله : هذا إرشاد من الله للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهي سنتان فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك .

وروى الترمذي - رحمه الله - عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء في الثدي - أي إذا كان الطفل في محال الرضاعة قبل الحولين » كما في الحديث الذي رواه أحمد . عن البراء بن عازب ؛ قال : لما مات إبراهيم بن النبي ، صلى الله عليه وسلم - قال : « إن ابني مات في الثدي » إن له مرضعًا في الجنة .

والعمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة - رضي الله عنهم وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين .

وأما قصة سالم مولى أبي حذيفة ؛ كما رواها الإمام مسلم - رحمه الله- عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن سالمًا مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم . فأتت تعني سهلَة بنتَ سهل امرأة أبي حذيفة النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - فقالت : إن سالمًا قد بلغ ما يبلغ الرجال ، وعقل ما عقلوا ، وإنه يدخل علينا ، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا ، فقال لها النبي - صلى الله عليه وسلم : أرضعيه تحرمي عليه ، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة . فقالت : « إني ارضعته » .

هذه قضية عين خاصة بتلك الحالة . وقال بعض العلماء هذه رخصة أرخصها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لسالم .

٢ - الشرط الثاني أن يكون الرضاعُ خمسَ رضعات فما فوق ؛ لما روى مسلم رحمه الله ، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان فيما أنزل من القرآن ؛ عشر رَضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخت بخمس معلومات ، وقد روى الإمام مسلم رحمه الله أن النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : « لا تحرِّم الرضعة والرضعتان ، أو المصة والمصتان والإملاجة والإملاجتان » .

وأمَّا ما رواه البخاري - رحمه الله - عن عقبة بن الحارث - رضي الله عنه -

قال : تزوجتُ امرأةً ، فجاءتنا امرأة سوداءُ فقالت : أرضعتكما فأخبرت النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : « كيف بها وقد زعمت أنها أرضعتكما ، دعها عنك » ولم يذكر عدد الرضعات . فقال العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - (والحقيقة أنه لا إشكال فيه ، فهي قد ذكرت رضاعًا محتملًا لأن يكون خمسًا ، ويحتمل أن يكون دون ذلك ، وقد جاء حديث عائشة (أي خمس رضعات) فيُحمل (أي حديث عقبة) على أنه رضاع يعرفونه ، ولا يُخالف حديث عائشة وهو صريح) .

٣ - الشرط الثالث في الرضاع المحرِّم : أن يصل اللبن إلى جوف الصبي ، فلو كان يرضع ويمجه لأي سبب من الأسباب ولم يصل إلى أمعائه لم يُحرِّم ؛ لما روى الترمذي وصححه عن أم سلمة - رضي الله عنها - مرفوعًا لا يُحرِّم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام ، وإذا شُك في عدد الرضعات ؛ هل هن ثلاث أم خمسٌ بُني على اليقين ؛ لأن الأصل عدم الرضاع فلا يثبت إلا المتيقنُ .

وما هو مقدار الرضعة ؟ . قال في المغني : والمرجع في معرفة مقدار الرضعة إلى العرف ؛ لأن الشرع ورد بها مطلقًا ولم يحدَّها بزمن ولا مقدار ، فدل ذلك على أنه ردهم إلى العرف ، فإذا ارتضع الصبي وقطع قطعًا بينًا باختياره كان ذلك رضعَةً ، فإذا عاد كانت رضعةً ثانية .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، الحلال ما أحل الله ورسوله ، والحرام ما حرم الله ورسوله .

والحمد لله الذي أغنى الناس بالحليب المجفف والرضاعات الصناعية عن مشاكل الرضاع .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا .

واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

أما بعد .. فإن بعض الناس يدعي الغضب في طلاق زوجته ، وقد ذكر العلماء[1] رحمهم الله أن الغضب ثلاثة أقسام :

أحدها ؛ أن يكون في مبادئ الغضب ، فهذا يقع فيه الطلاق .

الثاني : الغضب الشديد الذي يزول معه الشعور فلا يدري ما فعل ولا ما تكلم به ، فهذا لا يقع فيه الطلاق .

والثالث : الغضب المتوسط ، بحيث يدرك ما قال ويعلم كيف فعل فهذا محل خلاف بين العلماء .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[2] .

---

(١) فتاوى الشيخ محمد [١٩/١١] .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخمسون

٢٩ / ٦ / ١٥

[الرضيع المبارك]

الحمد لله رب العالمين . عنايته متتابعة ، ونِعمُه متوالية ، ورحمتُه واسعة .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، بيده الخير ، ومنه النفع والضُر .

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، رفع ذكره ، وأعطاه الحكمة والسكينة .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله .

أما بعد .. ففي القرآن ، الكريم في قصار المفصل سورتان متجاورتان ، الثانية تكمل الأولى ، موضوعهما واحد هو : الرد على أعداء محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، قولَهم قلاةُ ربه وهاتان السورتان تنفسان عن رسول الله وحبيبه ، صلى الله عليه وسلم ، ما أصابه بسبب مقالتهم ، ولتأخر نزول الوحي عليه ، هما سورةُ الضحى ، وسورةُ ألم نشرح . وكلكم يحفظهما . فيهما الحنان والرحمة ، والتلطف والشفقة من فاطر السماوات والأرض إلى صَفِي محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – .

وكان الوحيُ ولقاءُ جبريلَ عليه السلام ، والاتصالُ بالله كانت هي زاد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فلما فتر الوحي ، وقال المشركون مقالتهم . اشتدّ

---

(١) سورة يونس آية رقم (١٠٧) .

ذلك على النبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله قرآنًا يرد على المشركين مقالتهم، ويُطمئن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويُذكرهُ بنعِمه عليه، فالله تعالى لَمْ يَغْفُل عن نبيه حال حَمْله وولادته، ولا رضاعته وصغره، فلا يغفل عنه بعد أن أوحى إليه واتخذه خليلًا وكليمًا وصفيًّا وحبيبًا؛ ولتمام الفائدة أذكركم بما قاله العماد ابن كثير - رحمه الله - في البداية والنهاية المجلد الثاني باختصار:

كانت العرب تسترضع أولادهم والمرضعات يرغبن في أخذ أولاد الأغنياء والمشاهير رجاء برهم وإحسانهم، أما اليتيم فكانوا لا يقبلونه، لأنهم لا يرجون نول أبيه، وكان صفوة الخلق، صلى الله عليه وسلم، يتيم الأب، وهو رضيع.

قالت خليمة السعدية: قدمت مكة في عشر نسوة من بني سعد بن أبي بكر يلتمسن بها الرُّضعاءَ في سنة شهباء، فقدمتُ على أتان لي قمراء كانت أذمَّت بالركب، ومعي صَبيّ لنا وشارفٌ (أي ناقة مُسنة هزيلة)، والله ما تَبِضُّ بقطرة وما نَنَام ليلنا من صَبينا، ليس في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يُغَذِّيه، ولكنا كنا نرجوا الغيث والفرج. أي من الله.

قالت: فقدمنا مكة فوالله ما علمتُ منا امرأةً إلا وقد عُرض عليها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإذا قيل: إنه يتيم تركناه، وقلنا: ماذا عسى أن تصنع إلينا أمه؟ إنما نرجوا المعروف من أبي الولد. فوالله ما بقي من صواحبي واحدةٌ إلا أخذت رضيعًا، إلّا أنا، فلمَّا لم نجد غيره وأجمعنا الانطلاق، ولما أراد الله بحليمة وأهلها وعشيرتها خيرًا، قالت: قلت: لزوجي الحارث بن عبدِ العُزَّى: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع أَلَا أنطلق إلى ذلك اليتيم فآخذه. قال: لا عليك أنْ تَفْعلي، فَعَسى أن يجعل الله لنا فيه بركة، فذهبت فأخذته، فوالله ما أخذته إلا أنّي لم أجد غيره، فما هو إلا أن أخذته، فجئت به رحْلي، فأقبل عليه ثديي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشربَ أخوه حتى روي، وقام صاحبي - أَيْ زوجها - إلى شارفنا فإذا لبنُها لحافلٌ، فحلب منها وشرب، وشربت حتى روينا، فبتنا بخير ليلة، فلما أصبحنا قال صاحبي: يا حليمَة؛ والله إني لأراك قد أخذت نَسَمة

مباركةً ألم تري ما بِتْنَا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه فلم يزل الله - عز وجل - يزيدنا خيرًا .

قالت : ثم خرجنا راجعين إلى بلادنا ، فلما ركبتْ هي ورسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، على الدابة نشطت وأسرعت ، فقال صوَاحبي أهذه أتانك التي خرجت عليها معنا ؟ والله إن لها لشأنًا حتى قدمنا أرض بني سعد ، وما أعلم أرضًا من أرض الله أجْدب منها ، فإن كانت غنمي لتسرح ، ثم تروح شِبَاعًا لُبْنًا فنحلب ما شئْنا وما حولنا أحد تَّبِضُّ له شاة بقطرة لبن ، وإن أغنامهم لتروح جياعًا حتى إنهم ليقولون لرعاتهم : انظروا حيث تسرح غنم حليمة ، فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمي ، فتروح أغنامُهم جياعًا ما فيها قطرةُ لبن ، وتروح أغنامي شباعًا لُبنا نَحْلب ما شِئْنا ، فلم يَزل الله يُرينا البركة نَتَعَرَّفها حتى بلغ سنتين ، فكان يشب شبابًا لا يُشبه الغِلْمان ، قالت : فرددته إلى أمه ، وأحب أن يبقى عندنا ، ثم قلت : إننا نخشى عليه وباء مكة ، فوافقت على الرجوع به معنا . قالت : فأقمنا به شهرين ، أو ثلاثة ، فبينما هو خلف بيوتنا مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا ؛ جاء أخوه يشتد قال : ذاك أخي القرشي جاءه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه - أي من الرضاعة - نشتد ، فوجدناه قائمًا فاعتنقه أبوه ، وقال : يا بني ؛ ما شأنك . قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ، ثم استخرجا منه شيئًا فَطَرحاه ، ثم رَداه كما كان ، فرجعنا به معنا . فقال أبوه : يا حليمة ؛ نَردُّه إلى أهله ، فلم تُرع أمه - أي آمنةُ بنت وهب - إلا به .

فقالت : ما ردكما به وقد كنتما عليه حريصين ، وما زالت تناشدهما حتى أخبراها خبره فقالت آمنة كلا والله ما للشيطان عليه سبيل ، والله إنه لكائن لابني هذا شأنٌ ما حملت به فلم يكن حملٌ أخف منه ، ورأيت في المنام وهو حمل كأنه خرج مني نور أضاءت له قصور الشام ، ولما ولدته وقع معتمدًا على يديه رافعًا رأسه إلى السماء - هو من إحسان الله وفضله على نبينا - صلى الله عليه وسلم .

وكان مع أخته في شدة الحر فجاءت غمامة تظلل عليه إذا وقف وقفت ، وإذا

سار سارت ، ووزنه الملائكة بعشرة من أمته فوزنهم ، ووزنوه بمائة فوزنهم ، ووزنوه بألف من أمته فوزنهم ، ولو وزن بأمته كلِّهم لوزنهم ، وفي بعض الروايات : أن الملك ختم على قلبه - صلى الله عليه وسلم - بخاتم النبوة - فلما صار عمره بضعَ عشْرةَ سنة سافر به عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن . وكان جمل قد هاج وسدا الوادي الطريق ، فلما رأى الصبيَّ محمدًا رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - برك ، فركبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتىٰ هدأ ومرَّ الناس ، وكان سيْلُ العرمِ قد قطع الطريق مع الوادي فخاضه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو صبي ، فأيسه الله حتى جَاوَزُوه . وبعد غزوة حنين ، جاءه وفدٌ من هوازن قد أسلموا فقال خطيبهم : إن ما في الحضائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللائي كن يكفلْنك وأنت خير المكفولين . فعد علينا وامنن يا نبي الله . فقال عليه الصلاة والسلام : أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لله تعالى وهبته لكم . فقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، فأطلق لهم الذراري وكانت ستَّة ألاف ما بين صبي وامرأة ، وأعطاهم أنعامًا وأناسيَّ كثيرًا .

فانظروا إلى عناية الله بنبيه - صلى الله عليه وسلم - جعل الله فيه البركة أينما حل وسار في هذه الدنيا ، فكيف ببركته على من آمن به وعمل بسنته في الدار الآخرة .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، وارغبوا فيما عند الله ، واطلبوا الفضل والبركة من الله ، واطلبوا قضاء حوائجكم من الله ، فهو النافع الضار ، وهو مجيب الدعوات ، والكربات ، أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد ، فتوبوا إليه واسألوه . اللهم ؛ وفقنا للعمل بكتابك ، وبسنة رسولك محمد ، صلى الله عليه وسلم ، واهدنا الصراط المستقيم ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الأخرة ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، له الحمد والنعمة والفضل ، وله الثناء الحسن .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، جوادٌ واجدٌ ، كريم بخلقه رءوف رحيم .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴾(١) .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، آواه ربه وهداه ، وأغناه بالقناعة والزهد في الدنيا ، فلم يشبع يومًا من خبز الشعير ، ويأخذ شهرًا ما أوقد في بيته نارًا طعامه التمر والماء . اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن خير خلق الله – صلى الله عليه وسلم – ولد يتيمًا وعاش يتيمًا . فتولاه الله فُتوفي أبوه وهو حمل ، وماتت أمه آمنة وعمُره ست سنوات أو ثمان على خلاف ، وتوفي جده عبد المطلب وعمره عشر سنين ، وتوفي عمه الزبير بن عبد المطلب وعمره أربع عشرة سنة ، فكفله ربه وأحاطه برعايته وعنايته وسخر له عمه أبا طالب ، آزره وهو على غير دينه ، وحماه من الأعداء ، ورفع الله ذكره . وأيّده ، ونصره وشرح صدره ؛ لتلقي قولًا ثقيلًا .

وللصبر على الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته وأداء أمانته ، والصبر على ما يلاقيه في سبيلها .

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة فاطر آية رقم (٤٥) .

(٢) سورة يوسف آية رقم (١٠٨) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والخمسون

١٣ / ٢ / ١٣٩٦

[حقوق المرأة في الإسلام]

الحمد لله العلي الأعلى . الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأن حزبه هو الأعلى .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فاتقوا الله أيها الناس . ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[٢] .

أيها المؤمنون ؛ يحاول بعض الناس إما عن حسن نية أو عن خبث طويه ، ترويج دعوة كانت ميتة مدفونة من دعاوي أعداء الإسلام .

إنها دعوة إلى الخروج من الفضائل ، دعوة إلى تفكك الأسرة التي جمع الإسلام شملها ، دعوة إلى تشتت المجتمع الذي ربط الإسلام بين أطرافه . دعوةٌ ماكرة مخادعة زُيفت باسم الحرية ، وفي طيّاتها لهب محرق وداء عضال ، دعوةٌ كلها غرور وخداع باسم المساواة تدعو المرأة المسلمة إلى الخروج عن حشمتها وفضائلها ومحاسن دينها والتخلي عن أداء رسالتها وماذا تحت هذه الدعوة ، وما هي نتائجها ؟ .

إن الإسلام قد أعطى المرأة حرية لم تكن لها من قبل ؛ حفظ لها حقها ، ونظم حياتها ، وخاطبها بالتشريع ؛ ففي القرآن الكريم سورة من طوال السور سميت باسمها وهي سورة النساء[٣] ، وهناك آيات كثيرة في القرآن اعتنت بشئون المرأة وعالجت

---

(١) سورة الأعلى آية رقم (٢،٣) .

(٢) سورة الحشر آية رقم (١٨) .

(٣) وفيها آيات بينات تتعلق بالمرأة وحقوقها منها آية رقم (١٩-٢٣) .

مشاكلها، وحفظت لها عزتها وكرامتها؛ كما في سورة البقرة وسورة النور[١] وسورة الأحزاب[٢] وغيرهما من السور، بالإضافة إلى دخول المرأة في عموم الخطاب والتكليف والثواب والعقاب كالرجل سواء بسواء، بل فضلت المرأة على الرجل في بر الولد وصلته فأوصى النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات ببر الأمهات[٣] وأوصى مرة واحدة ببر الآباء[٤]. وأمر - صلى الله عليه وسلم - بالرفق بالمرأة وأوصى بها خيرًا[٥].

وأعطاها حقوقها من المال والميراث والمعاشرة الحسنة واختيار الحياة الزوجية في ظل الإسلام، فالمرأة قد اختصت في الإسلام بحظ وافر من الحرية والعزة والكرامة.

وأما الفوارق الخلقية والصفات الطبيعية التي خلق عليها كل من الذكر والأنثى فهي فوارق إلهية لحكم ومصالح لبناء المجتمع ونماء الإنسان، وإصلاح شئون الأمة، فليس بمقدور أحد أن يخلق نُطْفة إنسان، ولا أن يخلق ولده ذكرًا أو أنثى وإنما ذلك لله وحده.

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾[٦].

---

(١) وفيها أحكام وقيم روحية وخلقية تتعلق بالمرأة ومنها آية رقم (٣١).

(٢) فيها حقوق وآداب شرعية تتعلق بالمرأة المسلمة آخر آية (٤٩-٥٥).

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧١)، الأدب باب رقم (٢) من أحق الناس بحسن الصحبة وأخرجه مسلم في الصحيح البر والصلة حديث رقم خاص (١-٢٠) من هذا الوجه واللفظ، وأحمد في المسند [٥/٣] من حديث حكيم بن معاوية - رضي الله عنه -.

(٤) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ برقم (٥٩٧١) الأدب، ومسلم البر والصلة برقم (١،٢).

(٥) إشارة إلى حديث أنس رضي الله عنه خ برقم (٦٢٠٩) الأدب وفيه الأمر بالرفق بالنساء.

(٦) سورة الشورى آية رقم (٥٠).

وكذلك الفوارق في الطول والقصر، والبياض والسواد كلها فوارق لا دخل لأحد من الخلق فيها، ولا شك أن الله تبارك وتعالى يعلم حقائق الأمور ومصالح خلقه، وعواقب الأحوال قد تكون ظاهرة للبشر، وقد تكون خفية لا يعلمها إلا الله. فالواجب الرضا بقدر الله ولا يكون إلا ما قدر الله، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط[١]، وليس له إلا ما قدر له وليس على أحد من هذه الفوارق الخلقية غضاضة ولا ينتقص أحد من حق أحد، ولا يجوز لجنس أن يتمنى ما فُضل به الجنس الآخر[٢]، بل الواجب أن يعتز كل جنس بما قدر له، وأن يهتم بما خلق له، وأن يقوم بالحق الواجب عليه لأمته ومجتمعه، وبيته وأسرته، فقد بيَّن الإسلام وظيفة كل جنس في المجتمع. إذًا ماذا وراء هذه الدعوة، وما هي نتائجها؟.

إن المرأة المسلمة المتمسكة بدينها العارفة بربها وبالقيم الإنسانية والحقوق الإسلامية، قد بلغت الذروة في العزة والكرامة، وعرفت حقيقة الحرية في الإسلام، فهي تدرك أن هؤلاء الدعاة يريدون منها النزول من هذه الدرجة العالية والصفات المشرفة إلى مستوى تكون في المتناول، لأنهم يَرَوْنها قد سمت في أعلى المنازل فلا يوصل إليها ولا يقترب منها.

إن الفتاة المسلمة تدرك أن تعاليم دينها كلها في صالحها[٣]، وأن دين الإسلام إنما منع اختلاط المرأة بالرجل الأجنبي، وإنما أمرها بالحجاب ليرفع من شأنها، وليحفظها من الابتذال والامتهان، فلا يطمع من في قلبه مرض[٤]، وقد أثبتت التجارب ذلك (والسعيد من وعظ بغيره)[٥] إن اختلاط النساء بالرجال في المدارس

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - الترمذي في جامعه الزهد حديث رقم (٢٣٩٦) وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه وابن ماجة الفتن برقم (٤٠٣١) من هذا الوجه واللفظ وإسنادة حسن مع الشواهد الكثيرة.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النساء آية رقم (٣٢).

(٣) إشارة إلى حديث أم سلمة - رضي الله عنها - خ (٥٣٣٦) الطلاق، وأحمد في المسند [٦/ ١٩٢]، [٦/٣١١] وفي الحديث واقع مرير كانت المرأة تعيشه في الجاهلية.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب آية: (٣٢) وكان ذلك بالنسبة لأمهات المؤمنين رضي الله عنهم فكيف بغيرهن في هذا الزمن المعاصر والوضع أخطر وأشد وأفظع.

(٥) إشارة إلى حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - بسياق طويل. أخرجه مسلم =

وفي دور السينما يؤدى إلى تحلل الأخلاق، وتدهور الشيم وتفكك المجتمع وجينئذ تسيطر عليهم الأعداء وتعصف به الأهواء، وإنما يبنى صرح الأمة على أخلاقها وفضائلها فإذا انهارت انهار صرحها.

وهذا ما يريده أعداء الإسلام، وهذا ما وراء هذه الدعاية أمارتنا بحبها فإنها ليست وليدة عصرها، فقد قام بها شرار الخلق من الناس من قبل، إلا أن الله - تبارك وتعالى - حفظ هذه البقاع الطيبة من شرها وأبعدها عنها. بسبب دعوة الإصلاح وأعوان الحق والعدالة، ولكنها وجدت رواجًا في بعض البلدان فعلينا أن ننظر في نتائجها لدى تلك الشعوب التي تتهافت عليها كما يتهافت الفراش على النار فوقعت في شباكها، وأصبحت في تحلل من القيم والأخلاق، وتدهور من الفضائل والمكارم، تمكنت منهم الصهيونية والشيوعية وصارت أحزابًا يضرب بعضها بعضًا لا ترابط بينهم ولا تعاطف ولا تآخي، لا يرحم كبيرُهم صغيرَهم ولا يوقر صغيرُهم كبيرَهم[1]، ولا يعطف غنيهُم على فقيرهم، قد تفكك مجتمعهم وتشتت أمرهم، نفر الأب من ابنه، وعقَّ الابن بأمه.

لا دين لهم يلم شعثهم، ولا أخلاق تردع مُفسدهم، ولا دعوة حق ترد ضالهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض[2]. ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[3] وأنساهم أنفسهم[4]. وأصبحوا في خوف وقلق واضطراب، في سلب ونهب، في متاهة مظلمة لا تستقر على مرسى، ولا تأوي إلى ميناء سلامه. هذه ثمار حريتهم التي اتبعوها فهم يريدون أن تقعوا فيما وقعوا فيه فتكونون سواء.

= في الصحيح كتاب القدر حديث رقم خاص (٣) وعام (٢٦٤٥)، وفيه هذا اللفظ تمامًا.

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - الترمذي برقم (١٩٢٢) البر والصلة، وإسناده ضعيف ولكن له شاهدًا قويًا من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - حم [٣٢٣/٥) والحاكم في المستدرك [١٢٢/١] وصححه ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) إشارة إلى حديث جرير بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - خ برقم (١٢١) تعلم بهذا المعنى أو أقول فيه.

(٣) سورة التوبة آية رقم (٦٧).

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحشر آية رقم (١٩).

فاتقوا الله أيها المسلمون . احذروا دعوة السوء لا تنطلي عليكم زخارفها ، فقد حماكم الله منها بإيمانكم وعقيدتكم فلا تنكروا نعم الله عليكم .

﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[١] .

إن الله تعالى قد منَّ عليكم بهذا الدين القويم فلا تَمُنُّوا به على الله .

﴿ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٢] .

فَزِنوا الأمور بميزان الإسلام ، فما وافقه فخذوه وما خالفه فاتركوه .. إن الله تعالى قد أنعم علينا في هذه البلاد الطيبة الطاهرة بنعم ليس فيها إلا نحن ، تفضل علينا بقيادة مسلمة مؤمنة طيبة عادلة تحكم بشرع الله ، وتدين بدين الإسلام ، تحفظ الحقوق وتنشر الأمن والاستقرار[٣] . تعمل بالفضائل وتأمر بها ، وتُبغض الرزائل وتنهى عنها .

إنها قيادة أسست على دين الإسلام بالعدل والإصلاح فأنجز الله لها وعده . فأعطاها أمنا واستقرار وهيبة وعزة ورفعة . يسير الرجل بما شاء من المال إلى أي جهة من البلاد شاء ، قد أمن على دمه وماله وعرضه ، فلا يخشى إلا الله تبارك وتعالى .

فاشكروا هذه النعمة لله ، وحافظوا عليها ، بأداء حق الله عليها ، وأكثروا من الدعاء لولاة أمور المسلمين في السر والعلانية ، فإن الأمة بخير ما دام ولاة أمرها بخير . وبصلاح الراعي تصلح الرعية[٤] .

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم (٧) .

(٢) سورة الحجرات آية رقم (١٧) .

(٣) إلى هذا المعنى يشير قوله تعالى في سورة النحل آية رقم (٩٧) ، أو قال جل وعلا : ﴿ **من عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ راجع تفسير هذه الآية في تفسير ابن كثير - رحمه الله تعالى - ص (٢٢٤) [٤/٢٢٥] فقد أجاد وأفاد : أنه إذا عاش مسلم تحت قيادة إسلامية رشيدة تؤمن بالله ورسوله الكريم وتطبق شرع الله فإنها وشعبها سيعيشان حياة طيبة آمنة ...

(٤) إشارة إلى مقالة مالك رضي الله عنه [لا تصلح هذه الأمة إلا إذا صلح أولها أي =

اللهم لك الحمد على ما أعطيت ، ولك الشكر على ما أوليت . لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] اللهم إحفظ ولاة أمرنا من كل سوء ومكروه

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

= قادتها] وهذا المعنى محسوس وواقع ملموس .

(١) إشارة إلى حديث عائشة ، رضي الله عنها ، أخرجه مسلم في الصحيح الصلاة حديث رقم (٢٢٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

إن الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه .

أما بعد .. فأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى فلا خاب من اتقاه ، ولا أفلح من عصاه .

أيها المسلمون ؛ إننا نشاهد كثيرًا من الصناعات ، ونسمع عن الكثير ونعرف أنها صنعة بأيدي بني آدم ، فليس من العقل أن يقول إنسان إن الطائرة أو السيارة وجدت بدون صانع صنعها ، أو أنها تسير بدون مسيرٍ يديرها .

وأيضًا أليس الذي صنع الصنعة هو أعرف بمادتها وبما يصلحها ، وبما يحافظ على سلامتها .

إذًا فلابد أن هذه الموجودات العظيمة في هذا الكون العظيم ؛ الأرض والسماء والكواكب ، والإنسان والإبل ، والشمس والقمر لها خالق خلقها ومسير يسيرها . وهو أعلم بما يصلحها ويحافظ على سلامتها .

هذا شيء معلوم بالفطرة السليمة والعقل المستقيم ، أيَّد ذلك الشرعُ القويم . لقد أخبرنا خالق هذا الكون عنه بنفسه بواسطة رسله .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢] .

---

(١) ورد الحديث بصيغة الجمع [إن الحمد لله نحمده ونستعينه] من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – مسلم في الصحيح كتاب الجمعة حديث رقم خاص (٤٦) وعام (٨٦٨) .

(٢) سورة الحشر آية رقم (٢٤) .

وهو سبحانه وتعالى أعلم بطبائع خلقه وبما فيه صلاحهم وسعادتهم وتنظيمُ أمورهم، وحفظُ دمائهم وأموالهم، وأعراضهم. فشرع لهم دينًا قيمًا فيه السعادة والحرية والأمنُ والاستقرار، فأرسل إليهم رسولًا من أنفسهم[١] آتاه القرآن ومثله معه[٢]، وأمرنا باتباعه وطاعته وحذرنا من معصيته[٣].

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[٤] ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٥].

فاتقوا الله أيها المسلمون، أطيعوا الله ورسوله، تمسكوا بتعاليم دينكم، واعتزوا بأحكامه وتوجيهه، وافخروا بتعاليمه وأوامره.

ولا تأخذكم في الله لومة لائم[٦] وكونوا من حزب الله فإن حزب الله هم المفلحون[٧]، واحذروا حزب الشيطان فإن حزب الشيطان هم الخاسرون[٨].

وصلوا على البشير النذير فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٩].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية رقم (١٦٤).

(٢) إشارة إلى حديث المقدام بن معد بكري - رضي الله عنه - أحمد في المسند [٤/١٣٠]، وإسناده حسن.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور آية رقم (٦٣).

(٤) سورة النساء آية رقم (٨٠).

(٥) سورة آل عمران آية رقم (٣١).

(٦) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - خ برقم (٧٢٠٠) الإحكام ومسلم في الصحيح: الإمارة حديث رقم خاص (٤١)، وعام (١٧٠٩) من هذا الوجه.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المجادلة آية رقم (٢٢).

(٨) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المجادلة آية رقم (١٩).

(٩) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والخمسون

٢٣ / ٧ / ١٤٠٣

[الإخوة من الرضاع]

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحد لا شريك له ، خلق فقدر وشرع فيسر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ونصح للأمة[٢] .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تعبهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فكثيرًا ما ترد أسئلة عن الرضاع ، وعن تحريم النكاح بالرضاع ، وهذا الموضوع مهم جدًّا ، قد يغفل عنه بعض الناس ، أو يتساهلون به في بادئ الأمر فيُنسى .

فالواجب على المرضعة إذا أرضعت طفلًا أو طفلة ، أن تخبر من يحفظ هذا الرضاع ، وتعلنه خشية النسيان ؛ فيقع المحذور ؛ لأن الرضاع له آثار شرعية في التحريم دل عليها القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ، فأما الكتاب ؛ فقوله تعالى : في معرض المحرمات .

﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الكهف آية رقم (١) .

(٢) إشارة إلى حديثٍ طويلٍ لجابر بن عبد الله الأنصاري أخرجه مسلم في الصحيح في كتاب الحج ولكن هذا اللفظ رواه ابن ماجة في سننه حديث رقم (٣٠٧٤) . باب (٨٤) وعنوانه باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم وإسناده صحيح [١٠٢٥/٢] .

(٣) سورة النساء آية رقم (٢٣) .

وأما السنة ؛ فقد وردت عدة أحاديث تدل على أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب .

فروى البخاري - رحمه الله - عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة »[١] ورواه مسلم وغيره .

وفي رواية للنسائي : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب[٢] . وقد أجمع علماء الأمة على التحريم بالرضاع .

فتحريم الأم والأخت من الرضاع بنص القرآن الكريم ، وتحريم بقية المحرمات من الرضاع بالسنة ، وإذا ثبتت الحرمة ثبتت المحرمية ؛ لأنها فرع عنها .

والرضاع الذي يسرى التحريم به هو ما اجتمع منه ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون خمسَ رضعات[٣] فأكثر فإن كان أقل من خمس رضعات لم يحرم ؛ لما روى مسلم ، عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : كان فيما أنزلَ : عشرُ رضعات معلومات يُحرمن ، ثم نسخت بخمس رضعات معلومات يحرمن ، فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأمر على ذلك[٤] .

وروى البيهقي في السنن وأخرجه مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحرِّم المصةُ والمصتان »[٥] .

---

(١) هذا لفظ البخاري في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها برقم (٣١٠٥) فرض الخمس باب (٤) ونحوه مسلم في الصحيح كتاب الرضاع حديث رقم خاص (١) وعام (١٤٤٤) من هذا الوجه واللفظ .

(٢) هذا لفظ مسلم تمامًا ، الرضاع حديث رقم خاص (٩) ، وعام (٤٤٤٥) ، [١٠٦٩/٢] .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - الآتي قريبًا .

(٤) مسلم في الصحيح كتاب الرضاع من حديث عائشة - رضي الله عنها - برقم خاص (٢٤) ، وعام (١٤٥٢) ، وكذا برقم (٢٥) .

(٥) صحيح مسلم الرضاع حديث رقم خاص (٢٠) وعام (١٤٥١) وهو من حديث أم الفضل رضي الله عنها .

وعن أم الفضل أن رجلًا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : كانت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى ، فزعمت الأولى أنها أرضعت الحرثى أي الجديدة . فقال نبي الله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم الإملاجة والإملاجتان »[١] وأخرجه مسلم .

وإذا فلابد من معرفة مقدار الرضعة الواحدة لضبط الخمس المحرِّمة .

قال بعض العلماء : إذا امتصَّ الطفلُ اللبنَ ، ثم توقف فهي رضعة ، سواء توقف لتنفس ، أو لتعب ، أو لانتقال من ثدي إلى آخر ، فإذا عاد فهي رضعةٌ أُخرى ، وقيل : المصة رضعة لقوله ، صلى الله عليه وسلم : « لا تحرم المصة والمصتان » فدل على أن خمس مصات تحرم فكل مصة رضعة .

الشرط الثاني : أن يكون الرضاع في الحولين لقوله تعالى :

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾[٢] .

فما بعد الحولين ليس بزمن رضاع فلا يحرم ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « انظرن من إخوانكن من الرضاعة ، فإنما الرضاعةُ من المجاعة »[٣] .

وعن أم سلمة رضي الله عنها ، « لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء وكان قبل الفطام » رواه الترمذي وصححه[٤] .

---

(١) مسلم في الصحيح الرضاع حديث رقم خاص (١٨) وعام (١٤٥١) من حديث أم الفضل رضي الله عنها .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٣٣) .

(٣) البخاري في الصحيح الشهادات باب (٧) حديث رقم (٢٦٤٧) من حديث عائشة - رضي الله عنها - ومسلم في الصحيح كتاب الرضاع حديث رقم خاص (٣٢) من هذا الوجه واللفظ .

(٤) الجامع للإمام الترمذي برقم (١١٥٢) من حديث أم سلمة - رضي الله عنها - وصححه الترمذي .

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - مرفوعًا وموقوفًا، قال: «لارضاع بعد فصال» رواه البيهقي في السنن[١]، كما روي أن رجلًا جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، فقال: كانت لي وليدة، وكنت أطؤها، فَعَمِدتْ امرأتي إليها فارضعتها، وقالت: إن جاريتك هذه صارت ابنتك فقال: أوْجع امرأتك أي: اضربها وأْتِ جاريتك فإنما الرضاعة رضاعة الصغير[٢].

وأما قِصّةُ سالم مولي أبي حذيفة فهي رخصة لسالم كما قاله بعض أزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم[٣].

الشرط الثالث: أن يصل اللبن إلى الجوف، أما إن مجّه الطفل، أو كان الثدي ليس فيه لبن وإنما يتلهى به مثل المطاط فلا يحرم.

وسواء وصل اللبن إلى جوف الصبي من طريق المص من الثدي، أو من طريق الشرب بإناء، أو وجور، أو من طريق الهبوط مع الأنف، فإنه يحرم إذا كان مقدار خمس رضعات. ويثبت الرضاع بشهادة امرأة مرضية؛ لما روى البخاري عن عُقبة بن الحارث: أن امرأة سوداء زعمت أنها أرضعته هو وامرأته، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «كيف وقد قيل»[٤] وفي رواية: «دعها عنك»[٥] وبعض العلماء قال: إن كانت دعوى الرضاع بعد الدخول فلا يكفى فيه شهادة امرأة، وإن كان قبل

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى موقوفًا على علي - رضي الله عنه - [٧/٤٦١] وقد روي مرفوعًا هكذا قال البيهقي: وقد أخرجه مرفوعًا من حديث جابر - رضي الله عنه - [٧/ ٣١٩، ٣٢٠].

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن طريق الشافعي وهو يروى عن مالك عن عبد الله بن دينار قال: جاء رجل إلى ابن عمر، ثم ذكر ابن عمر - رضي الله عنهما: أن رجلًا جاء إلى أبيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم ذكر القصة وإسناده صحيح.

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - مسلم في الصحيح برقم خاص (٢٦) وعام (١٤٥٣) وأما خصوصية لسالم هذا الأمر فهو أيضًا في مسلم برقم خاص (٣١)، وعام (١٤٥٤).

(٤) إشارة إلى حديث عقبة بن الحارث - رضي الله عنه - خ برقم (٢٦٤٠) الشهادات [٥/٢٥١].

(٥) خ برقم (٥١٠٤) كتاب النكاح باب (٢٣) شهادة المرضعة وهو من حديث عقبة بن الحارث - رضي الله عنه - وفيه هذا اللفظ [دعها عنك].

الدخول أخذ بشهادتها .

إذا علمنا هذا فينبغي أن نعلم مدى سريان التحريم ، وإلى من يمتد .

يختص تحريم الرضاع بالطفل الذي شرب اللبن ، دون بقية إخواته فيكون المرتضع ابنًا للمرأة التي أرضعته ، وابنًا لزوجها . وأخا لأولادهما ؛ ولأولاد أحدهما سواء السابقين لرضاعهة ، واللاحقين فيما بعد وتكون جميع محارم أبويه من الرضاع محارم له مثل الجدات ، والعمات ، والخالات والأخوات ، وبنات الأخوات ، والإخوة إلا أن الحقوق المالية لا تجب بالرضاع مثل النفقة .

وهنا نقطة مهمة يجب الانتباه لها ، وهي : إذا أرضعت امرأة طفلًا من قبيلة ، وطفلة من أخرى ، سواء كانا في زمن واحد أو متقارب أو متباعد صارا بهذا الرضاع أخوين ؛ لأن كل واحد منهما صار ابنًا لها فتسرى بينهما الحرمة والمحرمية .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، واضبطوا الأمور خشية الوقوع في المحذور .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم .....

(١) سورة النساء آية رقم (٢٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والخمسون

٦ / ١١ / ١٤٠٩

[الطلاق الرجعي والبائن]

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين[١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله القائل : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

اللهم ؛ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وسلم ربنا على نبيناوعلى إبراهيم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فكما أن الإسلام حث على بناء الأسرة وتكوين البيوت النظيفة حَثَّ أيضًا على تماسكها وترابطها ، وعالج المشاكل الجانبية ، ورفأ الصدوع الطارئة ومامن بيت إلا ويحصل فيه مشاكل وخلاف على بعض الآراء والاختيارات أو بسبب الغفلة ، أو السهو عن بعض الحقوق ، أو التساهل في بعض الواجبات .

ومن ذا الذي تصفو له الحياة ، وإنما الكمال والصفاء في دار الكرامة والنعيم جعلني الله وإياكم من سكانها .

ومهما يكن في البيت من خلاف جانبي ، أو تفاوت في وجهات النظر فلا

(١) سورة النحل آية رقم (٤) .

(٢) سورة الروم آية رقم (٢١) .

ينبغي أن يكون ذلك معول هدم لصرح البيت، ولا مكدرًا للحياة الزوجية، ولا قاطعًا للوصل، ولا قاصمًا للرابطة، وإنما تعالج وتزال المؤثرات بالتي هي أحسن.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

قال ابن كثير أي فعسى أن يكون صَبْرُكم في إمساكهن مع الكراهة فيه خير كثيرٌ لكم في الدنيا والآخرة. كما قال ابن عباس في هذه الآية: هو أن يعطف عليها فَيُرزق منها ولد ويكونُ في ذلك الولد خيرٌ كثير. وفي الحديث الصحيح لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة إن سخط منها خلقًا رضي منها آخر.

فلابد أن يُبنى البيت على الصبر، والتحمل، والمروءة، والنظر في المصالح، وتأمل العواقب، وعلى الشيم، والتجمل، والنفس البشرية قد تستغرقها اللحظة الحاضرة وما فيها من أوضاع وملابسات، وقد تغلق عليها منافذ الأمل في المستقبل فتعيش في آلام اللحظة الحاضرة.

وقد تَشْعر أنها حالة ستستمر معها، وهذا شعور ناتج من الغفلة عن قدرة الله وإرادته، وعن رحمته ولطفه بخلقه.

فقدرة الله دائمًا تعمل، ودائمًا تغير وتبدل، ودائمًا تنشىء ما لا يخطر على البال، وما لا يقع في الحسبان: فرجٌ بعد ضيق، وعسر بعد يسر، وبَسط بعد قبض، ومودة بعد بغض، وصحة بعد مرض، وولد بعد عقم؛ فينبغي للرجل والمرأة أن يصبرا وأن يتحملا، وأن يتوكلا على الله في كل شئونهما، وأن يُعلقا آمالهما بالله.

لكن إذا وجد أحد الزوجين في الحياة الزوجية ما لا يطاق معه الصبر ولا تتوفر معه المودة والرحمة، فالخالق تعالى لم يترك عباده في سجن الانفعالات، ولم يُغلق أمامهم الأبواب ولم تسد المسالك، بل جعل نظامًا للانفصال وحَلِ عُقدة النكاح.

فالحياة الزوجية إذا لم تَقُم على أساس تقوى الله، وعلى المودة والرحمة،

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٩).

واحترام المشاعر والحقوق ، فإنها تتحول إلى ميدان للشقاق ونكد العيش ؛ ولذلك أباح الخالق تعالى الطلاق وجعل له نظامًا سماويًا ، قال تعالى :

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴾[1] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[2] .

كان الناس في أول الأمر يطلق الرجل زوجته ما شاء بلا حدود ، ثم يراجعها فاشتكى بعض النساء للرسول - صلى الله عليه وسلم - فنزلت تلك الآيات وحددت للرجل ثلاث تطليقات فقط له حق الرجعة في الأولى والثانية ما دامت المرأة في العدة ، فإذا طلقها الثالثة انفصلت منه فليس له عليها سبيل ، ولا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره . فليس للزوج أن يطلق من نساء كيف شاء .

فالإسلام حافظ على حق المرأة وكرامتها ، ولاحظ شعور الرجل ، وانفعالاته ، فأعطاه الفرصة مرتين ، فالطلقة الأولى محكٌ وتجربة ، والطلقة الثانية إتاحةُ فرصة ثانية مثلُ اختبار الدور الثاني ، فإذا صلحت الحياة بعدها فذاك ، وإلا فالطلقة الثالثة دليل على وجود فساد في حياتهما الزوجية لا تستقيم معه العشرة ، أو أن الزوج مستهتر متلاعب بالقيم فيعاقب بحرمانه من حق الرجعة بعد الثالثة ، بل يُحرم من الزواج منها

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٠) .

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١) .

حتى تنكح زوجًا غيره .

فالإسلام لا يربط الحياة الزوجية بالسلاسل والقيود ، ولا بالحبال والأغلال ، وإنما يربطها بالمودة والرحمة ، أو بالواجب والتجمل ، والصبر ، والتحمل ؛ فإذا بلغ الحال بين الزوجين إلى حد لا تنفع معه الوسائل ولا الحلول المناسبة ، ولا العلاج الموصوف في القرآن والسنة ، فإنه لا يحكم عليها أن تقيم في سجن من الكراهية والنفرة أو في رباط ظاهري ونفرة وانفصام حقيقي .

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة ثابت ابن قيس أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ؛ ثابت بن قيس ما أعيب عليه من خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « أتَرَدين عليه حديقته » قالت : نعم . قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « اقبل الحديقة وطلقها تطليقة » .

فإباحة الطلاق فيه مصالح للزوجين الرجل والمرأة ، وقد يكون في حق المرأة أظهر ، لكن قد لا تبرز المصلحة في الساعة المواتية وقد تظهر فيما بعد .

وليس الطلاق حيث تعذر الوفاق بقاطع رزق أحد من الزوجين فالأرزاق بيد الله ، وقد وعدهما بالغنى ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سِعَتِهِ ﴾[1] .

مع هذا فإنه يجب على الأزواج التأني في الطلاق والبعد عن التسرع ، وإن يكون الطلاق لسبب أساسي ، يتعذر معه توفر المودة والرحمة ، ويصعب معه أداء الحقوق الزوجية ، فإنما جُعل الطلاق بيد الرجال ؛ لأنهم أكثرُ روية وأعمقُ نظرًا في العواقب ، ولكن بعض الأزواج لا يعرف قيمة ذلك ، ولا يهتم بالحياة الزوجية ، ولا يعرف نتائج الطلاق ، ولا يراعي شعور زوجه ، فإذا بالطلاق على لسانه دائمًا يتلفظ به الأدنى سبب ، بل وبدون سبب من المرأة ، فإذا وقع في شراك قوله وامتنعت المرأة من البقاء معه ، أو تدخل أهلها أخذ يبحث عمن يفتيه ويرد زوجته إلى عصمته .

وبعض الأزواج مستهتر بالحدود الشرعية ، ومتلاعب بالقيم الإسلامية ، فإذا هو

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٣٠) .

يطلق ثلاثًا وأربعًا وخمسًا متفرقات ، ويقول : إنني لم أقصد الطلاق إنما أردت حثها أو منعها أو تخويفها وقد تَنخدع زوجه بقوله ، وقد يكون لها ظروف صعبه فتبقى عنده بعد طلاق الثلاث ، ويتسترأن بستار الزوجية ، وهذا حرام فمتى طلقها ثلاثًا فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره ، وليس تراضيهما مبيحًا لما حرم الله ، أما إذا طلق الزوج ثلاثًا وأنكر ، فإذا كانت المرأة تعلم أنه طلق ثلاثًا متيقنات فلا يحل لها أن تبقى عنده وحرام عليها أن تمكّنه من نفسها ، ولا يجوز لولي أمرها أن يجبرها على السمع والطاعة له ، وأما القضاء فإنه يعتمد على الظاهر والبينات الواضحة ، روى أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة ، والدارمي عن رُكانة بن عَبْد يَزِيد ، أنه طلق امرأته البتة فأُخبِرَ بذلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وقال والله ما أردت بذلك إلا واحدة فقال ، صلى الله عليه وسلم : « واللهِ ما أردت إلا واحدة » فقال رُكانة : واللهِ ما أردت إلا واحدة ، فردها عليه ؛ فإذا كان اللفظ يحتمل الأمرين أخذ بقول الزوج ، وكذلك إذا كانت المرأة لا تعلم كم طلق ، فيترُك الأمر إلى ذمة الزوج ومسئوليته والله حسيبه .

وفي هذا الزمن كثر الطلاق قبل الدخول ، ولعل السبب التساهل في الاختيار وأيضًا تواصلُ الزوجين قبل الدخول المعلن فيحصل بينهما أوهام وظنون ، أو اختلاف على بعض الأمور أو يَتَدخل أهلها في شأنها فيحصل الطلاق ، فالأفضل ألا يمكن الزوج من الاتصال بزوجه إلا في دخول معلن ويذهبُ بها إلى منزله فيستقلا ويأخذ الحرية المطلقة والراحة الكاملة ، ويعالجان مشاكلهما وحدهما ، ويتحملان مسئولياتهما .

فاتقوا الله أيها المؤمنون .

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾(١)

أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه أنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٨١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

[طلاق السنة والبدعة]

الحمد لله رب العالمين ، شرع من الدين أقومه وهدانا صراطه المستقيم .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه ،

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن الطلاق له سنة وبدعة فما وافق نظام الإسلام فهو سنة ، وما خالفه فهو طلاق بدعة .

وذلكم أن الطلاق له عدد وزمن .

فالسنة أن يطلق الرجل امرأته طلقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، أو تكون حاملًا قد بان حملها ، أو تكون آيسة أو لم تبلغ المحيض ، فإن بدا له راجع وهي في العدة وإلا تركها حتى تنقضي عدتها فتخرج من عصمته .

وهذا عبد الله بنُ عمر - رضي الله عنهما - يحدثنا عن قصته كما رواها البخاري رحمه الله : طلق امرأته وهى حائض . فذكر عمر ذلك لرسول الله ،صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مُرْه فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهرَ ، ثم تحيضَ ، ثم تطهرَ ، ثم إن شاء أمسك بعدُ ، وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء » .

وذكر القرطبي رحمه الله عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال :

الطلاق على أربعة أوجه وجهان حلالان ، ووجهان حرامان ، فإما الحلالان : فإن يطلقها طاهرًا من غير جماع ، أو أن يطلقها حاملًا مشتبينًا حملُها .

وأما الحرامان : فأن يطلقها وهى حائض ، أو يطلقها حين جامعها لا يدري أشتمل الرحم على ولد أم لا ؟ وهذا الطلاق يقع عند الجمهور .

هذه بدعة الزمن ، أما بدعة العدد : فأن يطلق بأكثر من واحدة اثنتين أو ثلاث .

وهل يحسب طلاق البدعة أم لا يحسب ، الجمهور من العلماء على أنه يحسب ، وقد ذكر الإمام أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري الأقوال في هذه المسألة وأدلة الجمهور . والرد على أدلة الفريق الآخر لا يتسع المقام لذكرها فلتراجع في الجزء التاسع .

ويتُصور طلاق البدعة في العدد من جميع الزوجات المدخول بها وغير المدخول بها ، ذات الأقراء وغيرها .

أما بدعة الزمن فلا يكون إلا من المدخول بها ذات الأقراء ، لأن غير المدخول بها ليس عليها عدة .

وعِدة الحامل حتى تضع حملَها والصغيرة والأيسة ثلاثة أشهر .

فاتقوا الله أيها المسلمون .

اتقوا الله أيها المطلقون ، ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى قولًا كريمًا : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَه يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1] ..... إلخ الصلاة والدعاء .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والخمسون

١٤٠٢/٨/٥

[كاسيات عاريات]

الحمدُ لله رب العالمين[١] ، خلَقنا من العدم ، وربّانا بالنعم ، وفضلنا على كثير ممّن خلق تفضيلًا[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، كرّم بني آدم ، وحملهم في البر والبحر[٣] ، ورزقهم من الطيبات[٤] ، وأنزل إليهم لباسًا يواري سوأتهم ،[٥] وجمالًا يتجملون به ، وفضّلهم على كثير العالمين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبدهُ ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح للأمة . فلم يدَعْ خيرًا إلّا ودلَّهم عليه ، ورغَّبهم فيه ، ولا شرًّا إلّا نهى عنه وحذَّر منه .

اللهم ؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمَّا بعد .. فأوصيكم ، وإياي بتقوىٰ الله .

ثم اعلموا - رحمني الله وإياكم - أن الجاهلية التي تَناوَلَها القرآن الكريم ، والسنة المطهرة بالذم والتقبيح ، وتشنيع عاداتها ، تلك الجاهليةُ ليست فترة معينة في الزمان ، ولا تختص بجيل من الأجيال ، وإنما هي صفات اجتماعية ذاتُ تصورات معينة للحياة .

---

(١) الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٧٠) ، وإشارة إلى حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في هذا المعنى ، الترمذي في جامعه الدعوات برقم (٣٤٣١) باب ما يقول إذا رأى مبتلى وجه برقم (٣٨٩٢) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٧٠) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٧٠) .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف آية رقم (٢٦) .

ويُمكن أن توجد هذه الحالة ، وذلك التَصوُّر في أي زمان ومكان ، وفي أي جيل من الأجيال ؛ فمتى وجد كان دليلًا على الجاهلية حيث كان ، حتى ولو كان العلم التنظيم والتطور في الصناعات والتفكير في أمور الدنيا - متقدمًا فلا تخرج عن إطار الجاهلية ، إذا غلبت عليها صفات الجاهلية ، وإذا نظرنا إلى واقع العالم عرفنا أنه يعيش في فترة جاهلية ، غليظة الإحساس والتصوُّر ، حيوانية الأخلاق ، هابطة في تقاليدها إلى الحضيض .

وإذا استثنينا هذه المملكة المحروسة ؛ لتمسكها في الجملة بأخلاق الإسلام ، ولتحكيمها شرع الله ؛ ولإقامة الحدود ، فإن الداء الجاهلي قد تسرب إليها ، ولم نر له تطعيمًا ولا محاجر ، ويُخْشَى من سريانه .

نرى ما أخبر عنه - صلى الله عليه وسلم - ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ؛ قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياطٌ كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ ، مميلاتٌ مائلاتٌ رءوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة[1] ، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ، ليوجد من مسيرة كذا وكذا . وذكر في الترغيب والترهيب عن صحيح ابن حبان والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم[2] .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ يقول : « يكون في آخر أمتي رجالٌ يركبون على سُرج كأشْباهِ الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسياتٌ عارياتٌ ، على رءوسهنَّ كأسنمة البخت العجاف ، العنوهن فإنهن ملعونات ، لو كان وراءكم أمة من الأمم لخدمتهم نساؤكم ، كما خدمكم نساء الأمم قبلكم[3] .

إنها معجزات النبوة ؛ فقد وقع ما أخبر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) مسلم في الصحيح في اللباس والزينة ، وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات برقم : (٢١٢٨) ، وأخرجه البغوي في شرح السنة برقم : (٢٥٧٨) عن طريق الإمام مسلم به عنه .

(٢) هذا لفظ رواه مسلم برقم خاص : (١٢٥) وعام (٢١٢٨) كتاب اللباس والزينة ، عن حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ولم أقف عليه في المستدرك لو أخرج هذا الحديث لكان ناسيًا رحمه الله تعالى بأن مسلمًا قد أخرجه رضي الله عنهم .

(٣) هذا لفظ الإمام أحمد في المسند ص [٢٢٣/٢] من حديث عبد الله بن عمرو =

وإن الواقع ليفسر ما به قد نطق المصطفى - عليه الصلاة والسلام - ولقد أُعْطى - صلى الله عليه وسلم - جوامع الكلم[1]، وحسن البيان، وإن لم يحصل هذا في بلادنا، لكنهم في غيرها.

أما الرجال فهم المترفون المنعمون، بلغ بهم الترف إلى احتقار الناس وإئذائهم والغفلة عن واجبهم تجاه أسرهم ونسائهم، فلا يبالي الرجل منهم بما تفعل زوجته، أو ابنته، فهم على صور الرجال، وليسوا برجال؛ لأنهم فقدوا القيومية التي فضلهم الله بها، وفقدوا الرجولة المعنوية.

وأما النساء الكاسيات العاريات؛ فاللباس متوفر لديهن، ولكنهن يُسِئْن استعماله، فلا يكتسين ثوب الحشمة، فتلبس إحداهنّ ثوبًا رقيقًا يصف البشرة، أو ضيقًا البنطلون الذي يوضح أجزاء الجسم، ومكان العِفَّة، أو قويًّا مشقوقًا من الأمام، تلفحه الريح، فيبدو ما تحته، وغير ذلك مما ابتلي به مجتمعنا، من الأزياء المستوردة، أما الملائلات المميلات، فقد فسَّر الواقع هذه الصفة مائلات إلى الرجال غير المحارم، يزاحمنهم في الطرقات إذا مررن بالرجال يضحكن ويتغَنَّجن، ويُقهقن، ويلتفتن إليهم بحركات شيطانية ساحرة، وعبارات فاجرة ماكرة، تدل على الميول إلى الرجال، يتمايلن في مشيتهنَّ وهيئتهنّ بفعلهنّ هذا، مميلات للرجال إليهنّ.

فإذا رآها الذي في قلبه مرض، مال إليها وطمع فيها، وهذا مفتاح البلايا والرزايا، أما رءوسهن كأسنمة البخت المائلة. البُخت هي: الإِبِل فالجمل له سنام على ظهره، فإذا مال انسدل إلى الخلف، ويميل عادة إذا هزل.

وهذه هى بعينها مشطة الكوفيرة، وهي من صفات البغايا والمومسات، جاءت إلينا من المسارح والمراقص، فاستحسنها من لا أخلاق له، وتقلدها من لا معرفة عنده، وتصدى لها من لا يؤمن بخلق ولا فضيلة.

= ابن العاص رضي الله عنهما، وأورده الهيثمي في المجمع [١٣٧/٥] وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في الصحيح، المساجد برقم خاص (٥)، وعام: (٥٢٣).

هذا الصنف من الرجال ، وهذا الصنف من النِّساء مُحرَّم عليهم دخول الجنة ، وعملهم هذا كبيرة من الكبائر ، تجب فيه التوبة النصوح .

وهذا النوع من النساء اللائي هذه صفتهن لا خير فيهن ، ولا دين ، ولا خلق ، ولا حياء ، العنوهن بألسنتكم ، واطردوهن من بيوتكم ، فقد لعنهن الله على لسان نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وامقتوا فعلهن ، واحفظوا أهلكم من التشبه بهن ، فيدخلن تحت اللعنة مِثلهن .

إن المرأة المسلمة لا تستخف بإسلامها ، ولا تستهين بأوامر ونواهي نبيِّها ، ولا تخالف نظام دينها .

ما أجمل لباس الحشمة والعِفَّة ، وما أجمل المشطة الإسلامية ، ترسل الشعر إما مفرودًا أو مَظْفورًا .

إن الذوق بجمال الحشمة الطاهر النقي النظيف هو ذوق الفطرة ، وهو ذوق الرجولة ، وهو ذوق الإنسانية .

أما الذوق بملامح الجسد العاري ، المكشوف أمام الناس ، المبذول لكل ساقط ، فهو ذوق حيواني بهيمي ، ذوق ساقط سافل ، لا يريد إلّا الخلق السافل الساقط .

اتقوا الله يا أمة الإسلام ، وراقبن ربَّكُنَّ يا مسلمات ؛ إن الصحوة الإسلامية يجب أن تنير الخلق والسلوك ، كما تنير الفكر والعقيدة ، فلا يصح أن يؤخذ من الإسلام بطرف ، ويُترك طرف آخر .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم .

اللهم ؛ أصلح بناتِنا وذرياتنا وأزواجنا ، ونساء المؤمنين ، واحفظهن من دسائس الأعداء ، وساقط الأخلاق ، واغفر لنا .

(١) سورة الحشر آية رقم (٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل . وأشهد ألَّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، تفرد بالألوهية كما تفرد بالخلق والرزق ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، الصادق الأمين ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الأموالَ بِجَميع أنواعِها من الشهوات التي زُين حُبها للناس .

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[1] .

ولعله من الحكمة في ذلك تقويمُ هذه الحياة ، وحصول الترابط بين الناس ، وحب المال في ذاته غريزة في الإنسان ؛ فإذا كان كسب المال ، وصرفه بالطرق المشروعة من وحي السماء ، فهو محمود ومطلوب ، ﴿ **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾[2] وقال - صلى الله عليه وسلم - : « لا حسد إلَّا في اثنتين : رجل آتاه الله مالًا ، فسُلط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي بها ويعلمها » . متفق عليه[3] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى ، والنعيم المقيم ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل من أموالهم يحجُّون ويعتمرون ،

---

(١) سورة الكهف آية رقم (٤٦) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٧٥) .

(٣) خ كتاب العلم : [١/١٥١] ، [١/١٥٣] ، ومسلم في صلاة المسافرين برقم : (٨١٦)، كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - .

ويجاهدون ، ويتصدقون فقال - صلى الله عليه وسلم - ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكونُ أحدٌ أفضلَ منكم إلّا من صنع مِثل ما صنعتم ، قالوا : بلى يا رسول الله قال : « تسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون ، خَلْف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين » متفق عليه[١] .

وفي رواية لمسلم : « فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : سمع إخوانُنا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »[٢] .

أما إذا كان جمع الأموال من طرق محرمة ، وصرفه في طرق محرمة ، أو كان يصل إلى حَدٍّ استعباد صاحبه ، يشغله عن الواجبات ، أو كانت أرصدة في البنوك لا يُعطَى حقُ الله فيها ، ولا يساوي منها فقير ، ولا تُوصل بها رحم ، فهذا هو المحرم المذموم .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٣] .

﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾[٤] .

وهناك من الناس من ينطبق عليه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - كما في صحيح البخاري ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - « تَعِس عبد الدينار ، تعس عبد

(١) خ كتاب الأذان برقم : (١٥٥) ، وحديث رقم : (٨٤٣) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه ، ومسلم في الصحيح - المساجد : برقم (١٤٢) خاص من هذا الوجه ، واللفظ .

(٢) هذا اللفظ عند مسلم برقم خاص : (١٤٢) ، وعام : (٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة التوبة آية رقم : (٣٤) .

(٤) سورة البقرة آية رقم : (٢٧٥) .

الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطى رضىَ وإن لم يعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»[١].

والتصرفات المحرمة في الأموال، على الوصف المتقدم، هو الذي فتح الأبواب للأفكار الشّيوعية المكذوبة حتى دخلت بلاد المسلمين، وهي التي جعلت فجوة واسعة بين أهل الأموال والفقراء، فلوا أن هذه الأرقام التي نسمع عنها في البنوك تؤدى زكاتها على الوجه الصحيح؛ لما بقي فقير.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وكونوا مسلمين حقًّا، سيروا على نظام الإسلام في جميع أموركم، وفي كل حياتكم، وإلا فلا تلوموا إلّا أنفسكم ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾[٢].

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾[٣].

---

(١) خ برقم: الجهاد، باب: (٧٠) الحراسة في الغزو في سبيل الله، برقم: (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وابن ماجة في الزهد برقم: (٤١٣٥) من هذا الوجه واللفظ.

(٢) سورة النساء آية رقم (٧٩).

(٣) سورة الشورى آية رقم (٣٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والخمسون

١ / ٢ / ١٤٠٢

[التساهل في الطلاق]

الحمدُ لله رب العالمين .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[1] .

وأشهد ألَّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾[2] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

اللهم ، صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فأوصيكم وإياي بتقوى الله في السر والعلن .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ ﴾[3]

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

(٢) سورة الروم آية رقم (٢١) .

(٣) سورة الطلاق آية رقم (٢-٣) .

عباد الله؛ لقد حرص الإسلام على بناء أسرة الإنسان وتنْميتها وتنظيمها، والمحافظة على روابطها.

فرغب في الزواج، وأوصى بالتسهيل والتيسير، وجعل نظامًا للأسرة تسير عليه، وحفظ حق كل فرد فيها، وألزم كلًّا بالقيام بقسطه من المسئولية رغب في التحمل والصبر، وجعل القيادة والرئاسة فيها للرجل؛ لأنه غالبًا أكثر جلدًا، وأبعد نظرًا في العواقب، وجعل عُقْدة النكاح بيده لقيومته؛ فالمسئولية عليه أكبر، واللوم يلحقه أكثر؛ فيجب على الرجل أن يعرف للقيومية حقها، وأن يعطي ما فُضِّل به واجبه، وأن يتروَّى في أموره، وأن يتأمل عواقب الأمور، وأن يعرف لله حدوده، ولشرع الله أحكامه.

فلا يليق بالعاقل أن يهدم أسرته بدون مبرر، فإن هدم البناء دونه خراب، أو ما تقتضيه المصلحة حمق، إن بعض الرجال ينزل من مستوى الرجولة والثبات إلى مستوى الحمق والطيش، وعدم المبالاة بأسرته.

فالطلاق - دائمًا - على لسانه في أي وقت، وعند أبسط شيء، فإذا أراد أن يُلزم ضيفَه بضيافته طلق، وإذا أراد أن يصدّق خبرُه طلق، وإذا أراد أن يُكذِّب خَبَرًا طلق، وإذا تجادل مع زوجته في شئون البيت طلق، وهكذا، وكأنَّ الطلاق عنده قطعةٌ من الحلوى يتطعم بها في فمه، أو لعبة في يده، وبعضهم من حماقته يطلق ثلاثًا، ثم يذهب يبحث عمن يفتيه، فهو يهدم، ثم يبحث عمَّن يبين له، ويتحمل مسئوليته أمام الله.

فالواجب على الأزواج أن يتصفوا بالصفة التي فُضِلوا بها في جميع الأمور، التأني، والتروي، وإذا غضب داوى الأمر، إما بركعتين يُصليهما، أو بخروج من المكان، أو بقول غير محرم ينفس به عن نفسه ويطرد غضبه، أما الطلاق فلا يطلق إلا بعد اقْتِناع ورويه، وبعض الناس أو أكثرهم لا يعرف أن الطلاق له وقت بالنسبة لحال الزوجة؛ فالطلاق السني أن يطلق طلقة واحدة في طهر لم يحصل فيه وقاع.

أما الطلاق حال حيضها، فهو بدعةٌ ويقع الطلاق لحديث ابن عمر حُسبت

علي طلقة ، وكذلك الطلاق في طهر حصل فيه وقاع ، ولم يتبين فيه حمل - بدعة أيضًا ، وقع الطلاق ؛ أما إن تبين الحمل فليس ببدعة .

وإذا طلق الرجل امرأته وهي حائض ، يلزم مراجعتها وإمساكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم الخيار بيده إن شاء طلق قبل إن يجامعها وإن شاء غير ذلك .

لما في الصحاح عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسأل عُمرُ بنُ الخطاب رسولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : مُره فليراجعها ، ثم ليمسكها حتى تطهرَ ، ثم تحيضَ ، ثم تطهرَ ، ثم إن شاء أمسك ، وإن شاء طلق قبل أن يمس ، فتلك العِدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء .

فاتقوا الله عباد الله ، وراقبوه وتفهموا أحكام دينكم ، واعرفوا نظام إسلامكم لحياتكم ، واحتاطوا لاماناتكم وفرشكم ، وتَطهروا لنسلكم ، واسألوا ربكم الهداية والتوفيق .

اللهم ؛ أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ،

واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله لا نحصي ثناء على الله .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد .. فإن الأحكام الشرعية تُبنى على الظاهر ، أما السرائر فعلمها عند الله تعالى .

فإذا تكلم الإنسان بالطلاق أُخذ به ، وكذلك إن كتبه بخط يده .

والمرأة قد لا تعلم بالطلاق ثلاثًا ، وتعلم ، ولكنها مثله لا تحتاط لدينها ، وهذا حرام ، حرام أن تبقى المرأة عند زوجها بعد طلاق الثلاث ، والوقاع بعد ذلك زنا .

لا يجوز للمرأة أن تَطْلب من زوجها الطلاق بدون مبرر .

فعن ثوبان – رضي الله عنه – قال : قال – صلى الله عليه وسلم – : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقًا في غير ما بأس ؛ فحرام عليها رائحة الجنة » . رواه أحمد ، والترمذي ، وأبو داود ، وابن ماجة ، والدارمي .

وحرام على المرأة أن تدعي على زوجها بدعًا كاذبة لتبرر الطلب .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كونوا مسلمين حقًّا ، قولًا وعملًا وسلوكًا ؛ المسلم قد يسرق ، وقد يزني ، لكن لا يكذب ، فإن الكذب من صفات المنافقين .

وصلوا على البشير النذير .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والخمسون

٢١ / ٣ / ١٤١٣

[التعدد]

الحمدُ لله رب العالمين[١] ، يُحب التوابين ، ويُحب المتطهرين[٢] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر ، وأحل الطيبات ، وحرم الخبائث .

وأشهدِ أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، بيّن طريق الخير ، ورغب فيه ، وحذر من طرق الضلالة والردى .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك ، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اتبع سبيله ، وعمل بسنته .

أما بعد .. فإن الإنسان لم يُخلق عبثًا ، ولن يترك سدى ، وليست حياتُه فَوضى ، ولا وفق هواه وانحرافاته ، إنما هي حياةٌ منظمةٌ بأمر الله ، عامرة بالتكليف .

والقرآن الكريم ، وهو كلامُ العليم الخبير ، يُنظم حياةَ المسلم ، ويعالج مشاكلها ، والطوارئ عليها ، يعيش مع المسلم في خصائص ذاته ، لا يهمل منها شيئًا ، وينظم لقاءه بزوجه في فراشه ، فَهَيَّا بنا نتأمل قول الخالق تبارك وتعالى في هاتين الآيتين من سورة البقرة :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢) .

وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

كان اليهود يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها ، فلم يجالسوها ولم يُساكنوها ، ولم يؤاكلوها ، ولم يشاربوها ، وأخذ بعض العرب عادة اليهود ، أما النصارى فكانوا لا يبالون بالحيض ، فكانوا يجامعون نساءهم في المحيض .

فلما جاء الإسلام بالطهارة والنَزاهه ، وبالرحمة والشفقة ، وإكرام المرأة ، تَحَرَّج المسلمون من عادة اليهود ، ومن فعل النصارى ، فسأل بعض الصحابة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عما يحل للرجل من امرأته وهي حائض ، فسمع الله سؤالهم ، وعلم صالح نيتهم ، فأجابهم من فوق سبع سموات .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ الآية[2] .

فقال - صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » فبلغ ذلك اليهودَ ، فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع شيئًا من أمرنا إلا خالفنا فيه .

فكلمة المحيض تكون مصدريةً ، وتكون ظرفيةً ؛ فَهَى في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ مصدرية ، أي : عن الدم السائل من الرحم ، قل : هو أذًى ، والعاقل يجتنب الأذى ، ويَحْذَر منه ؛ فهو أذى في كل صفاته ، يضر بالرجل وبالمرأة وبالنطفة .

وأما في قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾ فهي ظرفية ، أي : فاعتزلوا النساء في مكان الحيض حال سيلان الدم ، أما المباشرة دون الفرج ؛ فهي مباحة ، بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح » أي : الجماع ، والمباشرة فيما دون المحل وسيلةٌ لقضاء الوطر ، وتطيبٌ لخاطر المرأة ، وإظهار للود ، وبيانُ أن مكانتها الزوجية عند بعلها لم تتغير لوجود العادة الشهرية .

والحيضُ دم جبله يُرخيه الرحم إذا بلغت المرأة ، ثم يعتادها في أوقات معلومة ،

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢ ، ٢٢٣) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢) .

خلق لحكمة تغذية الولد، فالجنين يتغذى بدم أمه؛ ولذلك لا تحيض الحامل، وإن وجد دم فهو فساد، لا تترك الصلاة والصوم من أجله، فإذا وضعت الولد حول الله ذلك الدم إلى الثديين، فصار لبنًا يتغذى به الطفل، ولذلك قبل أن تحيض المرضع، فإذا لم يكن حمل ولا إرضاع صار ذلك الدم فضالةً، يُخرجها الرحم بصفة منتظمة.

وأقل مدة الحيض بالاستقراء يومٌ وليلة، وأكثرُهُ خمسةَ عشر يومًا، وغالبه ست أو سبع، فما نقص عن يوم وليلة فليس بحيض، وما زاد عن خمسة عشر يومًا فكذلك إنما هما دمُ فساد تصوم، وتصلي، وتفعل الطاعات.

وقد تَزِيد أيامها عن ست أو سبع، وقد تنقُص، وقد تنتقل من وقت إلى آخر، وقد تَتَقَطَّع، ولكل حالة أحكامها.

ومتى انقطع دمها وجب عليها الغسل بالماء؛ فتَنْقُضُ شعرها، وتضربه بالمُشط وتنقيه؛ فإن لم تجد ماء تيممت حتى تجد الماء؛ لقوله تعالى:

﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

وقد عَلَّق الشرعُ على الحيض أحكامًا. منها: تحريمُ وطء الحائض في المحل؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ﴾، ومنها أنه يُسقط وجوب الصلاة عنها مدة عادتها، فلا تُصلي ولا تقضي الصلاة، ومنها أنه يَمْنع الصيام فلا تصوم وقت العادة، وتقضي عدة ما أفطرت من أيام أخر.

فيمنع قراءة القرآن، ومسَّ المصحف، واللبثَ في المسجد، فلا تطوف بالكعبة المشرفة حتى تَطهرَ، وتتطهر، ومنها يَحْرُم الطلاق وقت العادة؛ لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾(٢)

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٦).

(٢) سورة الطلاق آية رقم (١).

ولما طلق عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - امرأته وهي حائض ، أمر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، برجعتها وإمساكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، وتطهر ، ثم إن عزم الطلاق طلقها في طهر مستقل لم يجامعها فيه ، وهل يُعتد بالطلاق وقت الحيض ؟ فيه خلاف بين العلماء ، وجُعلت عدَتُها من الطلاق ثلاثة قروء ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾[1] أما الآيسة والصغيرة فثلاثةُ أشهر[2] ، وأما المتوفى عنها فأربعةُ أشهر وعشرةُ أيام[3] من تاريخ الوفاة ، وعدة الحامل وضع حملها ، وإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ** ﴾[4] مع قوله تعالى : ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾[5] عرض سؤال يطرح نفسه : ما هو الذي أمر الله ؟ وما هو الحرث ؟ الجواب : أمر الله تعالى بالطيب ، ونهىَ عن الخبيث ، والحرث هو مكان الولد الذي يغرس فيه الرجل نطفته ، يبتغي ما كتب الله ، والمباشرة مباحة فهي من الطيب ، فما عدى الطيب ، وما عدى مكان الولد ؛ فهو خبيث محرم ، ويحرم على الرجل أن يواقع زوجته في الدبر سواء كانت في العادة ، أو طاهرًا ؛ لقد وردت أحاديث كثيرة مروية من طرق متعددة ، ذكرها ابن كثير رحمه الله في التفسير نهى الرجال عن إتيان النساء في أدبارهن .

روى الحسن بن عرفطة ، عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « استحيوا من الله ، فإن الله لا يستحيي من الحق ، لا يحل أن تأتوا النساء في حشوشهن » .

وروى الإمام أحمد ، وأبو داود ، والنسائي بأسانيدهم إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ملعون من أتى امرأته في دبرها » . وفي رواية « ملعون من أتى النساء في أدبارهن » ، وسأل رجل عليًا رضي الله عنه ، عن إتيان المرأة في دبرها فقال - رضي الله عنه - سفُلت سفَّل الله بك ، ألم

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٨) .

(٢) راجع الآية الرابعة من سورة الطلاق .

(٣) راجع الآية رقم (٢٣٤) .

(٤) سورة البقرة آية رقم (٢٢٢) .

(٥) سورة البقرة آية رقم (٢٢٣) .

تسمع قول الله تعالى :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1]

وسأل رجلٌ ابنَ عمر فقال : ما تقولُ في الجواري أيحمض لهن . قال : وما التحميضُ ؟ فذكر الدبر قال : وهل يفعل ذلك أحد من المسلمين ؟ وأطلق بعض السلف الكفر على هذا العمل الخبيث ، إذًا ما معنى قوله تعالى : ﴿ **فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ . قال القرطبي رحمه الله : الحرث مكان الولد ، فالآية نص في إباحة الحال إذا كان الوطء في موضع الحرثِ أي : كيف شئتم من خلفٍ ومن قدام ، وباركة ، ومستلقية ومضطجعة . فأما الإتيان في غير الحرث ، فليس بمباح ولا يباح ، وذِكر الحرث يدل على أن الإتيان في غير المأتى محرمٌ .

وروى الترمذي عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : جاء عمر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ؛ هلكتُ قال : وما أهلكك ، قال : حولت رحلي الليلة ، فنزلت ﴿ **نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ** ﴾ أقبل ، وأدبر ، واتقى الدبر والحيضة .

والرجل لا يحل له من زوجته إلا ما أحل الله ، وعند أصحاب أبي حنيفة أن حكمَ من أتى امرأته في دبرها حكمُ عمل قوم لوط ؛ ولأن القذر والأذى في موضع النجْو أكثرَ من دم الحيض فكان أشنع .

وروي عن طاوس أنه قال : كان بدءُ عمل قَوم لوط إتيانَ النساء في أدبارهن ؛ فاعتادوا اللواط ، ووقعوا في الذكران ، فكانت عقوبتهم ، كما قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٨٠) .

(٢) سورة هود آية رقم (٨٣) .

فليست هذه العقوبة لقوم لوط وحدهم؛ وإنما يعاقب بها كل ظالم تعدى حدود الله، واستباح ما حرم الله.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ما بال أقوام تتشكى أزواجهم بأنهم يطلبون ما حرم الله، أليسوا مسلمين؟ أليسوا طاهرين؟ أليسَ فيما أحل الله كفاية لقضاء الوتر؟

اتقوا الله أيها الناس، واخشوا سطوته ومقته وعقوبته، أما يخشى أولئك أن تأتيهم غاشية من عذاب الله. اللهم؛ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وأغننا بالحلال عن الحرام، وبالطيب عن الخبيث، واغفر لنا ولجميع المسلمين؛ إنك أنت الغفور الرحيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله رب العالمين ، يعطي كثيرًا ، فضلًا منه وإحسانًا ، ثم يطلب قرضًا مردودًا أضعافًا .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، يعطي الجزيل ، ويقبل القليل .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أجود من الريح المرسلة . اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اقتفى أثره واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن مِنْ فضل الله وعظيم إحسانه رزقه الإنسان رزقًا حسنًا ، ثم يطلب منه قرضًا حسنًا مثابًا أضعافًا مضاعفه ، إنه الجود والكرم ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[1] .

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : نزلت الآية في أبي الدحداح ، قال : يا رسول الله ؛ إن لي حديقتين ، فإن تصدقت بإحداهما ، فهل لي مثلاهما في الجنة ؟ قال : « نعم » . قال وأم الدحداح معي ؟ قال : نعم . قال : والصبية معي ؟ قال : نعم ؛ فتصدق بأفضل حديقتيه ، وكانت تسمى الحُنينية ، قال : فرجع أبو الدحداح إلى أهله ، وكانوا في الحديقة التي تصدق بها ، فقام على باب الحديقة ، وذكر ذلك لامرأته ، فقالت أم الدحداح : بارك الله لك فيما اشتريت ، فخرجوا منها وسلموها .

فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول : « كم نخلة رَداح تدلي عروقها في

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

الجنة لأبي الدحداح » .

والآية الكريمة لم تُبيِّن مقدار الجزاء إلا مجملًا ، أضعافًا كثيرة ، لكن في آية أخرى مثَّل الصدقة بالحبة ، تزرع في أرض خصبه ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(١) .

هذه الآية تبين شرف النفقة في سبيل الله ، وفيها حث على الصدقة ، وترغيب في الجود والكرم ، والبذل والعطاء ، فإن الصدقة مُضاعفة عند الله للمتصدق (وما نقصت صدقة من مال شيئًا) .

روى ابن ماجة بسنده ، عن علي ابن أبي طالب ، وأبي الدرداء ، وعبد الله بن عُمر ، وأبي أمامة الباهلي ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر بن عبد الله ، وعمران بن حصين ، كلهم يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : من أرسل بنفقة في سبيل الله ، وأقام في بيته ، فلَه بكل درهم سبعمائة درهم ، ومن غزا بنفسه في سبيل الله ، وأنفق في وجهه ؛ فله بكل درهم سبعمائه ألف درهم ، ﴿ **وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(٢) .

﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(٣) .

---

(١) سورة البقرة أية رقم (٢٦١) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٥٤) .

(٣) سورة المنافقون آية رقم (١٠) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشرا** ..» إلخ الدعاء

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والخمسون

١ / ١ / ١٦

[عضل المرأة حرام]

الحمد لله رب العالمين، إنما يستجيبُ الذين يسمعون ، وإنما ينقاد لأمره ونهيه المؤمنون .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، اعتنى بالبيت المؤمن ، وحث على الترابط والوفاق .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، مَنْ أطاعه دخل الجنة ، ومن عصاه دخل النار .

اللهم ، صلِّ وسلِّم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين اصطفاهم ربهم وطهرهم ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى يعلم حاجة القلوب ، وصدقَ اتجاهها ، فيفيض عليهم مِنْ نِعَمه وسهل تشريعه وأحكامه .

ذلكم المنهجُ القويم الذي يواجه الواقع في حياة الناس في جميع الأحوال ، ولمعرفة الحَقيقة على وجهها نتأمل هذه الآية من سورة البقرة ، قال جلتْ عظمته وتقدست أسماؤه :

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] .

ذكر المفسرون سبب نزول الآية أن أبا البَدَّاح تزوج ابنة عمه فاطمة بَنتَ يسار

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢٣٢) .

أختَ معقل بن يسار، ثم طلقها طلاقًا رجعيًّا؛ إلا أنه تركها حتى انقضت عدتها، ولم يراجعها فحمي معقلٌ لذلك، ثم جاء البداح يخطبُها من معقل، ورغب فيها، ورغبت فيه؛ إلا أن أخاها امتنع من تزويجه، وقال: يا لكعَ بنَ لكع، منعتُها من الخطَّاب، وأكرَمْتك بها وزوجُتكهَا فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبدًا، وقال معقل لأخته فاطمة: وجهي من وجهك حرام إن تَزَوجتيه، فأنزل الله تلك الآية، فدعا رسول الله، صلى الله عليه وسلم معقلًا، وتلاها عليه فقال: رغم أنفي لأمر ربي، اللهم؛ رضيت وسلمت لأمرك، فدعا معقلٌ أبا البِدَّاح وقال له: أزوجك وأكرمك؛ فزوجه مُطلقته، وكفر عن يمينه، قال في الجامع لِأحكام القرآن: وفي الآية دليل على وجوب الولي في النكاح، وأن المرأة لا تزوج نفسها حتى لو كانت ثيِّبًا، ويضاف إلى الآية الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة الدالةُ على وجوب الولي في النكاح، والواقع يستدعى الولي؛ سدًّا للذرائع، ومنعًا لدعوى الزواج وهى غير صحيحة. فلو وُجدت امرأة مع رجل أجنبي قالا: تزوجنا ويأتيان بشهود، فتُصبحُ المسألة فوضى لا يأمن الرجل على ابنته، وأخته، ولا موليته، والشريعةُ الإسلامية سدت ذرائع الفساد، ومَنَعت الفوضى، وألزمت بأحكام الشريعة دون نظر إلى مُجَارات العادات والتقاليد، ودون مجاملة لأحد ولا إرضائه.

وأما تفسير الآية كما ذكره المفسرون فبلوغُ الأجل انقضاءُ العدِة الشرعية. والعضل: قِيلَ: الحبسُ والمنع، وقيل: التضييق وهو راجع إلى الحبس؛ فالاختلاف تنوعي.

وفي الآية دليل على وجوب رضا المرأة في تزويجها مع الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة وقوله: ﴿ **أن ينكحن أزواجهن** ﴾ أي أن يتزوجن الذين كانوا لهن أزواجًا. وقوله: ﴿ **إِذَا تَرَاضَوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾ قال في التفسير الكبير: أي: إذا تراضوا رِضا يوافق الشرع في عَقْد صحيح، ومَهْرٍ جائز، وشهود عدول.

وخصّ المؤمنين بالوعظ؛ لأنهم هم الذين ينتفعون به كقوله - سبحانه - ﴿ **هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ ﴿ **ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ** ﴾. الزكاة هي النما، وفيه إشارة إلى استحقاق الثواب، وقولهُ ﴿ **وَأَطْهَر** ﴾ إشارةٌ إلى إزالة الذنوب والمعاصي التي يكون حصولُها سببًا لحصول العقاب.

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ المعنى - والله أعلم - أن المكلف قد يعمل شيئًا يظن أن المصلحة تتوفر فيه، لكنه لا يعرف شيئًا عن الحقائق والنتائج، والمستقبل والله يعلمُ ذلك كلَّه، كقوله سبحانه:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[1].

والمقصود أن الآية نزلت بالحكم الشرعي. فمن عمل بها؛ فالله يعلم عمله ونيته، ومن لم يَعْملْ؛ فالله يعلم عِنادَه ومراده.

قال في التفسير الكبير السؤال الثاني لمَ خَصَّ المؤمنين بالوعظ دون غيرهم؟ الجواب، لوجوه، أحدها - لما كان المؤمن هو المنتفع به حسن تخصصه، كقوله: ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴾[2] ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾[3] مع أنه كان منذرًا للناس عمومًا، كما قال سبحانه: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[4] ثانيها - احتج بعض العلماء بهذه الآية على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الدين، والدليل قوله سبحانه:

﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[5].

فالإشارة المفردة ترجع للأحكام المتقدمة، فهو خاص بالمؤمنين، فَدَلَّ ذلك على أن التكليف بفروع الشريعة غيرُ حاصل إلا في حق المؤمنين، وهذا ضعيف لمخالفته ظاهر النصوص الشرعية ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾[4] ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾[6]؛

---

(١) سورة البقرة آية رقم (٢١٦).

(٢) سورة النازعات آية رقم (٤٥).

(٣) سورة يس آية رقم (١١).

(٤) سورة الفرقان آية رقم (١).

(٥) سورة البقرة آية رقم (٢٣٢).

(٦) سورة آل عمران آية رقم (٩٧).

فالكل مخاطب بفروع الشريعة ، كما هم مخاطبون بأصولها ، إلا أنه لا يصح الفرع إلا بالأصل ، وثالثها - إن بيان الأحكام الشرعية - وإن كان عامًّا في حق الناس كِلّهم ، إلا أن ذلك البيان وعظ مختصٌ بالمؤمنين ؛ لأن هذه التكاليفَ إنما تجب على الكفار على سبيل إثباتها بالدليل القاهر الملزمِ والمُعجِز ، أما المؤمن الذي يؤمن بحقيقتها ؛ فإنما تُذَكِّره ، وتَشْرحُ له صدره على سبيل التنبيه والتحذير . انتهى . والمسألة فيها خلاف أصيل بين العلماء .

فاتقوا الله أيها المؤمنون ، إن الخالق تبارك وتعالى اعتنى بالبيت المسلم عنايةً كاملة فجعل له أنظمة يُسار عليها في داخل البيت ، فبها صلاحه وصلاح الفرد والمجموعة ، وفيها سعادة البيت ، وربات البيت ، وفلاحُهم في الدنيا ، والآخرة ؛ فاشكروا الله على الهداية ، وعلى نعمة الإسلام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بما فيه من الآيات ، ولذكر الحكيم ، واهدنا لتلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا .

اللهم ؛ علمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نُسينا ، واجعل عَمَلَنَا ونِيَّاتنا خالصةً لوجهك ، وارزقنا خشيتَك في السر والعلن ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الأنفال آية رقم : (٢٤) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، له الفضل وله الثناء الحسن ، اللهم ؛ لا نحصي ثناءً عليك ؛ أنت كما أثنيت على نفسك .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله .

اللهم ؛ صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الخالق تبارك وتعالى جعل للبيت المسلم نظامًا يسيرون عليه في بُيُوتهم مع حَلائِلهم ، ففي سورة البقرة أجاب على سؤال عن المحيض بأنه أذى ، وأمر باعتزال الزوجات مدته ، فلا تواقع لكن الاختلاطُ في الفراش لمن أمِن الفتنة ، وفي المأكل والمشرب لا بأس به ، وذكر الإيلاءَ ، ومَنَع الأزواج من عضل الزوجات ، وذكر شيئًا من أحكام الطلاق والعِدد ، والحضانة ، والرضاعة ، والنفقة ، وطلاق غير المدخول بها .

وفي سورة النساء ذكر الميراث ، ومَنَع نِكاح المحارم ، وأجاز نكاح المملوكات بشرطين ، وجوز افتداء المرأة من زوجها ، وفي سورة النُّور بيَّن حكم القذف ، واللعانِ ، وفي سورة المجادلة ذكر الظهار ، وفي سورة الطلاق فصّل أحكام الطلاق .

وذكر عدةَ الآيسة ، والصغيرة ، وعدة الحامل ، وذكر حقهن في المسكن ، والنفقة مدة الحمل ، ومدة العدة إذا كان الطلاق رجعيًا . وفي سورة التحريم بيَّن أحكام طاعة الزوجات فيما حرم الله ، وفي سورة التغابن حذر من بعض الأولاد

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٥٤) .

والزوجات . وهناك أحكام متفرقة في سور متعددة غير ما ذكرت ، وفي السنة شيء كثير .

فاتقوا الله أيها المؤمنون « كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم » الحديث .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[1] .

ثم اعلموا أن الله أمركم بأمر لكم فيه خيرٌ فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[2] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا** » .

---

(١) سورة التحريم آية رقم (٨) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والخمسون

١٤٠٩/٧/٢٥

[حكم الظهار]

الحمدُ لله رب العالمين[١] ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، مستوٍ على عرشه[٣] ، وكل العالم في قبضته[٤] ، يسمع ويرى[٥] ، لا يشغله شأن عن شأن ، ولا حال عن حال .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ، ورسوله ، أعرف الناس بربه ، وأخشاهم لخالقه ، وأرحمهم بأمته .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان ، حتى الورودِ على حوضه .

أما بعد .. فإن سُورةً من سُور القرآن الكريم ، ذلك الكتابُ الذي تَتجاوب جنبات الوجود لكل كلمة من كلماته ، وهي تتنزل من الملأ الأعلى على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم - تُعْلِن تلك السورة في طياتها أن الله تعالى لا يشغله تَدْبِيرُ هذا الكون ، ولا رعايةُ هذا الخلق عن سماع شكوى امرأة من عامة المسلمين ، تلك المرأة التي تغُضُّ صوتَها عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتخبره بما قال زوجها وتجادلُه ، وتشتكي إلى الله[٦] ، وكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعن

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) سورة الشورى آية رقم (١١) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في كتابه في سبع مواضع ، ومنها في سورة الرعد (٢) وطه (٥) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الزمر آية رقم (٦٧) .

(٥) إشارة إلى معنى قوله تعالى في سورة طه آية رقم (٤٦) .

(٦) إشارة إلى سورة المجادلة آية رقم (١) .

أبيها في جانب البيت ، قريبةٌ منها ، ولا تسمع أكثر كلامها[١] ؛ ولكن الله تعالى يراها وهو عالٍ على خلقه ، مستوٍ على عرشه ، يسمع كلامها وشكواها من فوق سبع سموات .

فاستجاب لندائها ، ونَزَّل حُكمَه في قضيتها ، وأعطاها حقها ، ورسَم للمسلمين الطريق السوي لمثل مشكلتها ، وأشعر الأمة المسلمة بأن الله تعالى معهم في كل لحظة من لحظات حياتهم ، وأنه حاضر شئونَهم كبيرَها وصغيرَها ، معتنٍ بمشكلاتهم ، مُستجيبٌ لدعواتهم رحيم بأزَماتهم ، وهو الكبير المتعال ، وهو الغني الحميد .

روى الإمام أحمد - رحمه الله - بسنده عن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وعن أبيها - قالت : الحمدُ لله الذي وسع سمْعه الأصوات ، لقد جاءت المجادِلة إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تكلمه - وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله : ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[٢] .

ورواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا[٣] ، وفي رواية للبيهقي في السنن ، وابن أبي حاتم : أنَّ المجادِلة تشتكي وتقول : يا رسول الله ؛ أكل مالي ، وأفنى شبابي ، ونثرت له بطني حتى إذا كَبُر سِني وانقطَع ولدي ظاهر مني[٤] ، وزاد في التفسير الكبير ، وفي فتح القدير : إن المجادلة قالت : يا رسول الله ؛ إن لي منه صِبْية صغارًا ،

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها ، الذي عزاه السيوطي في الدر المنثور [٦٩/٨، ٧٠] إلى عدة مصادر حديثية ، إذ قال : « أخرج سعيد بن منصور ، والبخاري تعليقًا في الصحيح ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن ماجة ، وابن المنذر ، وابن مردويه ، والبيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، ثم ذكر الحديث اهـ قلت : أخرجه أحمد في المسند .

(٢) سورة المجادلة آية رقم : (١) .

(٣) كتاب التوحيد في البخاري : باب : (٩) [وكان الله سميعًا بصيرًا] ، ثم أورده معلقًا عن عائشة [٣٧٢/١٣] الفتح .

(٤) عزاه الإمام ابن كثير في تفسيره [٥٧١/٦] إلى ابن أبي حاتم في تفسيره ، وهو من حديث الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة - رضي الله عنها - ، ثم ذكر الحديث ، كما أورده غفيفة الخطيب رعاه الله تعالى وتولاه ... آمين وأخرجه ابن ماجة أيضًا في سننه .

إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «ما عندي في أمرك شيء»[1] وفي رواية قال، لها: «حَرُمْت عليه» فترفع رأسها إلى السماء، وتقول: اللهم؛ إني أشكوا إليك، فسمعها الحي القيوم الذي لا ينام ولا يغفُل عن شئون خلقه، فأنزل على نبيه - صلى الله عليه وسلم - الآيات الأربع من صدر سورة المجادلة فبشرها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلاها عليها. بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ۝٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

المجادِلة هى: خولة زوجة أوس بن الصامت - رضي الله عنهما - دخل عليها زوجها وهى تصلي، فأعجبته فلما سلمت طلبها للفراش، فامتنعت، وكان به حرص على النساء، فغضب وقال لها: أنت علي كظهر أمي، ثم ندم، وعاد إليها، وطلبها فامتنعت حتى تسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما قال زوجها، فنزل

(١) ذكر ذلك العلامة الشوكاني في تفسيره فتح القدير: [١٧٧/٥] بدون عزو، والله أعلم بصحته.
(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما، عزاه السيوطي إلى الإمام أبي بكر بن مردويه ص [٧٢/٨]، والآيات سورة المجادلة من آية رقم: (١-٤).

القرآن[١] .

وكانوا في الجاهلية إذا غضب الرجل على امرأته ، ظاهر منها ، فتَحْرُم عليه ولا تطلق فَيَذرُها كالمعلقة ، فأبطل الإسلام عادة الجاهلية وشرع حكم الظهار ، والظهار حرام ؛ لأن الله سماه منكرًا من القول وزورًا ، ولا ينقص عدد الطلاق ، ويحرم وطءُ المظاهر منها قبل الكفارة لا في الليل ، ولا في النهار ، دون غيرها من نسائه ، إلا في نهار صيام رمضان الكفارة ، والكفارة كما نصت الآية ، عتق رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا[٢] .

ولو خالف المظاهر ، وجامع قبل أن يكفر ، كان عاصيًا ، ووجبت عليه الكفارة ، ويَقَع الظهارُ المؤقت بزمن ، وتجب الكفارة إذا جامع قبل أن تَتِم المدة ، لما روى أبو داود ، والترمذي ، وحسنه ، وابن ماجة واللفظ لأبي داود ، عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر قال : كنت امرءًا أصيب من النساء مالا يصيب غيري ، فلما دخل شهر رمضان ، خِفْت أن أصيب من امرأتي شيئًا ، يُتَابع بي حتى أُصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهرُ رمضان ، فبينا هى تخدمني ذات ليلة ؛ إذ تَكشَّف لي منها شيء فلم أثبت أن نزوت عليها ، فلما أصبحت خرجت إلى قومي ؛ فأخبرتهم الخبر ، وقلت : ائتوا معي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا : لا والله ، فانطلقت إلي النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته فقال : « أنتَ بذاك يا سلمة ؟ قلت : أنا بذاك يا رسول الله ، مرتين ، وأنا صابر لأمر الله - عز وجل - فاحكم في ما أراك الله ، قال « حرر رقبه ، قلت : والذي بعثك بالحق ما أملك رقبة غيرها ، وضربت صفحة رقبتي ، قال : فصمْ شهرين متتابعين ، قال : وهل أصبت الذي أصبت إلَّا من الصيام قال : فأطْعِم وسقًا من تمر بين ستين مسكينًا . قلت : والذي بعثك بالحق لقد بِتْنا ، وخشَين مالنا طعام ، قال : فانطلق إلى صاحب صدقة بَني زُريق فليدفعها إليك ، فأطعمْ ستين مسكينًا وسْقًا من تمر ، وكلْ أنت وعيالُك بقيتَّها ، فرجعت إلى قومي ،

---

(١) إشارة إلى حديث خولة بنت ثعلبة - رضي الله عنها - أحمد في المسند ، وأبو داود في السنن ، وابن المنذر في التفسير ، والطبراني في الأوسط ، وابن مردويه ، والبيهقي في السنن الكبرى ، عزاه إليهم السيوطي في الدر المنثور [٧٠/٨] .

(٢) إشارة إلى معنى قوله في سورة المجادلة آية رقم (٣) .

فقلت : وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند النبي ، صلى الله عليه وسلم ، السَّعة وحسن الرأي ، وقد أمرلي بصدِقتكِم[١] .

ويجب التتابع في صيام الكفارة ولا يقطعه صيامٌ واجب ، كأن يبدأ بصيام شهر شعبان ، فيصوم رمضانَ ، ويفطر يوم العيد ، وُيتم بعدَ ذلك .

وكذلك إذا ابتدأ صوم الكفارة من أول ذي الحجة ، فإنه يفطر يوم العيد وأيام التشريق ، ويُتم بعد ذلك .

ولو شبَّه رجل زوجته بإحدى محارمه غير الأم ، كالأخت والعمة والخالة ، بأن قال : أنت على كظهر أختي ، فعند أكثر العلماء أنه ظهار .

أما إن شبهها بأبيه فقال : أنت على كظهر أبي ، فجمهور العلماء على أنه ليس بظهار .

وإذا قال الرجل لزوجته أنت على حرام ، ولم يشبهْها بإحدى محارمه ، فإن نوى بهذا التحريم ظهارًا ، فهو ظهار عند عامة العلماء ، وإن نوى طلاقًا فهو طلاق ، وإن لم ينو ظهارًا ولاطلاقًا فعليه كفارة يمين .

﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾[٢] .

لقوله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾[٣] ، وإذا قالت امرأة لزوجها : أنت عليّ كظهر أبي ، فليس بظهار ، ورأى بعض العلماء أن تكفر احتياطًا ،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور [٧٨/٨] إلى عبد الرزاق في المصنف ، وعبد بن حميد في مسنده ، وأحمد في مسنده أيضًا ، وأبو داود ، والترمذي ، وحسنه ابن ماجة في سننه ، والطبراني في الأوسط ، والبغوي في معجمه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن سلمة بن صخر الأنصاري - رضي الله عنه - ثم ذكر هذا الحديث بطوله وإسناده حسن .

(٢) سورة المائدة آية رقم (٨٩) .

(٣) سورة التحريم آية رقم (٢) .

ويكره أن يقول الرجل لامرأته : يا أختي أو يا أخيَّه ، وإن كان يعني في الإسلام . قال الخطابيُّ في شرح السنن : كَره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا لئلا يلحقه بذلك ضرر في أهل أو مال[1] .

وأما قول إبراهيم - عليه السلام - لما سأله جبار من الجبابرة عن زوجته من هي ؟ قال : إنها أختي ؛ فلأنه خشي عليها منه[2] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، اجتنبوا الألفاظ المتشابهه ، وحافظوا على كرامة أزواجكم ، واحفظوا أيمانكم .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، ربنا هب لنا من أزواجنا ، وذرياتنا قرة أعين ، ربنا هب لنا من لدنك رحمة ؛ إنك أنت الوهاب اللهم ؛ اغفر لنا .... إلخ .

---

(١) أخرج الحديث أبو داود في السنن برقم (٢٢١٠) وبرقم (٢٢١١) ، وفيه كره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أن يقول الرجل لزوجته يا أختاه .. وإسناده حسن .

(٢) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه خ برقم (١٣٥٨) كتاب الأنبياء [٦/٣٨٨-٣٨٩] الفتح ود : برقم (٢٢١٢) [٢/٢٦٤،٢٦٥] .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله رب العالمين[١] .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا محمدًا عبدُه ، ورسوله ، اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فمتى سقطت أحقية أُمّ الطفل في حضانته لتزوجها ، أو لعدم صلاحيتها للحضانة ، انتقلت الأحقية إلى أمها ؛ لما روى البيهقي ، عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد ، عن أبيه عن الفقهاء الذين يُنتهى إلى قولهم - في أهل المدينة ، أنهم كانوا يقولون : قضى أبو بكر الصديقُ - رضي الله عنه - على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه ، لجدة ابنه عاصم بن عُمر بحضانته حتى يبلغَ ، وأم عاصم يومئذ حيةٌ متزوجة[٣] .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، لا تضار والدة عن ولدها .

ثم اعلموا رحمكم الله أن الله تعالى أمركم بأمر ، بدأ فيه بنفسه ، وثنَّى بملائكته المُسَبحة بقدسه ، وثلث بكم أيها المؤمنون ، فقال جل من قائل : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٤] .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) سورة النحل آية رقم (٧٨) .

(٣) البيهقي في السنن الكبرى [٥/٨] ، وإسناده جيد .

(٤) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

وقال صلى الله عليه وسلم - «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه بها عشرًا».

اللهم؛ صلِّ وسلِّم[1] ..... إلخ الدعاء.

---

(١) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أخرجه مسلم في الصحيح، باب الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم برقم (٤٠٨)، والترمذي في جامعه برقم (٤٨٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والخمسون

٢ / ٨ / ١٤٠٩

[الرجال قوّامون]

الحمدُ لله رب العالمين ، خلق الإنسان ، ويعلم ما توسوس به نفسهُ ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد[1] .

وأشهدُ ألّا إله إلّا الله ، وحده لاشريك له ، أمر بالعدل والإحسان ، ونهى عن الفحشاء والمنكر .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، وصفوته من خلقه ، اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وأهل بيته الذين أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرًا .

أما بعد .. فإذا أراد أحد أن يكوِّن شركةً تجارية ، أو مؤسسة مالية ، جعل لها نظامًا تسير عليه ، واختار لها رئيسًا تتوفر فيه مقومات الرئاسة ، وحُسن الإدارة ، فإذا أهمل واجبه ، أو قصر فيه سُلب الثقة والاعتبار ، فإذا كان هذا شأن الإدارات الوقتية ، وهي تنتهي بتصفيتها لأي سبب من الأسباب .

فما بالكم بالمؤسسات التي هي أعظم قدرًا ، وأشرف واجبًا ، وأهم إنتاجًا ؛ إنها الأسرة التي تنتج الأولاد ، وتربي الأجيال ، وتبني الشعوب ورجالات الدول ؛ فبصلاح الأسرة تصلح الأمة وتسعد ؛ وبفسادها تخسر كل مقومات السعادة .

ولقد اعتنى الإسلام بالأسرة ، وجعل لها نظامًا يُحقق الترابط ، والبقاء ، والنجاح ؛ فجعل لها قيِّمًا تتوفر فيه القدرة ، والكفاءة ؛ ليُريحها ؛ وليسعدها قال الله تبارك وتعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟

---

(١) معناه في سورة ق آية رقم (١٦) .

مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾(١) .

وهذا من عناية الإسلام بالمرأة ، يحافظ على عزتها أن تُذل ، وعلى كرامتها أن تهان ، وعلى شرفها أن ينال ، وعلى عرضها أن يخدش ؛ لأن المرأة لها رسالة عظيمة في المجتمع ، وعليها واجب صعب ، ولها وظيفة ليست بالهينة يجب أن تفرغ لأداء مهمتها والقيام بوظيفتها ، والله تبارك وتعالى هو الذي خلق الزوجين - الذكر والأنثى - وأعطى كل واحد من الخصائص الخلقية والخلقية ، ما يتناسب مع وظيفته التي هُيء لها .

فالمرأة هُيِّئت لإدارة الأسرة في الداخل ، وإنجاب الأولاد ؛ فأعطيت العاطفة والرحمة ، وسرعة الاستجابة لمتطلبات الطفل بسرعة وبارتياح ، وأعطيت الصبر على أعباء الحضانة ؛ فلو أن امرأة خالية من الأطفال سمعت صبيًّا يصيح لتحركت أحاسيس الأمومة ، ومشاعر الوظيفة التي خصصت لها .

والرجل أعطي مقومات العمل والجهاد ، وتحمل المشاق ، والخشونة وصلابة العود ، وقوة النفس ، والقدرة على الكد والكسب ، والعطف على الأسرة ، وحمايتها . فالرجل عليه واجبات ، وله أعمال لا تستطيعها المرأة ، والمرأة لها وظائف وأعمال لا يستطيعها الرجل ، وهناك أمور مشتركة ، فبالتعاون ، والتعاطف ، وأداء الواجبات تنجح الأسرة ، وتُفلح ؛ لكن إذا أهمل أحدهما واجباته ، أو قصر فيها دب إليها التدهور ، ونشب فيها الفساد ، وصارت خطرًا على المجتمع ، والمهمل إذًا عضو في الأسرة أشل ومسئول فاشل .

وإذا تأملنا الأسرة في بلادنا ، وقارناها مع غيرها ، وجدنا الخير ، والاستقامة

(١) النساء آية رقم (٣٤) .

بفضل الله ، ثم بفضل إقامة شرع الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة العدل ، ومع هذا فإن بعض الأولياء مقصرون في واجباتهم نحو أسرهم ، وبعضهم يفقدون حُسن السياسة والرعاية ، فمنهم مهملون غافلون ؛ فهناك نساء شابات يخرجن من بيوتهن إلى الأسواق من غير ضرورة ، وإنما للتسوق والتجول في حالٍ تلفت النظر ، وتثير الشعور ، فتلبس إحداهن أجمل ما عندها ، وتتعطر بأذكى الروائح ، وتدخل في الدكان وفيه شاب وسيم .

وغالبًا ما يختار عُبَّاد المال عُمالًا من الشباب الوسيم ؛ ليجذبوا الزبائن إليهم ، وقد يكون أعزبًا ، أو بعيدًا عن أهله ، وغريبًا في البلد لا يخشى مذمة ، ولا عارًا ، وما لديه من الخشية والتقوى ما يحميه ، فتكشف تلك المرأة أمامه ما تكشف ، ويفوح من طيبها ما يفوح ، وهو يعرض عليها البضائع والملابس الداخلية ، وهذا ميدان إبليس وفرصته فيرقص بينهما ، وقد ذهب حجاب الحياء ، وزالت حواجز الخوف فما هي النتيجة إذًا اللهم سلم سلم ، واحفظنا ، وعافنا ، واعف عنا .

وولي أمرها المسكين لاه في عمله ، غافلٍ عما حوله ، لا يعرف أحوال الناس ، ولا يعرف مصالح التشريع ، أليس هذا مسئولًا أمام الله ؟ ثم أمام الناس عن غفلته وإهماله ؟ أو هو شيطان آخَرُ سلك مسلكًا مماثلًا ؟

وهناك صنف آخر من الناس سيىء الظن ، سليط اللسان ، يتهم بدون مبرر ، ويتخيل وهمًا ، فيجاهر زوجته بأوهامه ، ويقسو عليها ؛ لاتهاماته يسهر في الليل بعيدًا عن زوجه ، والله أعلم بما هو فيه ، فيعود إليها بسيىء الظنون وخواطره النفسية ، ومثل هذا العمل خطر على الأسرة ، وعمل خاطيء يكدر صفوها ، ويشتت شملها .

وصنف ثالث يأخذ زوجه لأصدقائه ، يسمران معًا ؛ فالواجب على الرجل أن يكون قيِّمًا بالمعنى الصحيح ؛ فيسلك الطريق الوسط ، حزمٌ مع حسن السلوك ، وطيب الكلام وسياسة الأمور ، لا إهمال ، ولا غفلة ، ولا سوء ظن ، ولا اتهامات ، كما أن الواجب على الرجل أن يضمن للأسرة كل ما تحتاجه ، وأن يحضر لها متطلباتها ، ولا يحوجها إلى الخروج ، والابتذال ، والاحتكاك بالشباب ، وسفهاء الناس ، وإذا كان ولابد من حاجة لخروجها ، فتكون بذلة لا عطورات ، ولا حلي ، ولا ثياب شهرة ،

ولا سفور، ولا خضوع في القول. ﴿وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

فاتقوا الله أيها المسلمون وراقبوه فإنه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[1].

اللهم بارك؛ لنا في القرآن العظيم.

---

(١) غافر آية رقم (١٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين[١] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن الإنسان يحيط به ثلاث عواطف غريزية ، قد تسيطر على مشاعره ، وقد تغلب على تصرفاته ، فيقع في المحظور وهذه الثلاث هي : العاطفة الزوجية ، ومودة الأولاد ، وحب المال .

وقد حذر الخالق - تبارك وتعالى - من بعض الأزواج وبعض الأولاد يقول سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين أمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم** ﴾ ، ولم يهمل جانب المال ، بل أعطاه حقه من التنبيه والتحذير ؛ فقال سبحانه في الآية الأخرى ﴿ **إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وأَوْلَادُكُمْ فِتْنة** ﴾[٢] الفتنة : هى الاختبار ، والابتلاء ، كقوله تعالى : ﴿ **ونَبْلُوكُمْ بالشَّر والخَيْرِ فِتْنةً** ﴾[٣] ولم تحدد الآية الكريمة نوعًا من أنواع الاختبار ، فهي عامة شاملة لكل معانيها ومقتضاتها .

وقد روى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن بريدة عن أبي بريدة : « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يخطب على المنبر ، فجاء الحسن والحسين ، - رضي الله عنهما - عليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويتعثران ، فنزل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من المنبر ؛ فحملهما ، فوضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هٰذين الصبيين يمشيان ، ويتعثران ، فلم

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٤) .

(٢) سورة الأنفال آية رقم (٢٨) .

(٣) سورة الأنبياء آية رقم (٣٥) .

أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما »[١] ، وهذا من رحمته وشفقته ، وعظيم خُلُقه ، صلى الله عليه وسلم ، وكمال تواضعه ، وفيه بيان شفقة الأبوة ، فالحسن والحسين ، رضي الله عنهما ، وأمهما فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رضي الله عنها .

فالزوج الذي يحمل زوجته على قطيعة الرحم مع الأقارب ، أو يحملها على العقوق بالوالدين ، وهجرهما ، والتقصير في حقهما لا شك أنه عدو ، والولد الذي يطلب من أبيه صرف الأموال في المحرمات ، أو الإسراف والتبذير ، إنما هو عدو .

والرجل الذي يطلب من زوجته الوقاع المحرم في غير مكان الحرث والنسل هو أيضًا عدو ، المال الذي يشغل صاحبه عن أداء الصلوات في أوقاتها ، أو تحمله الرغبة في الحال على منع الزكاة ؛ لاشك أنه وبالٌ وهلاكٌ ، ومن أشد الأعداء عداوة .والذي يحْمِلُه حبُ المال على الكذب ، والتزوير ، والتدليس ، والغش ، وأخذ ما ليس له ، وغمط حقوق الناس هذا سفيه ضائع قد وقع في فخ الفتنة ، وأخفق في الاختبار فاتقوا الله أيها المؤمنون .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾[٢] .

﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] .

وصلوا على البشير النذير .

---

(١) النسائي في السنن الصغرى كتاب الجمعة باب (٣٠) ، وكتاب العيدين (٢٧) ، وأبو داود كتاب الصلاة (٢٢٧) ، والإمام أحمد في المسند [٥/٣٥٤] ، كلهم من حديث بريدة ابن الحصيب الأسلمي - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

(٢) سورة التغابن آية رقم (١٦) .

(٣) سورة الحشر آية رقم (٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الستون

٢١ / ٨ / ٩٣

[تعليم الأولاد]

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإذا تأمل الإنسان ما حوله ، من أمامه ومن خلفه ، وعن يمينه وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته ، من موجودات هذا الكون العظيم من جمادات ، وحيوانات ، ونباتات ، وكواكب وأفلاك على اختلاف ألوانها ، وأحجامها وطبائعها ، وفوائدها ومضارها ، ودِقة صُنعها ، وبديع تنسيقها ، وإذا تأمل الإنسان أيضًا في نفسه ، في أصله ونشأته وأطواره ، وما فيه من التركيب العجيب ، والتصوير البديع ، وما فيه من الأجهزة المختلفة ، كلُ جهازٍ قائمٌ بعمله أتم قيام بدون إرادة من الإنسان ، وبدون اختياره ، وبدون جهد منه ، إذا تأمل ذلك بعقل سليم ، وبصيرة نيرة ، وإدراك مستقيم ، علم يقينًا ، أن خالق هذا الخلق ومدبر هذا الكون ، واحد أحد ، فرد صمد . حكيم ، عليم، ليس له شريك ولا ظهير ، ولا معين ولا وزير ، حي قيوم ، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ؛ فهو الذي يرفع القسط ويخفضه ﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾[2] وأنه هو الإله الحق ، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له ، بجميع معانيها وأنواعها .

فنحن نشاهد هذا الكون العظيم ، وما فيه من المخلوقات والتصرفات ،

---

(١) سورة الأنعام آية رقم (١) .

(٢) سورة الحج جزء من الآية رقم (٦٥)

والحركات ، والحياة والموت .

فلابد أن له خالقًا خلقه ، ومدبرًا يدبره ، ومسيرًا يسيره ؛ لأنه من المعلوم بالعقل والشرع أن كل مخلوق لابد له من خالق ، وكل مصنوع لابد له من صانع ، وكل أثر لابد له من مؤثر ؛ فالبعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير .

فلو قال إنسان :إن هناك سيارةً وجدت بدون صانع صنعها ، تسير في الأسواق يمينًا وشمالًا بنظام وتوازن ، تذهب وتعود ، تنقل حمولتها وتنزلها ، وليس لها مسير ، لا متصل بها ولا منفصل عنها ، لقيل إن هذا غيرُ معقول ، ولا يصدق به عاقل ؛ فينبغي إذًا أن ننظر بتأمل وتفكير في أنفسنا وفي محيانا ومماتنا ، وفيما نشاهده من النباتات ، وسائر الكائنات النامية توجد من العدم ، وتنشأ ضعيفة ، وتقوى شيئًا فشيئًا حتى تكمل قوتُها ، فتأخذُ في النقص والضعف ، حتى تَفْنَى ولا يبقى منها إلا البذور ، فتمكث مدة طويلة محتفظة بمفعوليتها ؛ فإذا وصل إليها الماء الذي ينبتها في وقت إنباتها ، نبتت بإذن الله .

ولننظر أيضًا إلى هذه المخلوقات العظيمة كالسماء ، والأرض ، والشمس ، والقمر ، والكواكب التي لها زمن طويل لا يعلم عددها إلا الله تعالى .

نجدها محفوظةً بنظامها وقوتها ، لا تتغير ولا تضطرب ، فمن الذي أوجد هذه المخلوقات ونظمها وسيرها وأعطاها خلقها ، وهداها لأداء وظيفتها ، وحفظها هذه المدة ، إنه هو الله ، الواحد ، القهار هو الله الخالق ، البارئ ، المصور ، له الأسماء الحسنى ، تعالى الله عما يقول الظالمون[1] والجاحدون علوًّا كبيرًا .

فهل يقول إنسان سليم العقل ، مستقيم الفهم ، منصف من نفسه ؛ إن هذه المخلوقات أوجدت نفسها ، وسيرت نفسها ، ونظمت نفسها ، وتهلك نفسها وتعيد نفسها مرة ثانية ، لا يقول هذا إلا من عميت بصيرته ، وتَغيرت فطرته ، وسبَقت شقاوته .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2] أيها

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية رقم (٤٣) .

(٢) سورة الحج آية رقم (٤٦) .

المسلمون، لقد انتشر دعاة الإلحاد، وتعدّدت أسباب الفساد، لصد المسلمين عن دينهم، ووجدت رواجًا في كثير من الجهات، وتوغلت في البلاد التي ضعف فيها سلطان الإسلام، فأصبحوا لا يعرفون في الإسلام إلا مجرد النسبة إليه، والتسمي باسمه فلا يُحرمون ما حرم الله، فلا يفرقون بين ما وافق الشريعة، ولا غير الموافق، ولا يحكمون بما أنزل الله ولا يدينون دين الحق، فلا تجد فرقًا في الجملة في العادات بين المسلم منهم وغير المسلم، ويخشى أن تمتد هذه الشرور إلى بقية أبناء المسلمين؛ فتشككهم في دينهم، وتفسد عليهم عقيدتهم، وتفسد أخلاقهم؛ فيُصبهم ما أصاب غيرهم الذين نسوا الله فنسيهم.

فواجب على أبناء الإسلام أن يعرفوا محاسن دينهم، وفضائله، وشمائله، وأن يدفعوا بنور الإسلام كل شبهة، أو بدعة تلقى عليهم، وأن يفهموا حقيقة الإسلام قولًا وعملًا وخلقًا، بحضور حِلَق الذكر، وسماع المحاضرات الإسلامية وواجب على الآباء والأمهات، وأولياء الأمور أن يعرفوا أبناءهم من الصغر بربهم، الذي خلقهم ورزقهم، وبدينهم الذي ارتضاه لهم، ونبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي اختاره الله مبلغًا لرسالته وشافعًا لأمته، وأن يَغْرسوا العقيدة الإسلامية في نفوسهم.

فما من مولود إلا ويولد على الفطرة[1]، صاف الذهن خال من الشكوك والزيغ، قابل للخير والتوجيه؛ فإذا لم يُملأ ذِهنه بالعقيدة الإسلامية الصحيحة فإن كل شبهة أو بدعة تلقى عليه يتقبلها، وقد تنمو في ذهنه حتى تسيطر عليه، وواجب على أهل الفكر الإسلامي من الموجهين والمربين، أن يكونوا داعين لله في جميع المواقف والمجالات، وأن يبينوا للناس محاسن هذا الدين، وفضائله، وفوائده، وأن يوجهوا الناس إلى الصراط المستقيم، وأن يوضحوا لهم الآيات الدالة على وجود خالق هذا الكون، ومدبر هذا الوجود، وأن يكونوا قدوة حسنة، ومثالًا يقتدىٰ بهم في أخلاقهم، وأفعالهم، وعاداتهم، كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسلف الصالح،

---

(١) إشارة إلى حديث جابر رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند [٣/٣٥٣]، وأيضًا من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - خ [١١/٤٣٢] القدر، ومسلم في الصحيح حديث رقم (٢٦٥٨).

الذين حملوا راية الإسلام ، وثبتوها في الآفاق ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] .

فيا أيها المسلمون ؛ أيها الشباب المسلم ؛ يا شباب الإسلام ، ويا شباب محمد ، صلى الله عليه وسلم ، الله الله ، تمسكوا بعقيدتكم الإسلامية ، وبإيمانكم بربكم الذي خلقكم ، وإليه معادُكم ، تأملوا في آياته ، ومخلوقاته ، ودلائل وجوده وقدرته ، واحذروا دعايات الإلحاد ، والتشكيك ، ودافعوا عن إيمانكم وإسلامكم ، فإن الله معكم يسمع ويرى .

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[2] .

اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، اللهم ؛ ثبتنا على الصراط المستقيم ، والإيمان الصحيح ، وأصلح بناتنا ، وذرياتنا ، واهدِهم سبل السلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، يا أرحم الراحمين . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة آية رقم (١٦٤) .

(٢) سورة غافر آية رقم (١٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه[١] ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه ، واستن بسنته .

أما بعد .. فإن أحسن الحديث كتاب الله - وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكلُ محدثة في الدين بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار[٢] ، فتمسكوا بكتاب ربكم ،واستنوا بسنة نبيكم ، تجدوا الخير والهداية ، والصلاح والسعادة ، واحذروا بدع المبتدعين ، فمن أحدث في هذا الدين ما ليس منه فهو مردود[٣] على صاحبه .

واحذروا القول على الله بغير علم[٤] أو نسبة شيء إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لم تكن في سنته ؛ فمن كذب عليه متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار[٥] .

وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبو ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض على الله ، فإنكم على أعمالكم محاسبون ، وعلى تفريطكم نادمون .

﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[٦] .

---

(١) إشارة إلى حديث رفاعة بن رافع الزرقى خ برقم (١٧٩٩) الاذان ، وأخرجه أحمد في المسند من حديث وائل بن حجر - رضي الله عنه - [٤/٣١٧] .

(٢) إشارة إلى حديث جابر الأنصاري ، مسلم كتاب الجمعة حديث رقم خاص (٤٣) ، وعام (٨٦٧) .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - خ الصلح [٥/٢٢١] ، وم : (١٧١٨) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة البقرة ، آية رقم (٨٠) .

(٥) إشارة إلى حديث متواتر رواه سبعون رجلًا من الصحابة - رضي الله عنهم - .

(٦) سورة الشعراء آية رقم (٢٢٧) .

وصلوا على خاتم الأنبياء والمرسلين فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المبين، فقال جل من قائل عليم:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

---

(١) الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الحادية والستون

٢٨ / ٧ / ٩٤

[التمسك بالفضائل]

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين[١] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، الإله الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، ومَن اهتدى بهديه ، واستن بسنته .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون والمسلمات ، أوصيكم وإياي بتقوى الله تعالى ، فهي الحصن الحصين ، والدرع المتين ، لمن تحصن بها وهى أجمل الصفات ، وخير اللباس .

عباد الله ؛ إن من أعظم نعم الله على الناس أجمعين ، ومن أكبر إحسانه على المؤمنين ، أن بعث فيهم رسولًا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة[٢] ، وينقذهم من الضلالة إلى الهدي ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم[٣] ، نبي كريم على رب العالمين .

اتخذه الله خليلًا ، وكلمه تكليمًا ، اصطفاه على جميع النبيين ، ورفعه درجة لم يبلغها أحد من العالمين – صلى الله عليه وسلم ــ شرع الله سبحانه على لسانه ، صلى الله عليه وسلم ، دينًا قيمًا ملة سمحة ، فيها صلاح الإنسانية كلها ، وفيها تنظيم حياتها ، وحفظ كرامتها ، وإصلاح مجتمعها ، وتهذيب أخلاقها ، فسمَى بالأمة الإسلامية إلى شرفات الفضل والكمال ، ورفع بها إلى قمة العزة والكرامة ؛ فكل أمره ونهيه – صلى الله عليه وسلم ، فيه خيْر الأمة ، وسعادتها .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢–٤) .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران آية رقم (١٦٤) .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المائدة آية رقم (١٦) .

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] .

فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك[٢] ، ولا يتيه عنها إلا أعمى البصيرة ، ولا يرغب عنها إلامن أزه الشياطين ، واتخذ إلهه هواه ، ومع الأسف الشديد أيها المؤمنون والمؤمنات ؛ إن هذا الدين القويم أخذ يعود إلى الغربة كما بدأ[٣] .

فالعقيدة الإسلامية الصافية النقية التي أرسى قواعدها المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وجاهد وقاتل من أجلها ، أخذت تدب إليها الأفكار الهدامة ، وكادت أن تخالطها البدع والضلالات .

ومكارم الأخلاق ، والفضائل التي أتمها - صلى الله عليه وسلم - قد تزعزعت قواعدها ، وعسر طريقها ، ذهب الحياء ، وغار ماؤه من الوجوه ، وخفت الغيرة من النفوس ، وسيطر الوهن على الأحاسيس ، وران على القلوب سيء الأعمال ، وتحكمت الشهوات والرغبات ، والتمس رضا المخلوق ، بسخط الخالق . وضعف سلطان الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وفقد التعاون على البر والتقوى ، ولم يبق إلا التلاوم والتتاكل ؛ فتخلت العامة عن واجباتها تجاه دينها ، وأبنائها ، وتكاسلت الخاصة عن أداء واجباتها ، وترك الحبل على الغارب ، ونشطت دعايات الكفر والخلاعة والضلال .

وأكثر الناس لا يشهدون الصلوات في بيوت الله ، وبعضهم يتركها بالكلية ، فهذه الأسواق ، والمقاهي والمعارض والمكاتب غاصة بالناس في أوقات الصلوات ،

---

(١) التوبة آية رقم (١٢٨) .

(٢) إشارة إلى حديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - أخرجه أحمد في المسند [١٢٦/٤] إسناده حسن مع الشواهد الكثيرة ، ومنها حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - جه برقم (٥) المقدمة .

(٣) إشارة إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح .. الإيمان حديث رقم خاص (٢٣٢) ، وعام (١٤٥) [١٣٠/١] .

وانتشر الربا، ولُعِبَ القمار، وكثرُ شرب الخمر والزنا، وتوفرت دواعي الخلاعة والغرام، وبعض النساء يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وبعضهن كاسيات، عاريات لباسهن يصف مواضع العفة والحشمة والإحصان، وبعضهن يمشين مشية تلفت الأنظار، يتدافعن في الأسواق أمام الرجال والشباب بكل وقاحة وجرأة، يصْفُقن في الطريق يَصْطدِمن وجها إلى وجه مع الرجال بدون حياء، ولا مبالاة، قد استشرفهن الشيطان، وبعضهن يتشبهن بالذكور في لباسهم، وبعض الذكور يتشبه بالإناث في لباسهن ومشيتهن، وحُليهن، وعاداتهن، فلا يميز منهم الذكر من الأنثى؛ إلا بعد تأمل طويل، ألم يعلموا أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لعن المتشبيهين من الرجال بالنساء، ولعن المتشبهات من النساء بالرجال[1]، فهل يرضى مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يكون هو أو ابنته أو ابنه مطرودًا مبعدًا من رحمة الله؟

وهذه بعض الطوائف الضالة، نشطت في نشر عقائدها المبتدعة، وتجرأت على إظهار أعمالها، المخالفة للشريعة النبوية، وتظاهرت بمخالفة أهل السنة والجماعة في عقائدهم، وعباداتهم.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[2].

وهذه دعوة الهدم والفساد سرًا وعلنًا، تدعو لاختلاط البنات بالأولاد، إنها دعوة تقتل الفضيلة، وتهدم الكرامة والعفة، والمثل الإسلامية.

فاتقوا الله عباد الله، يا أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

يا شباب الإسلام، ويا فتيات الإسلام؛ أين الروح الإسلامية؟ أين الحشمة الإسلامية؟ أين الفضائل والحياء؟

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ

---

(١) إشارة إلى حديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - خ في الصحيح اللباس [١٠/ ٢٧٩]، الفتح باب: المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال.

(٢) سورة الزمر آية رقم (٤٥).

ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

يا أهل الفضائل والمعرفة ؛ أيها الآباء والأمهات ؛ يا خير أمة أخرجت للناس يا أمة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ؛ ما هذا الوهن ؟ وما هذا التكاسل ؟ ، وما هذا التتاكل ؟ أين الغيرة الإسلامية ؟! أين الأمانة الربانية ؟! أين التناصح والتعاون على البر والتقوى ؟! .

اتقوا الله في أنفسكم ، اتقوا الله في أولادكم ، اتقوا الله في أمتكم .

﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2] .

كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته[3] ، استعينوا بالله واعتمدوا عليه ، واسألوه الهداية والتوفيق والإعانة[4] .

اللهم ؛ اهدنا الصراط المستقيم ، وأصلح بناتنا ، وذرياتنا ، وأصلح شأن المسلمين .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٢٦-٢٧) .

(٢) الأنفال آية رقم (٢٥) .

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - خ الأحكام [١١١/١٣] الأحكام ، ومسلم في الصحيح الإمارة برقم (١٨٢٩) باب فضيلة الإمام العادل .

(٤) إشارة إلى حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - خ الأحكام حديث رقم (٧٢٠٠) باب : (٤٢) ، باب كيف يبايع الإمام الناس ، ومسلم في الصحيح الإمارة حديث رقم خاص (٤١) .

اللهم ؛ أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه .

اللهم ؛ انفعنا بهدي كتابك ، وسنة نبيك محمد - صلى الله عليه وسلم - .

اللهم ؛ اغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، وتوبوا إلى الله واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله ، وأصحابه وأتباعهم بإحسان ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فيا أيها المسلمون ؛ اتقوا الله تعالى ، وراقبوه مراقبة من يؤمن بأنه يعلم السر وأخفى .

أيها الأخوة في الإسلام ، والأحباب في الله ؛ إنه من البوادر التي لا تبشر بخير ، والأخلاق المذمومة شرعًا ؛ ما يفعله بعض الناس من الوقوف أمام أبواب المساجد ، والجلوس عند المعارض والطرقات ، ينظرون إلى النساء نظرات شيطانية مسمومة ، وينظرن إليهم كذلك ويضيقون الطريق على السالكين ، ويؤذون المتحشمات من المؤمنات ولا يعطون الطريق حقه .

فاتقوا الله عباد الله ، اعطوا الطرقات حقها ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا شيمَكم ، وحافظوا على حصانتكم ، ومكارم أخلاقكم ، وردوا السلام على من سلم .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ﴾[1] .

عباد الله ؛ إن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال سبحانه :

---

(١) سورة النور آية رقم (٣١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم ، وبارك وأنعم على صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، اللهم ؛ ارض عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين ، وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

اللهم ؛ أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، اللهم ؛ انصر جيوش المسلمين ، وأيدهم بالنصر والتمكين ، وسدد رميتهم ، ووحد صفوفهم ، وألف بين قلوبهم وانصرهم على القوم الكافرين .

اللهم ؛ اخذل اليهود وأعوانهم ، وشتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وأذهب ريحهم ، واجعل الدائرة عليهم ، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين .

اللهم ؛ انصر واحفظ إمامنا ، وسدد خطاه ، ووفقه لما يصلح البلاد والعباد ، لما تحب وترضى . اللهم ؛ أدم علينا نعمة الأمن والإيمان ، وعلى جميع المسلمين ، اللهم أصلح ولاة أمور المسلمين ، واهدهم سبل السلام ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، واجعل ولاية المسلمين في يد من آمن بك واتقاك واتبع رضاك يا أرحم الراحمين . اللهم ؛ اغفر للمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات . اللهم ؛ فرج هم المهمومين ونفس كرب المكروبين ، واقض الدين عن المدينين واشف مرضى المسلمين ، اللهم ارفع عنا الغلاء والربا ، والزنا والزلازل والمحن ، وسوء الفتن ، وعن جميع المسلمين .

عباد الله .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١]

فاذكروا الله العظيم يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٢] .

---

(١) سورة النحل آية رقم (٩٠) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٤٥) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية والستون

٦ / ٨ / ١٣٩٤

[الحرية الصحيحة ، والحرية الكاذبة]

الحمد لله رب العالمين ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، فهو أهل الثناء والحمد ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله بلغ الرسالة كاملًا غير منقوحة ونصح لأمته ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعهم بإحسان ، وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1] .

أيها المسلمون والمسلمات ؛ لقد كثر الكلام عن الحرية والدعوة إلى الحرية ، وكل قوم يدَّعون بأن الحرية عندهم ، إلا أن النتائج تكشف الحقائق ؛ فلابد أن نعرف معنى الحرية الحقيقية ، والحرية غير الحقيقية ، فالحرية بالمعنى الصحيح تطلق على خيار كل شيء ، فيقال : فرس حر ، إذا كان خيارًا في أصله وفعاله ، ويقال : طين حر ، إذا كان جيدًا صالحًا للإنبات والانتفاع به ، ورجل حر ، وامرأة حرة ، إذا كانت فعالهما ، وخصالهما ، خيرة حسنة ، فالحرية الحقيقية هي التي فيها سعادة الإنسان ، وصلاحه ، ورفعته وعزته وكرامته ، هي التي ترفع الإنسان إلى قمة الفضل والكمال ، وتنهاه عن

---

(١) سورة النساء آية رقم (١) .

الخسة والرذالة، والابتذال، والانحطاط، وهذه الحرية الحقيقية بلفظها ومعناها، هي التي يتشوق إليها كل إنسان عاقل فاهم مدرك، له نظرةُ فَهْم في الماضي، وتأمُل وتعقل في المستقبل، وهذه الحرية هى التي جاء بها الإسلام، فكان العالم قبل الإسلام في جاهلية مظلمة.

كانت الإنسانية قبل الإسلام معذبة، فهي تقع بين القتل والسلب والنهب والظلم والاستبداد، لاحظّ للضعيف، ولا نصيب، ولا أثر للعدالة، والمساواة، الغلبة للقوي سواء بحق، أو بغير حق، وكانت المرأة في الجاهلية قبل الإسلام عند جميع الأجناس، عربهم وعجمهم، الحضر والبدو - مضطهدة مهانة، وعند البعض يبيح القانون للأب بيع ابنته، وعند البعض تبيح العادة قتل ابنته، ووأدها ودفنها وهي حية[1]، لاحظَّ لها في الرأي والمشورة، ولا نصيب لها في المال والميراث، فلما أراد الله بالإنسانية خيرًا؛ بعث الله نبيه محمدًا - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق فوضع - صلى الله عليه وسلم - قواعد العدالة والحرية والمساواة، ووضع جميع أمور الجاهلية تحت قدميه[2]، جاء بدين الإسلام والسلام، دين الأمن والاستقرار.

فحرم الظلم، وحفظ الحقوق، وجعل الضعيف قويًّا، حتى يأخذ له الحق، وجعل القوي ضعيفًا، حتى يأخذ منه الحق، وضع قواعدَ ثابتة، لجميع متطلبات الحياة يستوي فيها القوي والضعيف، والعربي والعجمي، والذكر والأنثى، وكان للمرأة من هذه العدالة الإسلامية، والحرية الإسلامية - الحظُ الأوفر، والنصيب الأكبر، رفع مكانتها وأعلى شأنها، وحفظ لها حقها، أخبر بأن المرأة شقيقُة الرجل[3]، لها عزتها

---

(١) تشير إليه آية التكوير آية رقم (٨).

(٢) إشارة إلى خطبة النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم عرفة، يوم حجة الوداع أخرجها أصحاب السنن: أبو داود، والترمذي، وابن ماجة، والدارمي في سننه كلهم من حديث عمرو بن الأحوص - رضي الله عنه - انظر ابن ماجة حديث رقم (٣٠٥٥) باب: (٧٦) باب الخطبة يوم النحر، ومن حديث جابر الطويل أخرجه مسلم في الصحيح، الحج، حديث رقم خاص (١٤٧)، وعام (١٢١٨) [٨٨٦/٢-٨٩٢]، وإنها خطبة بليغة للغاية وقد حملت في طياتها المعاني السامية الكثيرة وينبغي أن تفرد لها رسالة مستقلة لعظيم فوائدها وكثير آدابها وأخلاقها..

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - أخرجه أحمد في المسند [٢٥٦/٦]، =

وكرامتها ، أدخلها تحت الخطاب السماوي ، وتحت الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، جعل لها حق التملك والتصرف في مالها كالرجل على وفق قواعد الإسلام ، لتحقيق المصالح ، ودرء المفاسد ، أعطاها حصتها من الميراث ، وأوجب لها حق المشاورة في الزواج .

قسم أعمال المجتمع بين الرجل والمرأة ، لتحقيق التعاون والتكاتف ، والعمل على تطوير الإنماء والإنتاج ، وتوفير جميع متطلبات الحياة ، وللمحافظة على النظام والمسئوليات ، فأعطى كل جنس من الذكر والأنثى ، من الوظائف وأعمال المجتمع ما يتفق مع قدرته ، ويتلائم مع فطرته ، ولا شك أن مصالح الأمة العامة والخاصة ، لا تتوفر إلا بقيام كل من الذكر والأنثى ، بالأعمال التي تخصهما في المجتمع ، فلو أن أهل الاختصاص في صناعة العدة الحربية ، تخلوا عن اختصاصاتهم ، وتركوا مصانعهم لنفدت العدة ، ولو أن أهل الاختصاص بالحرب والمواجهة والحيل والكر والفر ، تخلوا عن اختصاصاتهم ، وتركوا مواقعهم لتسلط العدو ولو أن أهل الاختصاص في الحقل الاقتصادي ، تركوا أعمالهم لانهار الاقتصاد ، ولو أن أهل المعرفة والتعليم ، تركوا مدارسهم ، لفشى الجهل ، وهكذا ، وكذلك لو أن الرجل أو المرأة ترك أحدهم أعماله الخاصة به بأصل الفطرة والشرع والعقل الصحيح ، لفسد المجتمع ، وانهارت قواه ، وفسدت أخلاقه ؛ فالمرأة عليها واجب للمجتمع ، ولها رسالة هامة في الحياة ، ولها دور كبير في صناعة القوة المدافعة عن الدين ، والحقوق ، والبلاد ، عليها واجب كبير ومسئوليتها عظمى ، لا يصح أن تتخلى عنها ، ولا يجوز أن تهمل فيها ، وهي تنظيم الأسر ، وتربية الأولاد ، وتهيئة القوة البشرية ؛ فالقوة البشرية هي أساس كل قوة ، بل لا يحصل أي قوة إلا بطاقة بشرية ، تفكر وتعمل ، وتنتج ، وتجاهد .

كما أن الرجل عليه واجب عظيم ، وله رسالة في الحياة ، وهي بقية الأعمال في جميع متطلبات المجتمع التي هي خارجة عن اختصاص المرأة ، فعليه الكد والتعب ، وحماية البلاد ، والدفاع عن الحقوق والمحارم والأخلاق والديار ، عليه أن يتلقى ما تنتجه المرأة من رجال المستقبل ، وتثقيفهم وتقويمهم وتمرينهم على القوة والصلابة

= ومن حديث أمّ سليم رضي الله عنها أخرجه أحمد في المسند [٣٧٧/٦] بسياق طويل وإسنادهما حسن وأخرج الحديث أبو داود في السنن ، الطهارة : باب (٩٤) ، والترمذي في جامعه الطهارة : باب (٨٢) ، والدارمي في سننه أيضًا باب الوضوء : (٧٦) .

والرجولة ، وعَمل الأعمال المطلوبة منهم ، وتلقي المشاق ، والاستعداد للكفاح ، والجهاد .

هذه هي الحرية الصحيحة ، وهذه هي الإنسانية ، التي فيها صلاح الأمة ، وسعادة المجتمع ، واستقامته في جميع متطلباته .

أما الحرية بالمعنى الآخر أي الكاذبة ، فليست بحرية بل هى رق وعبودية ، فليس فيها أي صالح للفرد والجماعة ، بل فيها شر للفرد والجماعة ، وليس فيها أي خير ، بل هي فساد ودمار ، وهذه الحرية المزيفة الكاذبة ، هي التي قامت الدعوة إليها في هذا العصر المضطرب ، وهي التي يتشوق إليها بعض الناس من السذج ، وأتباع الهوى ، فدعاة هذه الحرية الماكرة قسم مسكين مغرور ، وقع في شباك التحلل ، والخلاعة ، ولم يَجد منها مخرجًا لضعف إرادته ، وعمي بصيرته ، فهو يدعو الناس ليقعوا فيما وقع فيه فيكونون سواء ، وقسم ماكر خبيث يسعى في الأرض بالفساد ، وهم مؤسسو هذه الحرية الفاجرة من الصهاينة ، والشيوعية أعداء الفضيلة ، وأعداء الرسالة ، أعداء الأمن والاستقرار .

﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[1] .

فهل دعاة هذه الحرية يدعون للطيب من القول والعمل ؟ هل يدعون إلى الفضائل والعفة والنزاهة والشيم ؟ كلا . إنما يدعون إلى الشك في العقيدة ، والحيرة في الحياة ، يدعون إلى دور الخلاعة والفساد ، إلى أسواق الدعارة ، والتحلل من الفضائل والأخلاق .

فيا أيها الناس ؛ أيها العقلاء ؛ أيها الشباب ؛ تأملوا هذه الحرية ، هل هى خيار من كل شيء ؟ أم هي رق وعبودية ؟ وخبيث من كل شيء ؟ تأملوا نتائجها .

فهل تنكر الإنسان للخالق المتفضل - جل وعلا - وجحد آياته والكفر بنعمه ، وتكذيب رسله ؟ هل هذه حرية تنفع الإنسان ؟ أم هي عبودية للشيطان واتباع للهوى ؟

---

(١) سورة المائدة آية رقم (٦٤) .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(١) .

هل خروج المرأة إلى مجامع الرجال ، والشباب كاشفة صدرها وفخذيها ، ومظهرة محاسنها ، ومفاتن زينتها ، دون حياء ولا مبالاة ، هل هذه حرية أيها العقلاء ؟ أم أنها خسة ونذالة وعبودية للشهوات ، والنفس الأمارة بالسوء ؟

هل ترجل المرأة ، ومشابهتها للرجال في الأعمال ، والاختصاص في كل ميدان ، وترك واجبها ومسئوليتها التي خلقت من أجلها هل هذه حرية محمودة ؟ أم هي خروج على المسئولية وجناية على الإنسانية والمجتمع ؟ وهل تخنث الذكور ، ومشابهتهم للإناث في الأزياء واللباس والحركات ، وبعض الخصائص هل هذه حرية ؟ أم هي تنكر للفضائل التي فضل بها الرجال على النساء ؛ وانحطاط في الأخلاق ؟ هذه حريتهم التي يدعون إليها ، فهل كل ما يخطر على بال الإنسان أو يحلق في خياله مما يعود عليه بالضرر والهلاك ، هل يحق له أن يفعله ، ويقول : إنه حرية ؟ وهل يسوغ لولاة الأمور والمصلحين أن يتركوه ، ويقولوا هو حر في نفسه وتصرفاته ؟ فهل يجوز للإنسان أن يهيم في متاهة الصحراء بلا زاد ولا ماء ولا راحلة يموت جوعًا أو عطشًا ، أو تأكله السباع ؟ هل هذه حرية يسمح له بها ويدعى إليها ؟

اتقوا الله أيها الناس ، انظروا في نتائج تلك الحرية الفاسدة عند أهلها ، أدت إلى الانحطاط ، والملل والسآمة .

اتقوا الله أيها المسلمون ؛ تمسكوا بدينكم ، وبأخلاقكم ومميزات حياتكم ،

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢) .

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (١٧٩) .

(٢) سورة الحشر آية رقم (١٩) .

(٣) سورة النساء آية رقم (٣٢) .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب ؛ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثالثة والستون

[تنظيم الغرائز في الإنسان]

الحمد لله رب العالمين ، خلق الإنسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو أقرب إليه من حبل الوريد[1] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، واحد في ألوهيته ، في ربوبيته ، وفي أسمائه وصافته وفي ملكوته .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..فأوصيكم وإياى بتقوى الله ، وبالنصح لكل مسلم ، وبأداء الآمانات .

ثم اعلموا أن الإسلام قد اعتنى عناية كاملة بالأسرة ، وأحاطها بمقومات الصلاح ، وأسباب الاستقامة ، وأولاها بالضمانات ، وجعل لها نظامًا في كل وضع من أوضاعها ، ولكل حالة من حالاتها ، ومن تأمل نظام الأسرة في القرآن ؛ عرف مكانتها عند الله ، وارتباطها بخالقها من مبتداها إلى منتهاها ، وأول لَبنات الأُسرة الصالحة التي ترتبط بربها - الزواج الشرعي ، والتقاء الذكر والأنثى على أساس طاهر نظيف ، لتنموا الأسرة على نظافة الأخلاق ، وطهارة الروح ، وبذلك ترتفع إلى مستوى القداسة المتصلة بالله في كل مراحلها ، وعلى طول الطريق .

الإسلام لا يصادم الفطرة ، ولا يكبت دوافع الشهوة ؛ وإنما ينظمها ، ويطهرها ،

---

(١) إشارة إلى آية رقم (١٦) من سورة (ق) .

ويرفع بها من المستوى الحيواني إلى المستوى الإنساني .

الإسلام يريد أن تصرف الغريزة الجنسية - وهي طاقة بشرية - فيما خلقت له في بناء مجتمع طاهر نظيف ، يريد أن يكون اتصال الذكر بالأنثى على أساس المشاعر الراقية الثابتة ، لا على أساس الشهوة الوقتية الزائلة ، على مستوى النفس ، والروح ، لا على مستوى الضمير الميت ، على مستوى الإنسان المفضل المكرم ، لا على مستوى الحيوان المذلل المسخر .

فالزواج الشرعي هو الذي يُكون حياةً مشتركةً بين الرجل والأنثى والأما مشتركة بينهم وآمالًا وآلامًا مشتركة ، ومودة متبادلة ، ومستقبلًا متعاونًا عليه ، وبناء أسرة راقية في الآداب والأخلاق ، وجيلًا جديدًا تحت قوامة ، وحراسة أمينة نظيفة .

لذلك حث الإسلام على الزواج ، وحث على التيسير فيه والتسهيل ، واختيار الأصلح دينًا وإنتاجًا . قال تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : رغبهم الله في التزويج ، وأمر به الأحرار والعبيد ، ووعدهم عليه بالغنى[2] .

وروى عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - قال : أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ؛ يُنجز لكم ما وعدكم من الغني[3] قال تعالى : ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[4] .

---

(١) سورة النور آية رقم (٣٢) .

(٢) ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره [٥/٩٤] إذ قال : قال : علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما ..

(٣) رواه ابن أبي حاتم في التفسير بإسناده عن أبي بكر رضي الله عنه ، ذكره ابن كثير في التفسير [٥/٩٤-٩٥] .

(٤) سورة النور آية رقم (٣٢) .

وقد زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - امرأة من رجل ليس عليه إلا إزار؛ ولم يجد إلا خاتمًا من حديد، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما معه من القرآن[١].

والشاب إذا بلغ توقدت فيه الغريزة الجنسية؛ لحكمة التناسل، ولم يَغْفُلِ الإسلامُ عن هذه الحاله؛ بل عالجها بأجمل علاج، وأنفعه، فقال - عليه الصلاة السلام - : «يا معشر الشباب؛ من استطاع منكم الباءة، فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»[٢].

أي يكسر حدة الشهوة، ويضعفها؛ لأن الصوم يقوي الإيمان، ويزيد التقوى، ويضيق مجاري الشيطان من الإنسان، والزواج إحصان، وصيانة، ووقاية. إن بقاء الإنسان البالغ بدون زواج وهو يشتاق إليه، ويقدر عليه، لا يرضي الله، ومخالف سنن المرسلين. لما توفيت سيدة نساء الجنة، فاطمة بنتُ الرسول - صلى الله عليه وسلم - زَوْجُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - سارع بالزواج، وقال لقد خشيت أن ألقى الله، وأنا أعزب.

والإسلام وهو دين الرحمة والتعاطف والتعاون قد حث على تيسير الزواج، والإعانة عليه، ورغب في تخفيف التكاليف، وتقليل المؤنة.

روى البيهقي بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «إن من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقًا»، وفي رواية «أيسرهن مؤنة»[٣].

وعنها - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من يُمن المرأة أن تتيسر خطبتها، وأن يتيسر صداقها، وأن يتيسر رحمها»[٤] قال

---

(١) إشارة إلى حديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما وذلك من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه البخاري [١٦٤/٩] الفتح ومسلم برقم (١٤٢٥) النكاح، باب الصداق.

(٢) في الصحيح [٩٢/٩،٩٥] من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - وكذا مسلم في الصحيح (١٤٠٠).

(٣) البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٥/٧] من حديث عائشة مرفوعًا، إسناده جيد.

(٤) البيهقي في السنن الكبرى [٢٣٥/٧] من طريق عبد الله بن المبارك، عن أسامة بن زيد عن صفوان بن سليم به عنها يروي البيهقي عن الحاكم بتحويلين.

عروة : وأنا أقول من شؤم المرأة أن يكثر صداقها[١] ، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : لا تغلوا في صداق النساء ؛ فإنها لو كانت مكْرمةً في الدنيا ، أو تقوى في الآخرة كان أولاكم بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٢] .

فيسروا يا عباد الله ؛ واحذروا المغالاة في المهور والبذخ والتبذير في الولائم ، والحفلات ، فإنها لا تزيد شرفًا ، ولا جاهًا ، ولا تعود على صاحبها إلا بالملامة والمذلة ، وكل شيء يصرف لغير حاجة تدعو إليه فهو تبذير ، قال الله تعالى :

﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾[٣] .

وما زاد عن الحاجة من المأكل والمشرب فهو إسراف ، والله تعالى لا يحب المسرفين[٤] .

ولينظر العاقل ماذا ينال من الإسراف ، والإكثار في حفل الزواج ، وصرف الأموال على المطربين والمداحين ، والسهر طول الليل في غفلة عن ذكر الله وقد يكون عمَّا أوجب الله من الصلاة . لا ينال منه إلا المقت من الله ، والذم من الناس ، والعقوبة المحرقة .

فاتقوا الله وكونوا مسلمين في جميع تصرفاتكم ، ولا يحملكم حب الجاه ، والظهور ، والكبرياء على معصية الله ، وإهانة نعم الله ، كل الناس يشكو من التوسع في الحفلات ، ويذمون صاحبه ، ويرغبون في التيسير ، والتخفيف ، ويثنون على صاحبه ، لكن ما هو الطريق التنفيذي لهذه الرغبات الحل هو : العقل ، والحزم ، والأخذ على أيدي السفهاء ، فلو اجتمع في كل بلد أعيانها ، ووضعوا خطة ميسرة يسار عليها ، ويمنع ما سواها ؛ لكان في ذلك خير إن شاء الله تعالى .

اللهم إنا نستغفرك يا غافر الذنب ، ويا قابل التوب فاغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) البيهقي في السنن الكبرى [٧/٢٣٥] .

(٢) البيهقي في السنن الكبرى [٧/٢٣٤] من طريقين عن عمر رضي الله عنه .

(٣) سورة الإسراء آية رقم (٢٦) .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في آية الأنعام رقم (١٤١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا[1] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ، ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ومن اتبع سبيله ، واستقام على ملته .

أما بعد .. فإن كفالة الأطفال ، وحضانتهم واجبة ، لحقهم ، ولحفظهم ، وتعليمهم وتربيتهم ؛ فلا يقر الطفل عند من لايحسن التربية ، أو يهمل فيها ، ولا يقر عند من سلوكه سيء وأخلاقه مُتدهورة ، لأن في ذلك ضررًا على الطفل ، يقدم من الأبوين والأقربين في توفر مصلحة الطفلة « جاءت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ؛ إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وإن أباه طلقني ، وأراد أن ينزعه مني ، فقال - صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تنكحي »[2] .

وروي أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قضى على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتسليم ابنه عاصم لأمه ، وقال : « ريحها ولطفها خير له منك »[3] .

---

(١) خطبة الحاجة والنكاح أحمد في المسند برقم (٤١١٦، ٣٧٢١) ، النسائي في النكاح [٦/ ٨٩] ، وابن ماجة برقم (١٨٩٢) ، والبغوي في شرح السنة برقم (٢٢٦٨) كلهم من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - وإسناده صحيح ، والبيهقي في السنن الكبرى [٣/٢١٤] .

(٢) أحمد في المسند [٢/١٨٢] من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه من جده عبد الله بن عمرو ابن العاص - رضي الله عنه - وإسناده حسن ، وأخرجه أبو داود أيضًا الطلاق باب رقم (٣٥) .

(٣) أخرجه مالك في موطئه برقم (١٤٥٤) ص (٥٤٥) بمعنى هذا الآخر وأخرجه البغوي في شرح السنة (٢٤٠٠) في [٩٤/٣٣٣] .

قال بعض العلماء : وإذا بلغ الطفل سبع سنين ، فالذكر يخير بين أبويه ، فمن اختار منهما صار عنده أما البنت فإذا تم لها سبع سنين قال بعض العلماء تكون عند أبيها وقال بعضهم تكون عند أمها حتى تتزوج[١] .

جاءتَ امرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ؛ إن زوجي يريد أن يذهب بابني ، وقد سقاني من بئر أبي عنبه ، وقد نفعني ، فقال عليه الصلاة والسلام ، للصبي : هذه أمك ، وهذا أبوك ، فخذ بيد أيهما شئت ، فأخذ بيد أمه ، فانطلقت به .

أما الأنثى فإذا بلغت سبع سنين ، فالأصلح لها أن تكون عند أبيها ؛ لرعايتها ، ولرفع شأنها وقدرها[٢] ، وإذا كان الطفل عند أحد الأبوين ، لنشوز أو فراق ؛ فلا يمنع من زيارة الآخَر ، بل يجب أن يُعلم البر ، والصلة ، ولا يجوز أن يجعل الأولاد أداة انتقام ، فيمنع من زيارة الأب ، أو الأم ؛ لقصْد الإساءة والانتقام . الطفل يتأثر نفسيًا وبدنيًا إذا رأى الخلاف بين أبويه ، فما بالكم إذا رأى الفرقة ؟ وجُعل أداة انتقام دون مراعاة لمصلحة ، ودون إحساس بشعوره ؟ .

ليس في مصلحة الصبي أن يترك هائمًا في الشوارع ، وفي النوادي دون رعاية ، وليس من مصلحة الصبيَّة أن تترك تتردد على الباعة ، والخياطين ، وتنتقل من دكان لآخر فاتقوا الله أيها المسلمون ؛ وأحسنوا رعايتكم ، وقوموا بولايتكم ، وأدوا أماناتكم . ثم اعلموا أن الله تعالى أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٣] .

---

(١) أحمد في المسند برقم (٧٣٤٦) ، ود : (٣٢٧٧) ، وت : (١٣٥٧) ، وجه : (٢٣٥١) كلهم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وإسناده صحيح .

(٢) أخرج معناه الإمام أحمد برقم (٦٧٠٧) ، وأبو داود برقم (٢٢٧٦) .. هو نفس حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص - رضي الله عنه .. - انظر شرح السنة للبغوي [٩/٣٣٣-٣٣٦] في هذا الموضوع .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الرابعة والستون

١٤٠٧/٧/٠٦

[وجوب الحجاب على المرأة المسلمة]

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له شهاده ادخرها ليوم الدين .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله الصادق الأمين .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، والتابعين بإحسان .

أما بعد ..فإن من أخطر البضائع الاجتماعية المستوردة من المدنية الغربية بضاعة خبيثه ، ودسيسة مأكرة ، خطرة ، ولقد وجدت رواجًا كبيرًا ، وقبولًا مدهشًا في الأمة المسلمة .

إنها مسألة الحجاب كشف المرأة وجهها دَخَلَت إلى بلاد الإسلام ، بواسطة بعض الوافدين إليها ؛ المتأثرين بالدعايات الغربية ، وبواسطة بعض أبنائها الذين يسافرون إلى البلدان المتأثرة بتلك الدعايات ، وما هو إلا تقليد أعمى ، واقتداء المغلوب بالغالب ، وخاصة في البلاد التي كانت تحت ضُغوط الاحتلال المعادي للإسلام ، لقد علم كل مسلم واع يعرف إسلامه ؛ أن الغرب نظر إلى الحجاب ، والنقاب ، وحشمةِ الإسلام ، وصيانته للمرأة بعين المقتِ ، والزدراء ، وصَوَّره أقبح تصوير ، وشنع عليه بكل وسائل الإعلام ، وبأنواع الدعايات ، والتمثيليات وَعَدَّ وقار المرأة في بيتها ، من أبرز عيوب الإسلام ، كما خالوا مثل ذلك في الجهاد والرق ، وتعدد الزوجات ، وإقامة الحدود فعدّهما أعداءُ الإسلام مآخذ على الإسلام ، والهدف معلوم ، وهو فَصْل المسلمين عن مصدر قوتهم ، وأساس عزتهم ونظام حياتهم ، وهو الإسلام ، وعن القرآن الكريم ، ومنهج سيد الأولين و الآخرين ، و ساعدهم على ذلك غفلة المسلمين

عن نصوص الكتاب والسنة ، وتقهقر العلماء عن الإيضاح والبيان ، بل إن بعض رجال الإسلام ، وقادة الفكر الإسلامي ورجال الإصلاح أحسوا بالتَّيار الجارف ، والضغوط المصاحبة له ؛ فانشلت فيهم الحركة الإصلاحية ، وضعفت الغيرة للإسلام ، وبعضهم يرى التيار الجارف أخذ يبحث في كتب الإسلام ؛ لعلهم يجدون ما يدفعون به نقد الغربين للحجاب ، فإذا أخذوا يحتجون بأقوالٍ لبعض العلماء التي تجُيز للمرأة أن تُبدي وجهها وكفيها ، وأن لها أن تخرج من بيتها لقضاء حوائجها ، وأن المرأة يجوز لها أن تشهد الحروب ، لسقي المجاهدين ، ومداواة المرضى ، كما وجدوا إذنا لخروج المرأة إلى المسجد للصلاة إلى المسجد للصلاة ، يضاف إلى ذلك ما يشاهدُه أبناء المسلمين قليلو الحظ في علوم الإسلام إذا سافروا إلى البلاد الغربية ، ومستعمراتها ، فيرون ما عليه نساء تلك الجهات من زينة ظاهرة ، وتبرج سافر ، وانطلاق في الشوارع ، والمعارض والمتنزهات ، والكبريهات ، ونشاط في الحركة الشيطانية ، فينظر إلى ذلك بعين غافلة عن إسلامها ، ويَتَأملونه بقلوب نائمة عن إيمانها ، وبمشاعر تائهة عن سلوكها فأحبوا أن تكون نساؤهم مثلَ نساء أولئك ، فتلقوا تلك الدعايات الكاذبة ، على أنها حقيقة ، وأفسحوا المجال أمام الحملة الغربية الماكرة ، وهل توقف الأمر على القول بجواز كشف الوجه والكفين ، والخروج إلى المسجد للصلاة ، أو للحاجة ؟ لا . بل جعل ذلك نقطة انطلاق إلى التحلل ، والتبرج الجاهلي ، وانهيار الأخلاق ، والخروج على فضائل العفة ، وعلى مكارم الأخلاق ، بل كان حربًا شعواء ضد الإسلام في بلاد الإسلام ، ومن أبناء المسلمين ، وهذا هو التخطيط ، وهو الهدف من تلك الدعايات ، ومن نقدهم لتعاليم الإسلام .

ومن أخبث الخداع ، والمكر إظهار الدعاية بأنَّ الإسلام يوافق النظام الأخلاقي الغربي ، والحقيقة أن الفروق شاسعةٌ في المبدأ والهدف ؛ فالإسلام نظم حياة الجنسين ، وجعل لكل جنس دائرةَ عَمل تتوافق مع طبيعته وقدرته ، وقسم مسئوليات الحياة على الجنسين ، ونظم الصلة بينهما ، وجعل لها هدفًا شريفًا ، وغاية محترمة تضمن حقوق المرأة في شبابها ، وعند كبرها ، وحافظ على كرامتها من الابتذال والإهانة ، وجعل لها ضمانات على الزوج ، وعلى الوارث ، وعلى بيت المال .

أما المدنية الغربية فإنها أهملت المرأة من الرعاية ، وتركتها هائمة باسم الحرية

يلعب بها الشيطان ويخدعها الشباب، وتلعب بها الأحزاب، همُّها إشباع الرغبة الحيوانية بدون هدف، والاتجاهُ خلف كل صاعق وناعق بلا غاية، والإسلام حينما يأمر المرأة بالحجاب، والوقار في البيت لايتهمها كما يظنه بعض المستهترين الذين جمعوا بين الجهل والحماقة، وإنما أمرها الإسلام بالوقار في البيت، وإخفاء الزينة والحجاب، محافظة عليها، وصيانة لكرامتها؛ فهي عزيزة على الإسلام، شريفة، كريمة في دين الله، فقد أعطاها الإسلام حقها المالي، والاجتماعي، والأدبي، وافرًا كاملًا غير منقوص، وأما التقاليد الأخرى فليست حرية، كما يزعم دعاتها؛ وإنما هي دجل على المرأة، وخداع لها، وإهدار لكرامتها، وكشف لجمالها ومحاسنها

وقد أدرك بعض علماء المسلمين خطر الفكر المستورد، وكذبَ الدعايات المسمومة؛ فقامت نهضة للمحافظة على ما بقي، ولإصلاح ما فسد، ولكنها مقاومة من دعاة المدنية المزيفة وأشياعها ﴿وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] وكثيرًا ما ترد أسئلة من بعض الشباب المسلم الفاهم الواعي من الذكور والإناث عن الحجاب وعن الزينة المسموح شرعًا بإظهارها، وعن صفة الضرب بالخمار على الجيب، وعن صفه إدلاء الجلباب على المرأة.

وإذا تأملنا نصوص الشريعة من الكتاب والسنة، وكلام العرب، وتفسير الصحابيات لآيات الحجاب لما نزلت وأنْصَفْنا من أنفسنا، وأبعدنا عاداتنا وتقاليدنا، وتحررنا من التعصب لها، عرفنا يقينًا أنه يجب على المرأة أن تغطى وجهها وكفيها عن الرجال الأجانب، إلا ما استثنى لحاجة كالنظر إلى المخطوبة، وعند الشهادة، أو التعريف، أو الكف عند الأخذ والعطاء في حدود المباح، وعند ضرورة العلاج وفي حدود الحاجة، والقول بوجوب تغطية وجه المرأة، هو ظاهر نصوص الكتاب والسنة، وإليكم طائفة منها باختصار مراعاة للمقام:

- قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٣٢).

(٢) سورة النور آية رقم (٣١).

الخمار: هو ما يوضع على الرأس يُغَطَّى به، والجيب: فتحة الثوب على الصدر؛ فإرخاء الخمار من الرأس إلى الصدر يقتضى تغطية الوجه.

والتعبير بقوله: وليضربن، تأكيد لإشْباع تغطية الوجه، والصدر مع الرأس بالخمار، فلا تكفى الغطوة القصيرة التي لا تصل إلى الصدر.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[1] فالمرأة مأمورة بإخفاء زينتها إلا ما ظهر، وهو ما يَتَعَذَّر سَتْره مثل العباء، والجلباب، والملحفة، والشرشف أما الوجه والزينة التي على الوجه، فيمكن سترها، فهى من الزينة الخفيَّة التي يجب سترها عن الأجانب.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ﴾[2]

وإن كان الخطاب في شأن أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضي عنهن إلا أن قوله ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ دليل على أن الحكم عام لكل المسلمات، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرهن؛ لأن كل مسلمة مطلوب منها أن يكون قلبُها طاهرًا، ولا يجوز تخصيص الحكم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا بدليل شرعي، والقاعدة الأصولية: أن أحكام الشريعة عامة شاملة. وإن كان المخاطب واحدًا، ولا يخصص إلا بدليل.

٤ - قوله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ﴾[3] الآية.

(١) سورة النور آية رقم (٣١).
(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٣).
(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).

الجلباب : كساء متين تغطي به المرأة جميع بدنها مثل العباءة والملاءة والشرشف ، فلا يجوز للمراة أن ترفع العباءة فوق حقوها ، بل ترخيها على جسدها كله ، ونحن في هذه البلاد السعودية - ولله الحمد - يحتجب نساؤنا الحجاب الشرعي ، فلا يرى منها وجه ، ولا يد ، فعلى الوافدين إلينا ، وعلى المدرسات تقوى الله في نِساءنا وإبقائهن على حجابهن وعفتهن وحيائهن يقتدين بأمهات المؤمنين . فقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ دليل على أن حكم الحجاب ، وتغطيةِ وجه المرأة عن الأجانب عام في كل المسلمات ، واجب على كل المؤمنات ، كما هو واجب في حق أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم .

٥ - قوله تعالى :

﴿ والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ﴾[1] .

فقوله ﴿ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾ مع قوله ﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ فإذا كانت المرأة الكبيرة التي لا رغبة لها في النكاح ولا رَغْبة للرجال في زواجها سمح لها أن تضع العباءة ونحوها ، ونُهيت من التبرج بالزينة الظاهره ، فغير القواعد لا يحل لهن أن يضعن العباءة أمام الرجال الأجانب وفيه دليل على وجوب تغطية الوجه ؛ لأن الآية نهت القواعد من التبرج بالزينة ، والوجه هو أساس الزينة وهى عجوز ، فكيف بالمرأة الشابة ؟

٦ - حديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : لما نزلت آية ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الجوانب فاختمرن بها » رواه البخاري - قال : في فتح الباري : اختمرن أي : غطين وجوههن .

٧ - حديث عائشة - رضي الله عنها - في الحج عند أبي داود بسند صحيح قالت : كان الركبان يمرون بنا ، ونحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا

---

(١) سورة النور آية رقم (٦٠) .

حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها ، فإذا جاوزونا كشفنا .

٨ - وروى الحاكم عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : كنا نغطي وجوهنا عن الرجال .

٩ - من أدلة وجوب تغطية الوجه عن الرجال الأجانب قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِن ﴾ ، فأمرها بإخفاء صوت الخلخال الذي في الرجل وهذا دليل بطريق الأولى على وجوب إخفاء الوجه ، خشية الفتنة إذ الوجه والكفان أشد فتنة من صوت الخلخال .

هذا ملخص ما ذكره المحققون من العلماء ومن أراد التفصيل ، وزيادة إيضاح ، فليراجع كتاب الحجاب ، وأضواء البيان في المجلد السادس .

فاتقوا الله أيها المسلمون ، كما أن المرأة تصلي ، وتزكي ، وتصوم ، وتحج طاعةً لله ولرسوله - صلى الله عليه وسلم - ورجاء ثواب الله ، وخوف عقابه ، فكذلك يجب على المرأة المسلمة أن تغطي وجهها عن الرجال الأجانب ، طاعةً لله تعالى ؛ ولرسوله ، صلى الله عليه وسلم ، ورجاء ثواب الله وخوفًا من عقابه .

اتقوا الله يا دعاة السفور ، هل أحد من العلماء قال إن السفور واجب حتى تدعوا إليه ، أم أن واحدًا قال : إنه مستحب حتى ترغبوا فيه ؟

الواجب عليكم أن تأمروا بما أمر الله به ورسوله ، وأن تنهوا عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، إنما الخلاف بين العلماء هل يجوز كشف وجه المرأة عند الرجال الأجانب أم لا يجوز ؟ وليس على الجواز دليل صحيح صريح رأو ، أما حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق الذي تحتج به دعاة السفور ؛ فقد أجاب عليهم أئمة الهدى ، وذكروا خمس علل تمنع الاستدلال ، فليرجع إليها في رسالة سماحة شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز في الحجاب أثابه الله .

اتقوا الله وراقبوه ، اللهم ؛ ألهمنا رشدنا ، وقنا شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، واغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، اللهم لا نحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ، ورسوله .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ، ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان واستقام .

أما بعد .. فأوصيكم وإياى بتقوى الله .. ذكر بعض النساء المسلمات المتمسكات بإسلامهن المطيعات لربهن ، الملتزمات بحجابهن ، ذكرن أن بعض الأزواج يُكره زوجه على أن تكشف وجهها أمام إخوانِهْ ، ويهددها بالطلاق إذا لم تفعل ، مع أنه مثقف ، ومتعلم ومن رجال التربية والتعليم ، وبعضهم يأمرها أن تجلس مع أقاربه ، وأبناء عمه ، وأخواله ، يأكلون سواء على المائدة ، ونقول لهؤلاء : اسمعوا قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الذي ، رواه البخاري ومسلم ، من حديث عقبة بن عامر الجهني - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : « يا رسول الله أفرأيت الحمو » قال : الحمو الموت » والحمو : هو قريب الزوج فالحمو إذًا أجنبي عن المرأة ، وليس محرمًا لها ، وقد سمعتم في الخطبة الأولى من وجوب ستر الوجه عن الرجال الأجانب ، وسمعتم أنه لا يجوز أن يسألها متاعًا إلا من وراء حجاب ، فكيف بك أيها المسلم وقد رزقك الله امرأة مسلمة ، متحشمة ، متعففة تأمرها برفع حجاب الحشمة عن وجهها ، إرضاءً لإخوانك وأبناء عمك ، أو مجاراة لهم على فعلهم ؟ اتق الله ، وكن عونًا لزوجك على مكارم أخلاقها وعفتها ، كن لها عونًا على طاعة ربها ، وحرام عليك أن تأمرها بمعصية الله ، ومعصية رسوله - صلى الله عليه وسلم - وحرام عليها أن تطيعك في معصية الله ، ومعصية رسوله - صلى الله عليه وسلم - فبئس صنعهم بئس ما يصنعون

وبئس الاخوان وأبناء العم والأقارب الذين يجلسون مع النساء غير المحارم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الخامسة والستون

١٨ / ١١ / ١٤٠٣

[من أهداف الزواج]

الحمدُ لله رب العالمين ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله .

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ، ورسولك ، نبينا ، محمدٍ ، وعلى آله ، وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فأوصيكم ، وإياى بتقوى الله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2] .

لقد كثرت المشاكلُ الزوجية ، وتنوعت أسبابها ؛ ذلك أن بعض الناس لا يعرف مقاصد الزواج ، ولا الحقوق الزوجية . بل بعض الناس يوقعه الشيطان في أم الخبائث ، وبناتها ، فيشرب المسكرات ويتعاطى المخدرات ؛ فتكون عنده امرأة طيبة ، عفيفة ، تستُر عليه ، وتحفظ بيته ، وفراشه ، وماله ، وتصبر على أذاه ؛ فإذا وعظته ، وخوفته بالله ، أو لامته في مال ، أو دين ، أو ذكرته ببعض أفعاله ؛ انهال عليها بأنواع السباب ،

---

(١) سورة الروم آية رقم (٢٠) .

(٢) سورة النساء آية رقم (١) .

والشتائم ، والتهديد .

هذا في غاية من السفه ، وفي منتهى اللوم والخسة ، وما يحمله على ذلك ؛ إلا أنه يحس في نفسه بالنقيصة ، وانحطاط كفاءة لتلك المرأة الطيبة ؛ فيحاول تغطية هذا النقص بإهانتها ، وهل ينفعه ذلك شيئا ؟ بل يزيده ذُلا إلى مذلة ، واحتقارا إلى حقارة ، فيتق الله هذا الصنفُ من الناس ، وليعلموا أن دين الإسلام ، أعطى المرأة حقها كاملًا غير منقوص ، وليعلموا أن الزواج لم يكن لقضاء الرغبة الجنسية فقط ، بل له أهداف سامية ، وله واجب شريف وهو طلب الولد .

إن من أهداف الزواج الأساسية : بناءَ البيت الصالح ، الذي ينتج أولادًا صالحين يعبدون ربهم ، ويصلون أرحامهم ويبرون بأهلهم ، ويساعدون في بناء مجتمعهم ، وخدمة أمتهم ، ووطنهم .

ووجود الخلاف في الأسره ليس بغريب ؛ فما من مجتمع كبيرا أو صغير ، حتى بين اثنين ، إلَّا ويحصل فيه خلافٌ عند تبادل الآراء وَوجهات النظر ، ولكنه لا يؤثر في أسس الأسرة وبنائها ، بل يعالج بالتي هى أحسن حتى يزول .

أما ما يفعله بعض الأزواج في التسرع في الطلاق ، وإخراج زوجه من المنزل عند أدنى خلاف ، ثم بعد لحظة يندم ويبحث عن الحلول .

وما يفعله بعض النساء ، فتخرج من بيت بَنَتْه ، وتترك أولادها ، ومملكتها ؛ لأدنى سبب ليس هذا من العقل ، ولا من الحكمة ، ولا يزيد الموقف إلا توترًا وحِدة ، فلابد من الصبر والتحمل ، والتماس الحلول المناسبة ، وخير الحلول ما ينص عليه القرآن الكريم ، والصلح هو أفضل السبل .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾(١)

---

(١) سورة النساء آية رقم (٣٥) .

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[1] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم ، وانفعنا بما فيه من الآيات ، والذكر الحكيم .

اللهم ؛ علمنا من القرآن ما جهلنا ، وذكرنا منه ما نسينا ، وارزقنا تلاوته على الوجه الذي يرضيك عنا ، ويسر به ألسنتنا ، ووفقنا للعمل به ، وتحكيم آياته ، واتباع منهاجه إنك على كل شيء قدير ، اللهم ؛ اغفر لنا ، ولجميع المسلمين ، إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢٨) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، واحد في ربوبيته، وفي إلهيته، وفي أسمائه وصفاته.

واحد في أمره ونهيه، وشرعه، وملكوته.

وأشهد أن سيدنا، ونبينا، محمدًا، عبده، ورسوله. تمّم مكارم الأخلاق، وطهر المجتمع من أدناس الجاهلية.

اللهم؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدىٰ بهديه، واقتفى أثره، واستقام.

أما بعد.. فكثيرًا ما ترد الأسئلة عن النمصِ، وُحكمِه في شريعة الإسلام. ومعلوم أن التشريع، وتقريره للحلال والحرام مبنى على النَّص من كِتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والنمص هو: نتف الشَّعرِ من الوجه كما قاله الإمام النووي في شرح مسلم، وقال في «القاموس»: النمصُ: نتف الشعر.

وغالبًا ما تستعمل النساء النمص، لترقيق الحواجب وتقويسها، من باب التجمُّل والزينة.

وأما حكمه في الشرع، فلا مجال للاجتهاد مع النص، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحهما. ورواه غيرهما عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: «لعن الله الواشمات، والمستوشمات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، ما لي لا ألعن من لعنه الله ورسوله، وهو ملعون في كتاب الله؟!» هذا لفظ البخاري[1]، وكل شيء رتب عليه لعن فهو كبيرة.

---

(١) صحيح البخاري [٨/٦٣٠] رقم (٤٨٨٦) فتح.

وزاد مسلم، قال: فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ يقال لها: أمُ يعقوب، وكانت تقرأ القرآن فأتته (أي عبد الله)، فقالت: ما حديث بلغني عنك، أنك لعنت الواشماتِ، والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، لقد قرأت ما بين لوحيْ المُصحف فما وجدته، قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ قالت المرأة: فإني أرى شيئًا من ذلك على امرأتك الآن قال: اذهبي فانظري. قال: فدَخَلَتْ على امرأة عبد الله بن مسعود، فلم تر شيئًا، فجاءت إليه، فقالت: ما رأيت شيئًا، فقال: «أمَّا لو كان ذلك لم نُجامعها»[1] أي: لم نخالطها ولم نجالسها، ولم نصاحبها، بل كنا نطلقها، ونفارقها.

فاتقوا الله عباد الله؛ اتقين الله يا نسَاء المؤمنين، إن النامصة هى التي تنتف الشعر، والمتنمصة: المنْتَوُفُ منها، والمتفلجات: اللاتي يبردن أسنانهن؛ للتفريق بينهن، من غير مرض؛ وإنما للحسن، والإيهام بأنها صغيرة شابة، والواشمات، وهن اللائي يضعن الوشم تغرز الجلد بإبرة فإذا دَمى، وضعت عليه ورسًا أوِ كحلًا فيخْضَرُّ، وقد: يجْعل نقشاتٍ مختلفة سواء في الوجه، أو في أي مكان من الجسد، والمستوشمة التي تطلب الوشم. هذه الأفعال من أعمال الجاهلية، وهو محرم، مصاحب باللعنة فلا يُحمل على الكراهة والتنزيه، بل هو كبيرة، ومن عمل الشيطان، الذي توعد به بني آدم، كما قال تعالى:

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَـٰمِ وَلَـَٔامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَـٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا

---

(١) صحيح مسلم [٣/١٦٧٨] برقم: (٢١٢٥).

مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[١] .

راقبوا ربكم، واعملوا بتعاليم دينكم، وسنة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - وانقذوا أنفسكم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٢] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١١٧-١٢٠).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السادسة والستون

١ / ١١ / ١٤٠٢

[حدود العورة]

الحمد لله رب العالمين[١] ، والعاقبة للمتقين .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه .

أما بعد ..فقد كثرت الأسئلة ؛ عما يحل النظر إليه من بدن الإنسان ، وما يحرم . وبعض السائلين يشير إلى كثرةِ المفتين ، وتنوع الأقوال ، وطلب مني بعضهم بيان ما يؤيده الدليل من الكتاب والسنة .

ينبغي أن يعلم أن سبب الخلاف بين العلماء المحققين في الفروع[٢] ؛ إما لأن الدليل بلغ أحدهم ، ولم يبلغ الآخر ، أو لصحته عند بعضهم ، ولم يصح عند الآخر ، أو لفهم يهبه الله لبعض دون بعض ، أو لتغير حال عن حال ؛ ولذلك نجد لبعض الأئمة في المسألة الواحدة قولين ، والكل إن شاء الله تعالى يُثاب على اجتهاده ، وعلى صوابه .

ومعرفة ما يباح النظر إليه ، وما يحرم ؛ يستلزم معرفة عورة الرجل ، وعورة المرأة ، فالعورة يجب سترها ، ومنع النظر إليها إلا لضرورة ، فالعورات بالنسبة للرجل مع المرأة ، والمرأة مع الرجل ، أربعة أقسام هي :

عورة الرجل مع الرجل ، وعورة الرجل مع المرأة ، وعورة المرأة مع المرأة ، وعورة المرأة مع الرجل .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) راجع رفع الملام ، عن أئمة الأعلام للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى ، وإنها لنافعة ومفيدة جدًّا في هذا الباب المهم .

فأما عورة الرجل مع الرجل ومع المرأة؛ فهي من السرة إلى الركبة، والفخذ عورة؛ لعدة أحاديث متضافرة[١]، وعورة المرأة مع المرأة، كالرجل مع الرجل؛ من السرة إلى الركبة.

وأما النوع الرابع، وهو عورة المرأة مع الرجل، فهو موضع المعركة، ومحل السؤال، فأما الزوج فله شأن خاص. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[٢].

وأما المحارم غير الزوج؛ فالذي يؤيده الدليل، ويوافق قواعد الشريعة ومقاصدها، أنه يجوز للرجل أن ينظر إلى وجه المرأة من محارمه، ورأسها، وكفيها، وقدميها فقط، ومعنى المحرم، أي: الذي يحرم عليه أن يتزوجها تحريمًا مؤبدًا؛ إما لقرابة، أو لرضاع، أو مصاهرة، أي: لنسب، أو سبب.

وأما ما وقع فيه بعض الناس من التساهل والإهمال، فليس بدليل على الإباحة، ولا يجوز التكلف من أجل إرضاء الناس.

وأما من قال: إن عورة المرأة مع محارمها من السرة إلى الركبة، فلم أجد عليه دليلًا من كتاب ولا من سنة، وليس من صفات العفة والحشمة، ولا يوافق مقاصد الشريعة وقواعدها، والمرأة كلها عورة، يجب سترها[٣]؛ إلا ما ورد الدليل بجواز كشفه، كما سيأتي، إن شاء الله تعالى.

وأما المرأة مع الرجل الأجنبي، فالذي يدل عليه الكتاب والسنة أنه يحرم على المرأة أن تكشف له شيئًا من بدنها لا الوجه، ولا الكفين، ولا القدمين، ويحرم على الرجل أن ينظر إلى شيء من بدن المرأة غير محارمه، وليس في ذلك مشقة، ولا

---

(١) قال البخاري في الصحيح، كتاب الصلاة، باب رقم: (١٢)، وعنوانه: باب ما يذكر في الفخذ، ويروى عن ابن عباس، وجرهد، ومحمد بن جحش، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، «الفخذ عورة»، ثم شرح وفسر الحافظ هذه التعليقات، ثم قال: في الفتح (١/ ٤٧٨،٤٧٩)، وقد ذكرت كثيرًا من طرقه في تغليق التعليق، وقد ذهب البخاري إلى أن الفخذ ليس بعورة، وقد رد عليه الإسماعيلي، ذكر ذلك الحافظ في الفتح [٤٧٩/١]، وهو الراجح، والله أعلم.

(٢) سورة البقرة آية رقم (١٨٧).

(٣) لم أقف على هذا اللفظ مرفوعًا، وإنما هو معنى صحيح، يؤخذ من عدة آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، ومنها قوله تعالى في سورة النور: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ آية رقم (٣١)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

تكلف، فخير لها ألّا ترى الرجال ولا يروها، والألبسة المخصصة متوفرة.

وقد حقق العلامة صاحب أضواء البيان - رحمه الله تعالى - هذه المسألة، تحقيقًا شافيًا كافيًا، وذكر الأدلة على وجوب ستر الوجه عن الأجانب من الكتاب والسنة، ورد القول بجواز كشف وجهها، وأجاب عن أدلة المجيز عند تفسير آية الحجاب في سورة الأحزاب[1].

وملخص ما قاله - رحمه الله - في سبعة أدلة على وجوب الستر:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[2].

فتعليل الأمر بالحجاب بطهارة القلوب - دليل على أن الحجاب واجب على نساء المؤمنين، كما هو واجب على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الطهارة مطلوبة للجميع، بل غير أهل البيت أحوج؛ لأسباب الطهارة والعفة منهن.

٢ - الدليل الثاني على وجوب تغطية الوجه، قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾[3].

إنه لا نزاع بين المسلمين في وجوب ستر الوجه على أمهات المؤمنين، فذِكرُ نساء المؤمنين معهن دليل على أن ستر وجوههن عن الأجانب واجب، وأيضًا قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ﴾ أي: بِسَتر الوجه الذي هو الحجاب، وتغطية البدن بالجلباب.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[4] ثم قال: ﴿وَلَا

(١) ذكر ذلك في كتابه أضواء البيان عند تفسير هذه الآية الآتي.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٣).

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٩).

(٤) سورة النور آية رقم (٣١).

﴿يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ الآية ؛ فالزينة نوعان : ظاهرة يتعذر سترها ، كالجلباب ، والعباءة فوق الثياب ، فهي ما ظهر من الزينة[١] .

والنوع الثاني : ما يمكن ستره ، وهو ما لامس الأعضاء ، كالحلي ، والحناء ، والكحل ، وهو ما أبيح للمحارم النظر إليه ، ومنع الأجانب عنه .

٤ - سبب نزول آية الحجاب ، أن النساء كن يكشفن وجوههن ؛ فيعْرض لهن الفُساق ، فأمرن بالحجاب ؛ ليعرفن بالحشمة والعفة والحصانة ، لا بكشف الوجه والتبرج .

٥ - قوله تعالى : ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾[٢] .

فالمرخص لها في وضعه من الثياب ، هو العباءة والخمار عن الوجه ؛ لأنه لا حاجة لها في الرجال ، ولا حاجة لهم فيها ، لكبر سنها ، وتغير منظرها ، فخفف عنها ؛ لضعفها ؛ ولعدم الفتنة فيها .

ولم يقل أحد : إنها تتجرد من ثيابها ، فدل ذلك على أن المرأة الشابة لا تضع خمارها ، ولا جلبابها أمام الأجانب .

٦ - الدليل السادس على وجوب ستر وجه المرأة عن الأجانب :

فعل نساء المؤمنين لما نزلت آية الحجاب ، شققن من مروطهن ، واختمرن بها . قال في فتح الباري : أي : غطين وجوههن[٣] .

---

(١) إشارة إلى أثر عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد صحيح عنه عند تفسير هذه الآية الكريمة .

(٢) سورة النور آية رقم (٦٠) .

(٣) إشارة إلى حديث عائشة - رضي الله عنها - خ برقم : (٤١٤١) المغازي : باب (٣٤) ، باب حديث الإفك ، وفيه لفظ صريح على تغطية الوجه ، وهو : « فخمرت وجهي بجلبابي » ، وأما الحديث الذي أورده الخطيب فهو أخرجه البخاري في الصحيح برقم (٤٧٥٨) =

٧ - الدليل السابع ما ورد في السنن من أن النساء عورة، ومنع دخول الرجال الأجانب عليهن[١]، وما في الصحاح من أنه خير للمرأة ألّا ترى الرجال، ولا يروها[٢]، وأن بقاءها في بيتها خير لها، وأن صلاتها في قعر بيتها أفضل[٣] لها؛ ذلك من أجل ألّا يراها الرجال الأجانب، وهو دليل على وجوب ستر جميع بدنها، بما فيه الوجه والأطراف.

فاتقوا الله عباد الله؛ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٤]: فاتبعوه، وأخضعوا أموركم لنصوصه.

ولا تتأولوه؛ لموافقة عاداتكم، ورغبات نسائكم.

اللهم؛ بارك لنا في القرآن العظيم.

= تفسير سورة النور، وهو من حديث عائشة - رضي الله عنها - وقد شرحه الحافظ في الفتح [٤٨٩/٨، ٤٩٠].

(١) إشارة إلى حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أخرجه الإمام أحمد في المسند، وأصحاب السنن الأربعة، وصححها الحافظ في الفتح [٣٣٧/٩]، «أفعمياوان أنتما ؟»؟

(٢) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - خ الجهاد [١٠٠/٦]، ومسلم في الصحيح برقم (١٢٤١).

(٣) إشارة إلى حديث أم سلمة - رضي الله عنها - أحمد في المسند [٢٩٧/٦]، [٣٠١/٦]، وإسنادهما حسن لغيره.

(٤) سورة الإسراء آية رقم (٩).

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[١] ، هو أهل المجد والثناء[٢] ، هدانا للإسلام ، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلًا[٣] ،

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[٤] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، أتم مكارم الأخلاق ، وأذهب الله به الرجس عن المؤمنين ، وطهرهم تطهيرًا .

اللهم ، صلِّ على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فإن المنْصِفَ المطلَع على قواعد الشريعة ومقاصدها - يعلم أنه يبعد كلَّ البعد ، أن يأذن الشارع للنساء في الكشف عن وجوههن أمام الرجال الأجانب ، مع أن الوجه هو أصل الجمال ، وهو محل الفتنة ، والنظر إليه من شابَّة جميلة ، هو أعظم مثير للغريزة ، وداع إلى الشهوة والفتنة ، والوقوع في المحذور .

أترضى أيها المسلم أن تسمح للشباب والفساق بالنظر إلى نسائك وتعريضهن للفتنة والإيذاء ؟

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) إشارة إلى أثر أبي عبيدة بن عبد الله الجراح الفهري - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح ، برقم خاص (١٩٤) ، وعام (٤٧١) الصلاة .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء آية : رقم (٧٠) .

(٤) الفتح : (٢٨) .

وما عجبٌ أن النساء ترجلت ولكن تأنيث الرجال عجيبُ

والعجب كل العجب ممن يدعي من المنتسبين للعلم؛ أنه لم يرد في الكتاب والسنة ما يدل على وجوب ستر وجه المرأة عن الأجانب، مع أن الآيات تضمنت الأمر بستره، والصحابيات فعلن ذلك ممتثلات أمر الله في كتابه؛ إيمانًا بتنزيله، وتصديقًا لنبيه صلى الله عليه وسلم، وقد أثنت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على نساء الصحابة بمسارعتهن لامتثال أمر الله بستر الوجه[1].

ونحن ولله الحمد في هذه البلاد السعودية؛ قد امتثلت نساؤنا أوامر الله، واقتدين بنساء النبي، ونساء الصحابة في ستر الوجه، وجميع البدن عن الأجانب، فلا يحق لأي إنسان أن ينقل الوضع من الحال الحسنة المفضلة الواجبة، إلى السفور والتبرج، ولم يقل أحد بوجوبه؛ من أجل موافقة ما ألفه نساؤهم، واعتادوه في بلادهم؛ فليست العبرة بالعادات، وإنما العبرة بنصوص الشريعة وأحكامِها.

إنه لم يقُل أحد من الناس بأن كشف الوجه واجب أمام الأجانب؛ فكيف يدعو بعض الناس إلى السفور ويفتي بما يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؟!.

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

وأما القول بالجواز فليس فيه دليل صريح صحيح.

وكل أدلة المبيحين ثلاثة أحاديث، أجاب عليها صاحب أضواء البيان، بما ملخصه:

---

(١) إشارة إلى حديث عائشة رضي الله عنها، عزاه الحافظ في الفتح [٨/٤٩٠]، إلى الحاكم في المستدرك، وذلك من حديث زيد بن الحباب، عن إبراهيم بن نافع، ثم ذكر الأحاديث الأخرى، ومنها حديث عائشة - رضي الله عنها - في هذا الباب، الذي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، وفيه: والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقًا بكتاب الله، ولا إيمانًا، بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها، ثم ذكر الحديث.

(٢) سورة النور آية رقم (٦٣).

فأما حديث أسماء[١] : فهو مرسل ، وفيه راوٍ ضعيف ، ولو فرض صحته ؛ فإنه يحمل على أنه قبل الأمر بالحجاب .

وأما حديث جابر - رضي الله عنه - في سفعاء الخدين[٢] ، وحديث الفضل بن العباس في المرأة الوضيئة ، فليس فيهما تصريح بأن المرأتين كانتا كشفتا عن وجهيهما ، وأقرهما النبي صلى الله عليه وسلم . ولو فرض كشفه ؛ فإنه يحمل على أنه بدون قصد منهما[٣] .

فبطل القول بجواز كشف وجه المرأة عند الأجانب ؛ لعدم الدليل المخصص للأمر بالوجوب .

فاتقوا الله عباد الله ؛ وراقبوه ، وحافظوا على كراماتكم ، وتأدبوا بآداب الإسلام ، وتحلوا بمكارم الأخلاق ، وصلوا على البشير النذير[٤] .

فقد أمرنا الله بذلك في كتابه المنير فقال جل قائلا عليمًا ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾

وقال صلى الله عليه وسلم : « **من صلى على مرة صلى الله عليه بها عشرا** » .

---

(١) د شرحه في عون المعبود [١١/١٦١،١٦٢] في إسناده خالد بن دريك ، لم يدرك عائشة . قاله الإمام أبو داود في سننه ، عقب هذا الحديث ، وفي إسناده سعيد بن بشير ، وهو مدار الحديث .

(٢) إشارة إلى حديث جابر بن عبد الله الأنصاري - رضي الله عنه - مسلم في الصحيح ، العيدين حديث رقم خاص (٤) ، وعام (٨٨٥) ، وجوابه في قوله تعالى في سورة النور آية رقم (٦٠) .

(٣) أما حديث الخثعمية الذي أخرجه البخاري وغيره ففيه زيادة مهمة عند الحافظ أبي يعلى الموصلي في مسنده ، وقد ذكرها الحافظ في الفتح [٤/٦٨] ، وصححها ، هي تقضي على جميع الشبه ، وفيها أن الرجل كان يعرض ابنته على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، رجاء أن يتزوجها ، وأما حديث جابر - رضي الله عنه - فالآية في سورة النور برقم (٦٠) ، توضح وتفسر هذا الإجمال ، والله أعلم .

(٤) إشارة إلى آية الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة السابعة والستون

٩ / ١١ / ١٤٠٢

[حكم تعلم الفرائض]

الحمد لله رب العالمين[١] هو الأول ، والآخر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شيء عليم[٢] .

وأشهد ألّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[٣] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٤] .

اللهم ؛ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أهل الفضل والتقوى .

أما بعد .. فإن من العلوم الإسلامية علمًا اجتماعيًّا اقتصاديًّا ، تولى الخالق - تبارك وتعالى - في القرآن بيانه وتفصيله .

وورد الترغيب في تعلمه وتعليمه ، وهو من أجلِّ العلوم قدرًا ، وأرفعها شأنًا وأعظمها أجرًا ، فيه خدمة للدين ، وإحسان للمسلمين ، قليل من يرغب فيه ، وكثير من يحتاج إليه ، إنه أحد العلوم الثلاثة التي قال فيها نبينا - صلى الله عليه وسلم - : (العلم ثلاثة ، وما سوى ذلك فضل : آية محكمة ؛ أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة[٥] .

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) سورة الحديد آية رقم (٣،٤) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٥٥) .

(٤) النجم آية رقم (٣) .

(٥) د : برقم (٢٨٨٥) الفرائض ، وجه برقم (٥٤) المقدمة والبغوي في شرح السنة برقم (١٣٦) ، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي : وفيه ضعف ؛ وفيه أيضًا عبد الرحمن =

إنه علم الفرائض، وتقسيم المواريث.

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «تعلموا الفرائض، وعلموها الناس، فإني امرؤٌ مقبوض؛ وإن العلم سيقبض وتظهر الفتن، حتى يختلف الرجلان في الفريضة، فلا يجدان من يفصل بينهما». رواه أحمد والترمذي[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «تعلموا الفرائض، وعلموها؛ فإنها نصف العلم، وهو يُنسى، وهو أول ما ينزع من أُمتي.» رواه ابن ماجة[2].

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «تعلموا الفرائض؛ فإنها من دينكم، وإذا تحدثتم فتحدثوا بالفرائض»[3].

وروي عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، ولا يحسن الفرائض، كمثل بُرنُس لا رأس له»[4]، وقال ابن الحجاج المخزومي: «الاعتناء بعلم الفرائض، والاشتغال به مصلحة في الدنيا والدين»[5] وحكي أن الوليد بن مسلم - رحمه الله - رأى في منامه أنه دخل بُستانًا فأكل من جميع ثماره إلا العنَب الأبيض، فَقَصَّ رؤياه على شيخه الأوزاعي - رحمه الله - فقال: «تُصيب من العلوم كلها إلا الفرائض، فإنها جوهر العلم، كما أن العنب

= ابن رافع التنوخي قاضي إفريقيه قال الحافظ في التقريب [٤٧٩/١]: ضعيف.

(١) ت: برقم (٢٠٩١) وهو من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وضعفه الترمذي نقلًا عن الإمام أحمد - رحمه الله - وقال الترمذي: «هذا حديث فيه اضطراب، والله أعلم»، وقد عزاه الحافظ في التلخيص برقم (١٣٤١) [٧٩/٣] إلى عدة مصادر.

(٢) جه برقم (٢٧١٩) باب: الحث على تعليم الفرائض، وقال المعلق [٩٠/٢]: أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: إنه صحيح الإسناد، وفيما قاله نظر، ثم ذكر علته.

(٣) ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١١٠٨١) وإسناده صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى [٦/ ٢٠٩].

(٤) ابن أبي شيبة برقم (١١٠٨٢) وفيه: كاليدين بلا رأس.

(٥) لم أقف على مصدره، والله أعلم.

الأبيضَ جوهرُ العنب »[١] .

إن علم الفرائض مِنْ فروض الكفاية ، فلابد للأمة من تقسيم فرائضهم ، ويُوزع تركاتهم على الورثة بالفريضة الشرعية ، ومصدر علم الفرائض ثلاث آيات في سورة النساء : الأولى - تبين أنصباء الآباء والأمهات والأولاد[٢] . والثانية - في حصص الأزواج وبعض الإخوة لأم[٣] . والثالثة . وهي في آخر السورة ، تبين توارث بقية الأخوة لأبوين ، أو لأب[٤] ، فنظام المواريث مستمد من هذه الآيات الثلاث ، ومن الأحاديث الواردة في ذلك ، مما هو تفسير وبيان ، وإذا تأملنا الآيتين السابقتين لآيات الميراث :

﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[٥] .

فالأولى تحرّك شعور الرحمة في الآباء ، وتُذكرهم شُعورهم تجاه أبنائهم ، وتُخبرهم بأن هذا الشعور واجب عليهم للأيتام الذين فقدوا آباءهم ، والآية الثانية تَهُز كيان النفس ، وتحذر تحذيرًا شديدًا من غمط الأيتام حقوقهم ، فَمَا هو شعور من يحس النار تلتهب في بطنه ، وإنه سيلقى في نار مستعرة ؟ وإذا تأملنا أيضًا افتتاحية آيات المواريث : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[٦] إنها تبين للبشر ، وتفهم بأن الله تعالى أرحم بالأبناءِ من آبائهم ، وأبر بالآباء من أبنائهم ، وأعدل من الأقرباء بأقربائهم ، وأن الخالق - تعالى - أولى بالناس من أنفسهم ، ومن آبائهم ، ومن أبنائهم ، فهو الذي

---

(١) لم أقف على مصدره والله أعلم.

(٢) سورة النساء آية رقم (١١) .

(٣) سورة النساء آية رقم (١٢) .

(٤) سورة النساء آية رقم (١٧٦) .

(٥) سورة النساء آية رقم (٩،١٠) .

(٦) النساء آية رقم (١١) .

ينظم حياتهم، ويضع لها الأنظمة العادلة، التي تحفظ حقوقهم، ومصالحهم وتَدْفع المفاسد عنهم ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

فنظام البشر في كل مرافق حياتهم، ومتطلباتها مرده إلى خالقهم، فهو الذي يحكم بين الوالدين وأولادهم، وبين الأقرباء وأقربائهم، وهو الذي يوصي ويفرض، وهو الذي يحلل ويحرم في كل شيء، فكما أنه هو الذي يرزق، فهو الذي يقسم الميراث بين الناس، فمن عِندِه - سبحانه - تَرِدُ التنظيمات، والشرائع، والقوانين الشرعية، وعن الله يَتَلقى الناس الأوامر والنواهي بالقبول والرضا والتسليم في أخص شئون حياتهم، وهو توزيع أموالهم بين آبائهم، وذرياتهم، وأزواجهم، وأخواتهم، وهذا هو الدِّين، فليس للناس دين إذا لم يَتَلَقَّوا من الله وحده تنظيم شئُون حياتهم كلها؛ فنظام الخالق تبارك وتعالى أبر للناس وأنفع لهم مما يقسمونه لأنفسهم، وأصلح لهم مما يختارونه لذرياتهم، فلله الحمد والمنة على نعمة الإسلام وعدالته، وله الحمد على فضله وإحسانه على البشر، ولنعرف نعمة الإسلام في المواريث، أذكر لكم نماذج من نظام المواريث في الجاهلية قبل الإسلام.

قال الفخر الرازي - رحمه الله - ما ملخصه: «اعلم أن أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئَين: بالنسب وبالمعاهدة».

أما النسب: فكانوا يورثون الرجال الذين يقاتلون على الخيل، ويأخذون الغنيمة، ويَحرمون النساء والصغار من الميراث»[2].

وأما العهد فمن وجهين: الحِلْف، والتبني، أما الحِلْف: فيقول الرجل لصاحبه: دمي دمك، وهدمى هدمك، وترثني وأرثك، وتُطلب بي، وأُطلب بك، فإذا مات أحدهما كان للحي ما اشترط من مال الثاني، وحرمت زوجته، وأبناؤه وأبواه الميراث، وأما التبني: فإن الرجل منهم كان يَتَبنَّى ابن غيره، فَينسب إليه دون أبيه من النسب، ويرثه[3] مثلما استشهد سعد بن الربيع، وترك زوجته، وابنتين، وأخًا، أخذ

(١) سورة الأعراف آية رقم (٥٤).

(٢) التفسير الكبير.

(٣) إشارة إلى قوله - تعالى - في سورة الأحزاب آية رقم (٤٠).

الأخ المال كله ، فأتت المرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت : يا رسول الله ؛ هاتان ابنتا سعد ، وإن سعدًا قتل ، وإن عمهما أخذ مالهما ، فقال - عليه الصلاة والسلام - : « ارجعي فلعل الله أن يقضي فيه ، ثم رجعت إليه بعد مدة وبكت ، فنزلت آية الميراث ، فدعى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عمهما ، وقال : أعط ابنتي سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقي فهو لك »[1] وأما الجاهلية المعاصرة ، فهناك من يورث من لا يرث ، ويحرم من يرث ، وهناك من يورث النساء من المنقول ، ويحرمهن من العقارات ، وهناك من يماطل بحق الإناث من الميراث حتى تترل حقها قهرًا ، وأغرب من هذا الذين يحرمون أقرباءهم من الميراث ، ويوصون به للكلاب بدعوى الحرية ، وأن له أن يضع ماله كيف يشاء .

فاتقوا الله أيها الناس ، اتقوا الله واشكروه أيها المسلمون ، فإن نعمة الإسلام لا يعد لها نعمة .

تعلموا الفرائض فإنه ميسر لهن طلبه ، ولا يُسْتَغْنى عنه ، فما من أحد إلا وسيكون وارثًا ، أو موروثًا ، تدارسوا هذا العلم الفاضل ؛ لئلا ينقرض ، فإننا لا نجد في البلد إلا اثنين ، أو ثلاثة يعرفون نظام المواريث ، وحسابها ، ومقاسماتها ، وتقسيم التركات تقسيمًا فنيًا مترابطًا دقيقًا .

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[2] .

اللهم ؛ بارك لنا في القرآن العظيم .

---

(١) ت : برقم (٢٠٩٢) الفرائض وقال : « هذا حديث صحيح » حم في مسنده [٣/٣٥٢] من هذا الوجه واللفظ ، وإسناده حسن ..

(٢) سورة النساء آية رقم (٩) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين[١] اللهم ؛ لا نحصى ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك[٢] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .

﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾[١] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله .

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد .. فإن من فضائل الإسلام ترابط الأسرة ، وتعاطفها ، وتراحمها في الحياة وبعد الممات ، فلم تقف عناية الإسلام عند الآباء ، والأولاد والأزواج ، بل امتدت إلى بقية القرابة ، ولو كانت بعيدة ، ولو كانت قرابة إحسانٍ ؛ كولاء المعتق ، بل المسلمون كالأسرة الواحدة ؛ فالإمام ولي من لا ولي له بعقله ، ويرثه[٤] .

أما الذي يُوْرثُ كلالةً ، فهو : الميت ليس له والد ولا ولد ؛ وإنما يرثه إخوته ،

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم (٢) .

(٢) من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم م : برقم (٢٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) سورة غافر آية رقم (٦٥) .

(٤) إشارة إلى حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أحمد في المسند [١/٢٥٠] وأصحاب السنن ، وإسناده صحيح .

سواء كانوا من الأم، أو من الأب، أو من الأب والأم، فأما الإخوة لأم؛ فيبين الخالق، تعالى، نصيبهم بقوله:

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ﴾(١).

فالاخوة لأم يستوي ذكرهم وأنثاهم في الميراث، ولا تزيد حصصهم عن الثلث.

أما الإخوة لأب وأم، أو لأب، فقد بين - تعالى - تقسيم الميراث بينهم بقوله:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾(٢).

تأملوا قوله - تعالى -: ﴿**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا**﴾(٢). فمن خالف نظام الإسلام في التوارث فهو ضال، تائه عن طريق الإسلام.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ أعطوا أخواتكم نصيبهن من الميراث، فإن نصيبهن عندكم سحت وحرام، أعطوا أخواتكم نصيبهن، فإن منعه عار ونار.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٢).

(٢) سورة النساء آية رقم (١٧٦).

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[١] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[٢] .

---

(١) سورة النساء آية رقم (١٠) .

(٢) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثامنة والستون

٦ / ٧ / ١٥

[العناية بالأبوين]

الحمد لله رب العالمين ، أرحم بالأبوين من أولادهما ، فوصى بحقهما .

وأشهد ألَّا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، قرن حق الوالدين بحقه في أكثر من آية .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، رحمة الله للعالمين ، ومِنَّته على الخلق أجمعين .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، ومن اهتدى بهديه ، واتبع سبيله .

أما بعد .. فإن بعض الأولاد يغفُل عن حق الوالدين ، أو يتغافل عنه ، أو يجهله ، والذي يتدبر القرآن الكريم ، ويتأمل سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - يجد أن الوصية بالوالدين تتكرر ، أما وصية الوالدين بالأولاد ، فقليلة تَرِدُ في حالات خاصة ؛ وظروف معينة . مثل وأد الأولاد .

ذلكم أن الأولاد في حاجة إلى الوصية ، والتذكرة بحق الوالدين ؛ لأنهم متَّجهون إلى مستقبل الحياة ، إلى الأصدقاء ، وإلى الملذات ، وإلى المصالح الشخصية .

أما الأبوان فليسا في حاجة إلى الوصية بالأولاد ؛ فالفطرة الإنسانية ، والحنان ، والشفقة ، والتطلع إلى البر والصلة ، والعطفِ ، والرعاية ، والصفاتُ المغروسة في الأبوين تدفعهما إلى رعاية الأولاد لضمان امتداد الحياة البشرية إلى الوقت المعلوم ، وإن الوالدين يبذلان لولدهما مِنْ أجسامهما ، وأعصابهما ، وأعمارهما ، ومن كل ما يملكان من عزيز ونفيس من غير تذمر ، ولا تأفف ، ولا شكوى ، بل بِفَرحٍ وارتياح ،

وسرور، وكأنهما هما اللذان يأخذان، فالفطرة والميول النفساني في الوالذين كفيل بتوصية الوالدين نحو الأولاد، أما الأولاد فهم في حاجة إلى وصية مكررة؛ ليلتفتوا إلى الوالدين، إلى الأبوين اللذين سكبا عصارة عمرهما للأولاد؛ لراحتهم، فالوالدان لهما فضل، ولهما حقوق، وواجبات: واجب التوقير والاحترام، والرعاية، والكفالة، والطاعة في طاعة الله.

وما يملك الولد مكافأة الوالدين على ما بذلاه، ولو وقّف حياته كلَّها عليهما، فالأب حمله في صلبه سنين، ورباه بكسبه سنين، وحنا على الأم، وعالها سنين، وعلّم وعالج، وسهر، ورفق، وأشفق على ولده.

والأم بطبيعة الحال تكلفت النصيب الأوفر للولد، وتجود بما تؤديه بطيب نفس، فهي حملت الجنين في بطنها تسعة أشهر، والله أعلم بما تجد، ثم الولاده آلام مضنية، وطلق مزعج، ونزيف الدم محقق، تدخل بسبب الولادة في مرض مخوف، لا تنفذ تصرفاتها في مالها إلا في الثلث[1]

قال الحافظ ابن كثير عند تفسير آية العنكبوت:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ﴾[2].

بعد الحث على توحيده - سبحانه - أمر عباده بالإحسان إلى الوالدين؛ فإنهما سبب وجوده، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإنفاق والوالدة بالإشفاق، فما يريد الوالد لولده إلا الخير، ولا يعظُ، ولا يعنف، ولا يوجه إلا ناصحًا، فمن حق الولد على أبيه تعليمه ما ينفعه في دينه، فيعلمه الصلاة، ويأمره بها إذا تم له سبع سنين، ويؤنّبه ويؤدبه على تركها، إذا تم له عشر سنين، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مروا أولادكم بالصلاة، وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها، وهم أبناء عشر، وفرقوا

---

(١) المتنبي [٨٦/٦].

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٨).

بينهم في المضاجع» . حديث حسن، رواه أبو داود .

وروى الترمذي حديثًا حسنًا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «علموا الصبي الصلاة لسبع سنين، واضربوه عليها ابن عشرِ سنين» .

والأولاد هم رجال المستقبل فهم الأمة بعد حين، والمسئولون إذا صلحوا، وفي نشأة الأولاد على الدين - تأسيسُهم على مكارم الأخلاق، وتمرينُهم على الفضائل؛ لأن في الدين صلاح النفُوس والعقول والأجسام، فتربية النشء على الإسلام وتعاليمه من واجب الآباء والمربين والمؤدبين والمعلمين .

والأولاد نعمة من الله، فمن شكرِ نعمة الأولاد تربيتهم على فضائل الأخلاق، وترغيبهم في دين الله، وتحبيب خالقهم إليهم، وفي الأولاد يحصل النصرة، وتدوم الذكرى، وينبغي أن يكون الأباءُ والأمهاتُ قدوةً للأولاد في شرائع الإسلام الظاهرة، يعلمونهم صفاءَ العقيدة والاتصال بالله وحده، والاعتماد عليه دون من سواه، ويعلمونهم قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[1] .

ويعلمونهم الإيمان بالله، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، ويعلمونهم أركان الإسلام : شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ومعناها، ويعلمونهم الصلاة، وفضلها، ومكانتها من الإسلام، وتأثيرها في حياة الفرد والجماعة، وتأثيرها في السلم : والحرب، ويرغبونهم في صوم شهر رمضان، ويبينون لهم فوائد الصوم، وتأثيره في حياة الإنسان .

---

(١) سورة الشعراء آية رقم (٧٥ : ٨٢) .

وطاعة الأبوين لا تراعى في ارتكاب كبيرة، ولا في ترك فريضة عينية، وإنما تلزم طاعتهما في المباحات، ولن يوفي الابن حق الأبوين مهما خدمهما، وبذل لهما. روى الحافظ أبو بكر البزار، في مُسنده أن رجلًا كان في الطواف حاملًا أمه يطوف بها، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم -: هل أديت حقها؟ قال عليه الصلاة والسلام: «لا ولا بزفرة واحدة».

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

فلله على العبيد نعمةُ الإيجاد، ابتداءً بالخلق، ونعمةُ الإبقاء والرزق، فتجب عبادته وحده لا شريك له، وللأم على ولدها نعمة الحمل والولادة، والحضانة، والبقاء، فيجب لها البر والإحسان، والمصاحبة بالمعروف.

وللأب على ولده نعمةُ التربية والتعليم، وحمله في ظهره سنين، وهو سبب أساسي في وجوده؛ فيجبُ له الشكر، وحسنُ الطاعة في المعروف؛ فَنِعمة الله على الإنسان في الدنيا والآخرة، أما نعمة الأبوين عليه ففي الدنيا فقط، فَبَيْنَ النعمتين فرق كبير، فكذلك الفرق بين الحقوق والطاعة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

يجب على الوالدين أن يعلما ولدهما حق الله عليه؛ فهو أول الحقوق، وحق الوالدين، وحقوق الأقرباء، والجيران والمجتمع، والإخوان.

فاتقوا الله أيها المسلمون؛ لا يحملنكم حب الأولاد، وحب راحتهم على ترك ما أوجب الله، والوقوع فيما حرم الله.

فاتقوا الله أيها المؤمنون؛ اتقوا الله أيها الآباء والأمهات في أولادكم، أحسنوا تربيتهم، واتقوا الله أيها الأولاد، في حق الخالق تعالى، وفي حق الآباء والأمهات.

اللهم؛ أعنا على شكرك وذكرك، وحسن عبادتك، اللهم؛ وفقنا لما تحب وترضى وألهمنا رشدنا، وقنا شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

---

(١) سورة لقمان آية رقم (١٤).

اللهم ؛ وفقنا لأداء حقك علينا ، وأداء حق الآباء والأمهات ، وتقبل منا صالح أعمالنا وتجاوز عنا ، واغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ، ولجميع المسلمين ؛ إنك أنت الغفور الرحيم .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله رب العالمين ، خلقنا من العدم ، وربانا بالنعم ، وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له ، طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا ، واحد لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا له موحَّدًا .

وأشهد أن سيدنا ، ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، عرَّف أمته بحق الله ، وبحق الوالدين والأقرباء .

اللهم ، صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك ، نبينا محمد ، وعلى آله ، وأصحابه ومن اهتدى بهديه ، وآمن برسالته .

أما بعد .. فإن الأم أكثر مشقَّةً على الولد ، كما قال جل شأنه في سورة الأحقاف :

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾(١) .

فتجب لها الشفقة والعطف ، والبر والصلة ، من غير أن يُنْقص الولد شيئًا من حق الأب ، حتى لو أساء إلى الأم أولامها أو أدبها ، فحقه باقٍ لا يتغير ، وتكون طاعة الأم من طاعة الله .

روى مصعب بن سعد عن أبيه قال : قالت أم سعد لسعد : أليس قد أمرك الله بطاعة الوالدين ؟ فلا آكل ولا أشرب شرابًا حتى تكفر بالله ، فامتنعت (أي الأم) عن الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا ، فنزلت الآية ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا** ﴾ وإذا قارنا بين هذه الآية ، وبين الآية في سورة لقمان :

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم (١٥) .

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[1] .

مع الآية التي في سورة العنكبوت .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ ﴾[2] .

مع الحديث الذي رواه مسلم عن مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد ، تيقّنًا أنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ، ولا يجوز لأحد الأبوين أن يحمل الابن على معصية الله أيًا كان نوعها ، ولا أن يزين له عملا فيه معصية ، ولا أن يرغبه فيما خالف هدي النبي - صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه معصية ، بل يعلمه الإيمان والتوحيد ، والصدق والنصح ، والوفاء والإخلاص لله وحده لا شريك له .

فاتقوا الله أيها المؤمنون بروا آباءكم تبركم أبناؤكم .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3]

---

(١) لقمان آية رقم (١٤-١٥) .

(٢) سورة العنكبوت آية رقم (٨) .

(٣) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة التاسعة والستون

١٤ / ١١ / ١٤٠٤

[الترغيب في الجهاد]

الحمد لله ربِّ العالمين ، فرض الجهاد على المؤمنين ، وجعله ذروة سنام الإسلام ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

وأشهد ألّا إله إلّا الله ، وحده لا شريك له .﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[2] .

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا ، عبده ورسوله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وقال : « إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف » ، صلى الله عليه ، وعلى آله ، وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد .. فهل تعرفون ما هو العمل الذي يرفع الله به العبد في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ..

إنه الجهاد في سبيل الله ، كما في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عند الإمام مسلم .

إن الجهاد - يا عباد الله - باب من أبواب الجنة ، ومن وصل إلى بابها ، يوشك أن يؤذن له في الدخول ، وهو أقرب طريق يوصل إلى الله تعالى ، ومن سار على الدرب وصل ، الجهاد كله خير للمؤمن ، فإما حياةٌ كريمةٌ عزيزة ، وإما شهادةٌ في سبيل الله ، وحياةٌ أبدية في جنات النعيم ، والجهاد على الكافر هلاك ودماره إما حياة ذل وهوان ، وإما موت شقاوةٍ ، وخلود في نار الجحيم .

---

(١) سورة الحج آية رقم (٤٠) .

(٢) آل عمران آية رقم (١٢٦) .

إن الجهاد - يا عباد الله - النشر دين الله، ولإعلاء كلمة الله، والدفاع عن شعائر الله ومقدساته، عن حرمات المسلمين وحقوقهم - من واجبات الإسلام ودعائمه؛ من تركه ألبسه الله الذلة، وشملة البلاء، وألزمه الصغار والهوان.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

إن الجهاد أربع درجات، «أعلاها وأفضلها: الجهاد بالنفس والمال، ثم الجهاد بالنفس، ثم الجهاد بالمال، ثم الجهاد باللسان والقلم والإعلام.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[3].

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «من جهز غازيًا في سبيل الله؛ فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير؛ فقد غزا»، متفق عليه.

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٣٨).

(٢) سورة المنافقون آية رقم (٨).

(٣) سورة التوبة آية رقم (١١١).

وقال - عليه الصلاة والسلام - «أفضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم -: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» رواه أبو داود بإسناد صحيح.

إن الله - تبارك وتعالى - قادر على أن ينصر دينه، وأن يعلى كلمته، وأن يعز أولياءه وأتباع نبيه صلى الله عليه وسلم بدون قتال، ولا جهاد؛ إما بهداية الناس إلى الحق، كما قال سبحانه: ﴿لَوْ يشَاء، اللهُ لَهَدَىٰ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، وإما بأمر قاهر فوق طاقة البشر وإمْكانياتهم؛ كما حصل للأمم السابقة: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، وفرعون وجنوده.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[3].

ولكن الله - تعالى - له حِكَم بالغةٌ في أمره ونهيه وتشريعه، لا تُدركها عقولُ البشر القاصرة؛ إلا بعلم الله، ولا تصورها أفهامهم المحدودةُ إلا بفتح من الله.

﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[4].

فإذا تأمل الإنسان مشروعية الجهاد، ونتائج الجهاد، وعواقبه، وثمراته، بتتبع التجارب، والنظر في الحقائق، يمكن أن يدرك شيئًا من مصالح الجهاد، وما يخفى أكثر، وما اسْتأثر الله بعلمه أكثر وأكثر.

---

(١) سورة الرعد آية رقم (٣١).

(٢) سورة النحل آية رقم (٤٠).

(٣) سورة القمر آية رقم (٥٠).

(٤) سورة الإسراء آية رقم (٨٥).

أولًا – إن الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا هم القادة في كل الأمور، جعلهم الله أمة وسطا شهداءَ على الناس، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، اختارهم لحمل أمانته، وتبليغ رسالة، وتحكيم شريعته، والعدل بين الناس، وهذه الوظائف التي رُشحوا لها من قيوم السموات والأرض، تحتاج إلى قوة وعزيمة، وصلابة وجَلَد وصبر، وهذه الصفات، تحتاج إلى تحريك الهمم وإيقاظ الشعور، وإحفاز النفس، ولفت الانتباه دائمًا، ولا يكون ذلك إلا بالجهاد.

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[1]

ثانيًا – إن الله تعالى جعل للبشر عقولًا وأفهامًا يدركون بها الخير والشر، والنافع من الضار، وخاطبهم بالتكليف، وأراد منهم أن يدخلوا في دينه باختيارهم، فإذا كانت الدعوة من بعضهم لبعض بالأمر المعهود بينهم، وفي مستواهم؛ انقادوا باختيارهم ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾[2].

ثالثًا – إذا حصل النصر، والتأييد للمسلمين بالجهاد والكفاح والتعب والمشقة، وبذل الأموال والأنفس، كانت له حلاوة وطعمٌ، ومنزلة عالية في نفوسهم؛ فيحافظون على هذا النصر، والبقاء عليه، بخلاف لو حصل النصر بيسر وسهولة؛ فإنه يهون عليهم فقدُه.

رابعًا – إن الله تعالى أراد من المسلمين أن يكونوا أمة معتصمة بحبل الله جميعًا، متعاونة متكاتفة بين أفرادها وجماعاتها، والجهاد يحمل على التجمع والالتفاف تحت راية الجهاد؛ فيحصل التعاون على البر والتقوى، وحَمْل المسئوليات الإسلامية.

خامسًا – في الجهاد كرامةٌ لأولياء الله الشهداء، فلا تعلم نفس ما أخفى للشهداء من قرة أعين، وحياة في جنات النعيم، ولا تحصل هذه الشهادة إلا بالجهاد.

وهناك فوائدُ كثيرة في الجهاد، تدرك بالتتبع والتأمل، وكلها تعود على البشر.

---

(١) سورة الفتح آية رقم (٢٩).

(٢) سورة النصر آية رقم (١).

وقد تكفل الله تعالى للمجاهدين في سبيله بالنصر والتمكين ؛ ولكن قد يعجل الله بالنصر ، وقد يؤخره ؛ لحكم ومصالح أيضًا ، قد يُعرف بعضها بالنظر والتأمل ، والتدبر .

إذا علمنا هذا عرفنا أن الجهاد من شرائع الإسلام ، والنصوصُ من الكتاب والسنة كثيرة معلومة ، وعلى هذا فإنه يجب على كل مسلم أن يكون جُنديًا من جنود الله ، على استعداد دائمًا ، وعلى أهبة أبدًا في سبيل الله وفي سبيل الإصلاح ، وإعلاء كلمة الله ، لا في سبيل الإفساد والتخريب ، ولا في سبيل الدنيا والحمية فلا يجوز منك أيها المسلم ؛ أن تركن إلى الخمول والكسل ، ولا ينبغي لك أن ترى إخوانك المسلمين في كثير من البلدان يقتلون ويشردون ، ويفتنون عن دينهم ؛ فلا تثور الغيرة الإسلامية ، ولا تمد لهم يد العون والمساعدة .

﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .

اللهم ؛ لا تجعلنا في غَمرة ، ولا تأخذنا على غِرة ، ولا تجعلنا من الغافلين .

اللهم ؛ ثبتنا باليقين والبر والتقوى ، وذكر الوقوف بين يديك ، وارزقنا الحياء منك ، والخشوع فيما يرضيك ، وتُبْ علينا واغفر لنا ؛ إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) سورة التوبة آية رقم (٤١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الثانية

الحمدُ لله الجواد الكريم، لا راد لما أعطى، ولا معطي لما منع.

وأشهد ألّا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، بيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا، عبده ورسوله، وصفوتُه من خلقه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد.. فأوصيكم وإياى بتقوى الله تعالى، فهي الأساس لكل خير، وهى الوقاية من كل شر.

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[1].

ثم اعلموا - رحمكم الله - أن لكم إخوانًا في الإسلام، أحبابًا في الله، شُردوا من ديارهم، وأُخرجوا من بيوتهم وقتلوا، يُتمت أطفالهم، ورملت نساؤهم، واستبيحت بيضتهم، وسلبت حقوقهم، حوصروا في قمم الجبال، وأغوار الأودية.

إخوانكم في أفغانستان، تسلطت عليهم الوحشية الروسية؛ في هذا الوقت القاسي الذي اشتدَّ برده؛ لقصد إبادتهم، والقضاء على الإسلام وأهله.

تصوروا حال إخوانكم؛ فهم بين برد قارس، وجوع طاوٍ، وقلة ما في اليد، فراشهم الصخور، ولحافهم الصقيع، شعارهم الخوف والقلق، ودثارهم القتل والقتال، صابرون بإيمانهم أمام العدو المعتدي، ينتظرون فرج الله ونصرَه، قد استنصروكم فعليكم النصر، أعينوهم بكل ما تستطيعون، أعينوهم بالسلاح والمال والرجال، أعينوهم بالدعاء والتضرع إلى الله في السر والعلن، ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ**

---

(١) سورة الطلاق آية رقم (٢-٣).

مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[١] .

﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[٢] .

﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ﴾[٣] .

انصروهم ينصركم الله ، وارحموهم يرحمكم الله .

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾[٤] .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾[٥] .

﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾[٦] .

اللهم ؛ انصر المجاهدين في أفغانستان وفي كل مكان ، اللهم ؛ أنزل عليهم السكينة والأمنة ، وانصرهم بنصرك الذي وعدته عبادك المؤمنين ، اللهم ؛ عجل لهم فرجًا قريبًا ، وانصرهم على عدوك وعدوهم ، اللهم ؛ أنزل الرعب في قلوب الكافرين المعتدين ، وزلزل أقدامهم ، وشتت شملهم وفرق جمعهم ، واجعل بأسهم بينهم ، وَرُدَّ

---

(١) سورة الأعراف آية رقم (٥٦) .

(٢) سورة البقرة آية رقم (٢٤٥) .

(٣) سورة البقرة آية رقم (٢٦١) .

(٤) سورة الحج آية رقم (٣٩،٤٠) .

(٥) سورة إبراهيم آية رقم (٤٢) .

(٦) سورة إبراهيم آية رقم (٤٧) .

كيدهم في نحورهم .

اللهم ارْمِهم بسهمك الصائب ، وأنزل عليهم بأسك الثاقب ، ياولي المستضعفين ، يا ذا القوة المتين ، يا مجري السحاب ، ويا هازم الأحزاب ، أنزل على المعتدين أشد العذاب ، واجعلهم عبرة لأولى الألباب .

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٥٦) .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المؤلف	أ
موجز عن حياة سماحة الشيخ عبد الله بن زاحم	٥
الخطبة الأولى : الاستعداد للعدو بالقوة	٨
الخطبة الثانية : يوم الفرقان	١٥
الخطبة الثالثة : في الجهاد	٢٦
الخطبة الرابعة : وجوب طاعة القائد في غير معصية	٢٣
الخطبة الخامسة : الجهاد في سبيل الله	٤٠
الخطبة السادسة : في الجهاد	٤٦
الخطبة السابعة : الهدنة	٥٣
الخطبة الثامنة : [انتصار الأفغان بسبب مساعي خادم الحرمين]	٦٠
الخطبة التاسعة : التأخي والتحذير من الفرقة	٦٧
الخطبة العاشرة : تنوع استعدادات الناس	٧٢
الخطبة الحادية عشرة : آثار المعاصي	٨٠
الخطبة الثانية عشرة : مؤتمر القمة الإسلامي في مكة	٨٧
الخطبة الثالثة عشرة : ساعة العسرة والثلاثة الذين خلفوا	٩٣
الخطبة الرابعة عشرة : النفير إذا طلب الإمام	١٠١
الخطبة الخامسة عشرة : تحريم قتل النفس المعصومة	١٠٩
الخطبة السادسة عشرة : لولي القتل عمدًا ثلاثة خيارات	١١٨
الخطبة السابعة عشرة : القصاص من عدالة الإسلام	١٢٦
الخطبة الثامنة عشرة : العقوبات تتناسب مع الجريمة	١٣١
الخطبة التاسعة عشرة : منافع الحدود للإنسان	١٣٨
الخطبة العشرون : الزجر عن الزنا	١٤٥

الموضوع	رقم الصفحة
الخطبة الحادية والعشرون : أضرار جريمة الزنا	١٥١
الخطبة الثانية والعشرون : حد الزاني	١٥٨
الخطبة الثالثة والعشرون : الزنا يسبب أمراضًا خطيرة	١٦١
الخطبة الرابعة والعشرون : حد القذف	١٦٨
الخطبة الخامسة والعشرون : الزجر عن اللواط	١٧٦
الخطبة السادسة والعشرون : عقوبة أكل الربا	١٨٥
الخطبة السابعة والعشرون : حد السرقة	١٩٠
الخطبة الثامنة والعشرون : الإسلام لا يكبت الغرائز بل ينظمها	١٩٨
الخطبة التاسعة والعشرون : حكم الزواج في الإسلام	٢٠٤
الخطبة الثلاثون : الترغيب في الزواج	٢١٣
الخطبة الواحد والثلاثون : الحث على تكثير النسل	٢٢١
الخطبة الثانية والثلاثون : لا يكون الخاطب محرمًا للمرأة إلا بالعقد	٢٢٩
الخطبة الثالثة والثلاثون : من شروط النكاح رضا الزوجين	٢٣٦
الخطبة الرابعة والثلاثون : الحفلات	٢٤٣
الخطبة الخامسة والثلاثون : المحافظة على عقدة النكاح	٢٤٩
الخطبة السادسة والثلاثون : التزم بين الزوجين	٢٥٦
الخطبة السابعة والثلاثون : عناية الإسلام بالأسرة	٢٦٣
الخطبة الثامنة والثلاثون : نظام البيت الإسلامي	٢٧٠
الخطبة التاسعة والثلاثون : المرأة غير الدَّينة خطر على الأسرة	٢٧٥
الخطبة الأربعون : فوارق بين الذكر والأنثى	٢٨٥
الخطبة الحادية والأربعون : المرأة مكلفة مثل الرجل	٢٩٢
الخطبة الثانية والأربعون : البيت معمل الإنتاج	٣٠٠
الخطبة الثالثة والأربعون : حقوق الوالدين	٣٠٦
الخطبة الرابعة والأربعون : البيع السعيد	٣١٢

الموضوع	رقم الصفحة
الخطبة الخامسة والأربعون : اختيار الأسماء الحسنة	٣١٨
الخطبة السادسة والأربعون : عاقبة التربية السيئة	٣٢٥
الخطبة السابعة والأربعون : وصية الأولاد بالوالدين	٣٣١
الخطبة الثامنة والأربعون : الأسرة الصالحة	٣٣٩
الخطبة التاسعة والأربعون : يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب	٣٤٦
الخطبة الخمسون : الرضيع المبارك	٣٥٢
الخطبة الحادية والخمسون : حقوق المرأة	٣٥٨
الخطبة الثانية والخمسون : الإخوة من الرضاع	٣٦٦
الخطبة الثالثة والخمسون : الطلاق الرجعي والبائن ويليه طلاق السنة والبدعة .	٣٧١
الخطبة الرابعة والخمسون : كاسيات عاريات	٣٧٨
الخطبة الخامسة والخمسون : التساهل بالصلاة	٣٨٥
الخطبة السادسة والخمسون : التعدد	٣٨٩
الخطبة السابعة والخمسون : عضل المرأة حرام	٣٩٨
الخطبة الثامنة والخمسون : حكم الظهار	٤٠٤
الخطبة التاسعة والخمسون : الرجال قوامون	٤١٢
الخطبة الستون : تعليم الأولاد	٤١٨
الخطبة الحادية والستون : التمسك بالفضائل	٤٢٤
الخطبة الثانية والستون : الحرية الصحيحة والحرية الكاذبة	٤٣٢
الخطبة الثالثة والستون : تنظيم الغرائز في الإنسان	٤٣٨
الخطبة الرابعة والستون : وجوب الحجاب على المرأة المسلمة	٤٤٤
الخطبة الخامسة والستون : من أهداف الزواج	٤٥٢
الخطبة السادسة والستون : حدود العورة	٤٥٨
الخطبة السابعة والستون : حكم تعلم الفرائض	٤٦٦

الموضوع	رقم الصفحة
الخطبة الثامنة والستون : العناية بالأبوين	٤٧٤
الخطبة التاسعة والستون : الترغيب في الجهاد	٤٨١
الفهرس	**٤٨٩**